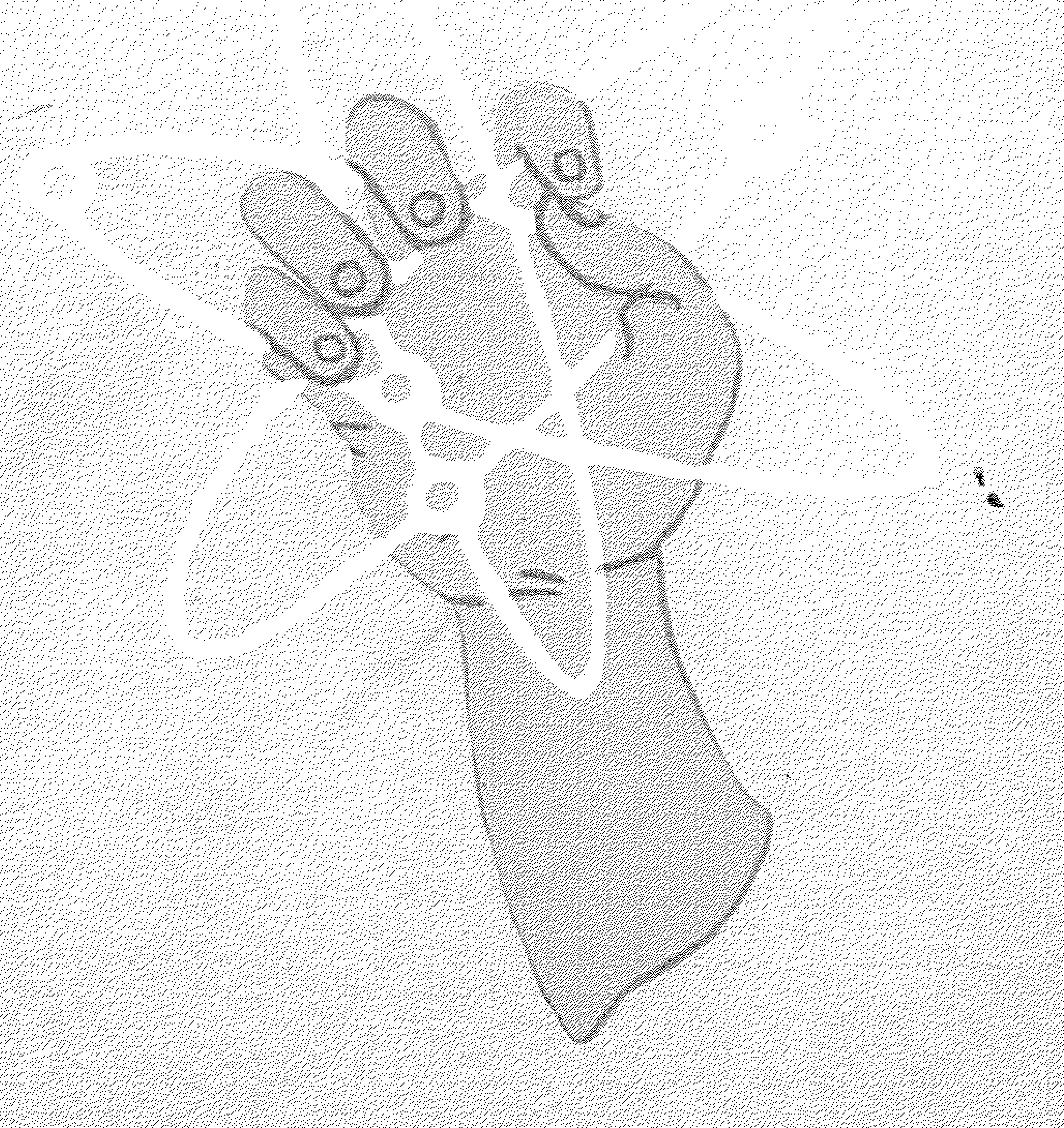
الخونة

جواسيس الذرّة



THE TRAITORS

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة أ.د/القطب محمد القطب طبلية

القاهرة

جواسيس الذرّة

الحياة المزدوجة لـكل من

فوخس و بونتكورفو و نان ماى

■

تأليف

ألان مورهيد

لنـدن

THE TRAITORS

THE DOUBLE LIFE OF

FUCHS
PONTECORVO
and
NUNN MAY

■

by:

ALAN MOOREHEAD

London

تحليل الكتاب

يحكي هذا الكتاب قصة خيانة ثلاثة من علماء الذرة فى انجلترا وأمريكا وتسليمهم هذه الأسرار الى الشيوعية ٠

وقد أطال الكتاب فى تحليل شخصيات المتهمين وحيـاتهم الاجتماعية للخروج من ذلك الى معرفة العوامل التى أدت بهؤلاء العلماء الى الخيـانة ، وخلص منها الى أن العـالم الخائن ـ ولو أنه قبض ثمن خيانته ـ قد خان لثبات عقيدته فى صواب العمل الذى قام به وأنه يعمل لصـالح البشرية أجمعين ، فالعلماء ليسوا سياسـيين وذوى خبرة بأمور العـالم ولم يزوروا روسيا حتى يكون حكمهم هذا حكما صائبا ٠

فهم ان رأوا اليوم مع الناس أن الشـيوعية خير من الفاشستية وانهـا صديقة للدولة فلا يمكن أن ينكروا هذا فى الغد مع رجال حكوماتهم ويرون رأيهم فى أن الشيوعية اليوم خطر على الدولة بعد أن كانت بالامس صديقة ، فلذلك ثبتت عقيدتهم على الميل الى الشيوعية ٠

كما أن بعض الجواسيس يقوم بهذه الخيانة عن تفكير سقيم وقد يكون سبب هذا قد أتى أولا من سن الشباب والمراهقة التى تتأرجح فيها الأفكار والاحلام، ثم عدم الارشـاد الصحيح والقيـادة الحازمة التى تتحكم فى هذه العقليات المريضة لتريها الطريق الصواب وتبعدها عن الخدع المضللة ٠

فهناك بعض الشباب المتعلم من الجامعيين الفاسدين يحبون أن يتزعموا البسطاء من اخوانهم فى نزعات سياسة خطيرة دون دراسة أو ادراك صحيح فلا مبادىء سليمة ولا أهدافا مثالية لهم ، ومثل هؤلاء خطر على الدولة وعلى أنفسهم ، ولابد اذن للمسئولين أن لا يمكنوهم من هذا الشطط ٠ وقد كان (فوخس) أحد هؤلاء الضحايا الذين تمكن منهم هؤلاء الزعماء مع أن أهله ووالده بالذات بعيدون كل البعد عن المبادىء الشيوعية فهو قسيس دكتور متدين وصريح ويكره الشيوعية والفاشستية على السواء ٠ وقد تمكنت من فوخس هذه العقيدة الشيوعية وعندما حضر الى انجلترا شغل بالدراسـة واسـتوطن فى هذه الدولة الديمقراطيـة ولكن اتضح أنه قد طبع على هذه

العقيدة فأصبح جاسوسيا شيوعيا رغم التكريم الذى أولته انجلترا بالايواء والمركز العالى مع الاجر المرتفع فكل هذه لم تمح شيئا من عقيدته القديمة التى كانت له وهو فى كليته الاولى فى وطنه ألمانيا ·

وقام الكتاب بدراسة كاملة لنفسية المتهمين كل على حدة وأبرز من تاريخ حياة كل منهم الصورة التى تبلورت فيها عقلية كل منهم فانتحت به الى هذا الجانب من خيانة الوطن · ومن مواضيع الدراسة عن الشخص الحياة المدرسية وحبه النساء وأنواع الكتب التىيقرأها وميله الى التدخين والسكر أو الرعونة فى السواقة وغيرها وغيرها · ومن أهم الدراسات أيضا نوع أصدقاء كل منهم فهم كما قال آباؤنا مرآة المرء فكثيرا ما أمكن الاستدلال منهم علىخلق الشخص وميوله التى يحاول اخفاءها بمهارة ·

ويرى الكاتب أن ليس كل ما يقتضيه الامن هو مد الاسوار من الاسلاك الشـائكة واقامة الخزائن الحديدية والكثرة من بطاقات المرور بل لابد من الوعى القومى والشعور بمسئولية كل شخص عن الامن فى محيطه وعن كل ما يراه فتكون اقامة الأمن اذن حافزا لدى الجميع سواء المختصين بالأمن أو غيرهم ·

وقد نرى الباعث على حقارة النفس وانحرافها الى مثل هذا السلوك عند بعض الشبان انما أورثه فيهم الفقر والجوع أو حقارة الوسط الذى نشأوا فيه فلم ينالوا قسطا وافرا من التربية القومية والاعتزاز بالوطن ·

ومن الدواعى الأخرى ، الطبيعة البشرية عند الشخص فهناك جوزنكو مثلا ، عندما وجد أن البهجة والحرية فى الغرب تلائم نفسيته المرحة ارتد عن الشيوعية والتجأ الى انجلترا ، وبالعكس نجد أن نفسية الان نانماى العكوفة العبوسه مالت الى الشيوعية وزهد فى ديمقراطية الغرب وهكذا ·

ينتحل المؤلف الاعذار لرجال الامن فى عدم ضبط هؤلاء الجواسيس حتى أتوا اليهم بأنفسهم وبعد زمن طويل من الخيانات ولكننا لا نبرئهم تماما من الذنب :

فقد أمكن لألان نانماى أن يسرق أنبوبة صغيرة فيها مواد مشعة وهربها الى الاعداء فكان فى ذلك استهتار وجرأة منه وعدم يقظة من رؤسائه ومن رجال الامن ·

وكان من أخطر الامور اســتخدام رعايا الاعداء المهاجرين فى الاعمال السرية للغاية فمنهم من لم يقتنع تماما فى نفســه بالقومية الجديدة التى اكتسبها اضطرارا فقد كانت الملاذ الوحيدلانقاذ نفسه، ففوخس ألمانى نبذته الفاشسستية الهتلرية فلم يجد أمامه الا انجلترا مثله كمثل مئات الالمان غيره علمــا بأنه طالب شــيوعى فهل أحب انجلترا وأراد أن يكون انجليزيا ديمقراطيا يوم هاجر من وطنه ؟ كلا • وقد قرأ رجال الامن مرارا هــذه الملاحظة ولكنهم لم يقتنعوا باحتمال غدره بهم يوما ما •

كذلك تردد بونتكورفو في اتخاذ الجنســية البريطانية وأخيرا عندما اكتسبها فكر فى التخلص منها لرغبته فى منصب كبير فى فرنسا أو ايطاليا وقد لامه رجل الامن الانجليزى على هذا التردد وكثرة تغيير جنسيته فهلم يجتذب نظر رجل الامن أن هذا الشخص غير منجذب الى وطن واحد يخلص له الولاء كله بل هو عبد المال وخادم لقمة العيش ؟ انها بديهية كان يجب أن يتنبه اليها رجل الامن فيحذر الرؤساء من مثل هذا المذبذب فيبعدونه عن الاسرار الحيوية للدولة •

تكلم فوخس كثيرا عن الامن وأظهر المبالغة فى حرصه الشديد على أن يلاحظ النــاس هذه الغيرة منه ، فهلم ير رجال الامن فى هذه المبالغة فى الحرص على الأمن أنها تتنافى مع الرجل الغيور على الأمن غيرة طبيعية لا حاجة لها بهذا التظاهر ؟ •

* * *

لاحظنا من تصرف الشرطة البريطانية عند علمهم بحادث الجاسوسية أن الغرض ليس القبض على الجاسوس بل الاهم أن يترك لنفسه بحريته لمعرفة باقى الشبكة والوسطاء الذين يتعامل معهم ومن سيخلفه عند القبض عليه ،

على أن لا يؤدى هذا التأخير فى القبض على الجاســوس الى خســارة المعلومات التى يسرقهــا من المكاتب الحكومية أو المصنع ليسلمهــا لعملاء العدو •

ورأينا من وسائل الامن فى أمريكا تقسيم العمل حتى لايعرف الشخص الذى يعمل فى الأمور السرية أكثر من ناحية واحدة من هذا السر ولا تكفى لان تفيد العدو فائدة حيوية •

ولكن هذه الفكرة كانت غير عملية ولم تأت بنتيجة باهرة ·

أما الانجليز فيرون أنه كلما ازدادت رفاهية الناس واطمئنانهم وتعلقهم بوطنهم كلما ضؤل احتمال خيانتهم ·

وها نحن نرى فى هذه المؤامرة يهوديا هو بونتكورفو كجميع مؤامرات الجاسوسية تقريبا ، فلابد أن يكون رئيس الجماعة أو نساء المؤامرة أو أبرز أعضائها من اليهود فهم فئة لا وطن لهم يحتفظون له بالولاء لا فى أوروبا ولا أمريكا فالحذر الحذر منهم ·

وأخيرا لن ينتهى العالم من شرور الجاسوسية ولذلك أصبحت (مقاومة الجاسوسية) سلاحا لابد منه ولابد أن يتطور مع الزمن ·

فأمامنا الدلائل على بقاء أمر الجاسوسية سواء فى دول الغرب أو الشرق ـ الديمقراطية التى ترعى حرية الشعب دون كبت ، والشرقية التى تحكم الناس بالوسائل البوليسية ، ففى كليهما نجد الخونة والمرتدين ولذلك يقول رجال الامن أن (الامن) لن يكون أبدا تاما ! ·

الباب الاول

لن ينتهى العالم من شر الجاسوسية ، فهى تسير فى عالمها الخاص فى الحروب وعلى مدى القرون ، ولذلك فاننـــا لن نعرف أبدا كل الحقيقة عن جواسيس الذرة وهم موضوع كتابنا هذا ، ولكن أحيانا ما عثرنا على قليل مما كشف عن سرهم وعلى ذلك سوف يمكننا أن نعرض على الجمهور بصيصا كريها على ما كان يحدث سرا فى الخفاء ٠

حدث هذا ــ أو بالاخرى بدأ يحدث هذا ــ فى أتاوا مساء ٥ سبتمبر ١٩٤٥ ففى مساء ذاك اليوم ، اقتحم كاتب الشفرة فى السفارة الروسية واسمه (ايجور جوزنكو Igor Gouzenko) الخزانة الفولاذية فى مكتبه وأخرج منها عددا من الوثائق السرية ، وقد كانت وظيفته تكوين الشفرة وحلها لهذه الوثائق من أجل الكولونيل (زابوتين Zabotin) الملحق العسكرى وهذه الوثائق عبارة عن المكاتبات التى دارت بين تلك السفارة وموسكو ٠ وكان منذ مدة بدأ فى ثنى اركان بعض هذه الوثائق التى يرى أنها ذات أهمية خاصة لكى يتعرف عليها بسهولة فى الفرصة المناسبة ٠

كان (جوزنكو) شابا فى السادسة والعشرين وكان روسيا صميما فقد ولد ونشأ فى روسيا السوفيتية وأتى الى كندا منذ عامين ، ولكنه فى هذين العامين زاغ بصره وأخذ بمنظر وفرة البضائع التى تباع فى المحلات التجارية ومن الحرية والالفة التى عمت بين الكنديين فى حياتهم اليومية ، فاشمأز من الطريقة التى يخـدع بها هؤلاء النــاس (الكنديين) فقد أمره سادته بالتجسس عليهم فى حين كان أمل هؤلاء الوحيد هــو الاخـذ بيد روسيا لتكسب الحرب ٠٠٠ والآن وقد انتهى دوره فى الخدمة خارج وطنه وكان عليه أن يرجع الى روســيا فقد قرر فى قرارة نفســه أن ينبذ كل ما مضى من حياته الروسية السابقة ويتحول الى جانب كندا ٠

وقصة ارتداد (تحول) جوزنكو معروفة جيدا فقد نشرت فى التقرير المقدم من اللجنة الملكية الكندية التى حققت هذا الموضوع فى العام التالى ، ومع ذلك فلا بأس من اعادتها هنا بالنسبة للجو الخاص الذى تبعثه فينا ولانها تكشف عن مبلغ ما وقعت فيه الديمقراطية وهى فى غفلة ٠

كانت الساعة الثامنة صباحا عندما غادر السفارة في شارع نشارلو بعد أن دس الوثائق في جيوب معطفه وذهب بها مباشرة الى مكاتب صحيفة أتاوا في المدينة • كان ساذجا فقد ظن أنه اذا نشر هذه الوثائق في هذه الصحيفة يكون قد أنذر الحكومات الديمقراطية وبذلك يكون قد قام بما أرضى ضميره ، ولكن الأمر لم يكن بهذه البساطة ، فالصحافة مرت عليها تجارب في قضايا الجرائم والامور السياسية ونتائج مباريات الكرة ، كلها تمر عليها يوميا في روتين ثابت ولكن لم يحدث في هذا الروتين أن أتى اليها أجنبي وبدون اتفاق سابق وقد ملأ جيوبه ببرقيات روسية وذلك ليعلن جهرا الكشف عن أسرار الاتحاد السوفيتي • جادلهم (جوزنكو) ساعة من الزمن ولكن لم يهتم أحد بأمره اهتماما جديا • رجع اذن الى بيته في رقم ٥١١ شارع سومرست حيث كان يسكن في شقة مع زوجته (سيتلينا بوريسوفنا Svetliana Borisovna) وطفلهما (أندرى Anderei) الذى كان قد ولد وقت أن وصلوا الى كندا •

وفي اليوم التالى ٦ سبتمبر عاود الكرة فخرج مع عائلته يحملون الوثائق في طرد غير منتظم الشكل وقد حوى قصاصات حمراء وزرقاء وبيضاء في شنطة يدها • رجع في أول الامر الى صحيفة أتاوا وعندما نصحوه أن يتوجه الى الشرطة دخل عدة مكاتب حكومية في المدينة ولكنه لم يفز بنتيجة أفضل مما صدم بها في صحيفة أتاوا •

سمع المستر (ماكنزى كنج) رئيس الوزارة بخبر هذا الزائر الغريب للوزارة وهو على أهبة خروجه لحفل افتتاح البرلمان الكندى ، ولكن ليس من اختصاص رئيس الحكومة أن يستقبل صغار الكتبة من السفارات الأجنبية ، ومثل هذا الاجراء يصيب الصداقة الدولية بأزمة فأشار على موظفي مكتبه بأن يسلموا (جوزنكو) وما معه من الوثائق الى السفارة الروسية اذا كان فعلا قد أتى هو وأوراقه من تلك السفارة • بعد جهد رجعت هذه العائلة الى شقتهم في نحو الساعة السابعة مساءا •

ومنذ هذه اللحظة بدأت مخاوف (جوزنكو) مما سوف يصيبه جزاء الخطوة التى خطاها • فبعد أن دخلا الشقة شاهد من النافذة رجلين يقفان على الجانب المقابل من الطريق وهما يراقبان شقته (الشقة رقم ٤) ، وفى نفس الوقت دق باب الشقة وسمع شخصا يناديه باسمه وقد ميز الصوت فهو صوت (المساعد لاخرينتيف) وهو أحد سائقى الكولونيل (زابويتن)

فى السفارة • بقى (جوزنكو) وزوجته صامتين كالاموات الا أن الطفل أخذ يجرى فى الحجرة ويحدث جلبة تشعر من بالباب انهما حتما موجودان فى الشقة •

ذهب (جوزنكو) فى الحال الى الشرفة (بلكونة) فى الواجهة الخلفية من الشقة ونادى جيرانه الموجودين فى الشقة رقم ٥ وهم رقيب فى السلاح الجوى الكندى وزوجته وطلب منهما أن يرعوا طفله فى تلك الليلة اذا ما حدث أى سوء له ولزوجته • أدخله الرقيب الكندى فى شقته فأخذ (جوزنكو) يشرح له أنه يعتقد أنه فى خطر وأن لابد أن الروس قاتلوه هو وزوجته فى تلك الليلة •

كان هذا أول تبليغ أمكن (لجوزنكو) أن يبعث به الى العالم عن الفرق بين المجتمع الذى كان على وشك أن ينتقل منه الى المجتمع الجديد الذى سوف يحتمى به ومن ذاك اليوم اعتدنا أن نرى المواطنين من أى دولة اتوقراطية ــ يقتلون ــ اينما كانوا وبغاية البساطة ــ ولم نكن نعلم هذا فى عام ١٩٤٥ • ولم يعتقد بل ولم يصدق أغلب الناس أن روسيا قد تحولت ضد حلفائها ولما يمضى على نهاية الحرب غير أسابيع قليلة ، ولذلك كان هذا الخبر غريبا على الرقيب الكندى الشاب وزوجته •

تم الاتفاق بين الرقيب وبينه على أن يبقى الطفل مع الرقيب الكندى فى الشقة رقم ٥ حتى الصباح ، ولكن عندما كان الرقيب يودع (جوزنكو) عند الباب الخلفى عند الشرفة رأيا رجلا يسير على الرصيف خلف العمارة ، فزعج (جوزنكو) ورجا الرقيب الكندى أن يلجأ هو الآخر مع زوجته فى شقته ، وفى تلك اللحظة ظهرت السيدة التى تسكن فى الشقة رقم ٦ وأعربت عن استعدادها لقبول (جوزنكو) وزوجته فهى تسكن بمفردها ثم قام فى الحال رقيب الطيران على عجلته الى محل الشرطة للتبليغ •

وبينما كان (جوزنكو) وزوجته ينتقلان الى الشقة رقم ٦ وصل اثنان من كنستبلات الشرطة فى عربة النجدة وهما (والسن وماك كولوك) واستمعا الى الموضوع ثم وافقا على حراسة المبنى طيلة الليلة واعطيا تعليماتهما بأن يبقى نور غرفة الحمام موقدا طوال الليل والا يطفأ الا اذا حدث أمر خطير • لم يحدث أمر ما فى الثلاث أو الاربعة ساعات التالية ولكن قبيل منتصف الليل وصل أربعة من الروس وبدأوا يدقون باب شقة (جوزنكو) ــ رقم ٤ ــ وقد ظن رقيب الطيران الكندى وهو فى شقته رقم ٥ ــ أنهم من رجال الشرطة ففتح لهم باب شقته وعندما سألوه هل يعرف

أين (جوزنكو) أنكر معرفته شيئا عنه ورغما عن هـذا ظل الاربعة رجال يدقون باب شقة (جوزنكو) مدة طويلة وأخيرا ذهبوا ورجع الرقيب الى شقته . الا أن الاربعة الروسيين لم يتركوا العمارة ، فبعد فترة رجعوا الى الشقة رقم ٤ ودقوا الباب ثانية وأخيرا كسروا الباب عنوة ودخلوا الشقة .

في الحال أعطيت الاشـارة الى الكونستابلين (والسن وماك كولوك) فأتيا فى الحال الى الشقة ووجدا أنها فتشت ونهبت ووجدا أن (فيثالى بافلوف) السكرتير الثانى والقنصل فى السفارة الروسية وهو رئيس الادارة السرية الروسية في كندا كان مختفيا فى دولاب الملابس ، وآخر بالملابس العسكرية وهو اللفتنانت كولونل (مقدم) (رجوف) وهو مساعد (زابوتين) وكان يفتش فى دولاب فى حجرة قريبة من باب الشقة المكسور . والآخران كانا اللفتنـات (ملازم) (انجبيلوف) وهو من هـ . أركان حرب (زابوتين) و (الكسندر فارافونتوف) وهو كاتب شفرة فى السفارة .

أدرجت هذه الحوادث كلهـا فى التقرير الذى قدمته اللجنـة الكندية الملكية وننقل الآتى من صحيفة ٦٤١ من هذا التقرير :

(سأل (والسن) هؤلاء الرجال عما يعملون فرد عليه (بافلوف) وهو تقريبا الوحيد الذى كان يجيب على الاسئلة ، انهم روسيون ويبحثون عن أوراق خاصة بالسفارة الروسية وأن صاحب الشقة ترك المدينة وأنه الآن فى تورنتو وقد سمح لهم بالدخول فى الشقة وأن يأخذوا كل ما يريدون . ولكن (والسن) أوما بأنه من المضحك أن يكون عندهم الاذن بدخول الشقة ثم هم يكسرون الباب ويدخلونها قسرا ، ثم تناول محبس القفل من الأرض وقال (لايبدو انكم فتحتم بأى مفتاح ما بل أنكم دفعتم الباب دفعا وها هى آثار أيديكم على الباب) .

شهد (ماك كولوك) أن بافلوف قال (انهم أضاعوا المفتاح وكان لابد لهم من هذا لانهم يريدون الاوراق التى يطلبونها حتما ، ثم قال (بافلوف) ان هذه الشقة عقار روسى وانهم أحرار فيما يفعلونه فيها وقال (روجوف) ان الكونسـتابلين قد أهاناهم ثم طردهم (بافلوف) من الشـقة ولكن الكونستابلين رفضا أن ينصرفا حتى حضر مفتش الشرطة .

وبمعنى آخر أنهم كانوا فى كندا وليسوا فى دولة أتوقراطية حيث تقبل فيها غطرسة الرسـميين دون جـدال . وقد ارتكب (زابوتين) ومن معه

خطأين جسيمين ، فقد أخطأوا أولا فى قيامهم بعمل من شـأنه أن يضايق الدول الديمقراطية جميعها وذلك نتيجة لحادث الليلة عندما حاولوا التأكد من ولاء أحد موظفيهم ومعرفة مايدور فى رأسه ثم الاستعداد لمواجهة تصرفاته والأمر الثانى هو اقتحامهم على فريستهم بغشم وغرور غير حذرين من المجتمع الديمقراطى فلم يحذروا من يقظة الشرطة · كان (جوزنكو) أحد رجالهم ومذنبا فجاءوا يطلبونه · ولا شك أنه كان هناك ذعر بسببه فى السفارة الروسية فى ذاك اليوم وكانوا يترقبون القبض عليه بأسرع ما يمكن ولكن ها قد أصبح الموقف أسوأ وأسوأ ، ولا فائدة من احتجاجهم الذى قدموه الى وزارة الخارجية الكندية فى اليوم التالى وادعائهم بأن (جوزنكو) قد سرق أموال السفارة الروسية وبأن الكونستابلين كانا فظين فى حديثهما معهم وبأنه يجب القبض على (جوزنكو) وتسـليمه اليهم كمجرم · ذاع الخبر بسرعة ولم يعرف أحد ماذا ستكون نتيجة هذا الحادث ·

وصل مفتش الشرطة وسمح للروسيين بالانصراف وقضى (جوزنكو) وزوجته وطفلهما باقى الليلة فى الشقة رقم ٦ تحت رعاية الشرطة · وفى الصباح الباكر حاول الروس مرة أخرى دخول الشقة رقم ٤ فقد تسلل أحدهم ولكن سرعان ما انسحب · وفى صباح ٧ سبتمبر قدم (جوزنكو) مع الاوراق التى معه الى ضباط الشرطة الراكبة الكندية الملكية حيث اطمأن قلبه بعملية الشرطة التى كانت (دقة معلم) ولو أنها بدون قصد · وهكذا تطوع المجتمع بأن يحميه هو وزوجته من كل سوء ·

ولم يدرك كثير من الناس حقيقة ما جرى حتى العام التالى ـ ١٩٤٦ ـ بعد أن نشرت اللجنة الملكية نتيجة تحقيقاتهـا وكشفت عن عـداء الروس الدفين للعالم الغربى وعن حلقات الجاسوسية المتشعبة الكثيرة · فلم يكن الناس يعرفون اسم (الجارهيس Elger Hiss) ولم يعرفوا أننا داخلون فى عهد جديد من الثورة الاخلاقية حتى يجعلون من السوء بياضـا وحيث يقول الرجل مالا يضمر قلبه وحيث أصبح الوفاء الذى كان يدين به آباؤنا لا يعنى شيئا بالمرة فى هذا العصر ·

كانت حلقة الجاسوسية الكندية تافهة بالنسبة لهذه الحلقات الجاسوسية التى أنشئت فى سرعة (كما علم بعد ذلك من التحقيقـات) والتى كانت مرتبطة برباط دقيق بالمنظمات الدولية الكبرى ولكن اكتشافها قد وضع فى أيدينا الخيط للكشف عن حادثات هامة فانها لاول مرة كشفت عن العلاقات المخيفة بين الأخلاق الجديدة والطبائع الجديدة ثم بين الخونة والقنبلة الذرية ·

وأصبح منذ اليوم للخائن خطره الجسيم كمثل قوة الانفجار للقنبلة ذاتها ، بل أصبحوا أخطر من الاسلحة المدمرة التى طالما حلم الالمان باختزانها فى برلين ٠

والخونة أنفسهم لم يروا هـذا الرأى ولم يعتقدوا فى أنفسـهم أنهم فوضويون بل أن كثيرا منهم قاموا بعملياتهم وهم يعتقدون أنهم انما يقومون بعمليات نبيلة ، بل انهم كانوا يخلطون بين العلم والسياسة والنتيجة هى ما يسميه علماء الطبيعة (الجماعة الخطيرة والأمر المرعب شديد الانفجار) ٠

ولكن فى ١٩٤٥ بعد أن انتهت الحرب مباشرة وقد أجهدنا من شـدة القتال كانت لا تزال هناك فترة طويلة قبل أن يستسيغ الجمهور حدوث مثل هذه الخيانات وكان لابد من الكشف عن أمور كثيرة ٠ وفى نفس الشهر ـ سبتمبر ١٩٤٥ ـ عندما غادر (جوزنكو) السفارة الروسية فى أتاوا كان الدكتور (كلاوز فوخس) ويبعد عنه ببضعة آلاف الاميال الى الجنوب ، كان يسير بعربته من (لوس ألاموس) الى (سـانتافى) وقد سلم الى العميل الروسى تفصيلات القنبلة الحقيقية ، ومضت على هذا التاريخ أربع سنوات حتى علمنا بامره ٠

وفى نفس الشهر ـ سبتمبر ـ كان هناك شاب عالم نابه ايطالى يدعى (الدكتور بروتوبونتيكورفو) يعمل فى مركز بريطانى للبحوث الذرية على نهر تشوك فى كندا ، وهو كذلك لم يكشف أمر اختفائه هو وعائلته الا بعد مرور خمسة أعوام دون أن يتركوا أثرا لهم فقـد هربوا من العالم الغربى ووصلوا الى هلسنكى فى فنلندا ومنها لم يستدل عليهم أحد ٠

وهناك رجل ثالث هو (الدكتور الان ناى ماى) الذى كان فى نفس الليلة ـ ٥ سـبتمبر ـ راجعـا من زيارة ما عنـد نهر تشوك الى منزله فى مونتريال ، وكان يستعد للسفر راجعا الى انجلترا فى الاسبوع التالى ، لم يدر أحد من هؤلاء الثلاثة بارتداد (جوزنكو) وبل ولم يسمعوا عنه قط ، الا أن أقوال (جوزنكو) والتحقيقات التى جرت معه كشفت عنهم وحـكم عليهم أخيرا ٠ وهؤلاء هم الثلاثة :

Dr. Klaus Fuchs; Dr. Bruno Portecorvo; Dr. Allan Nunn May.

وقد كشـــف للأمريكيين كذلك عن الجواســـيس هاري جولـــد ، دافيد جرينجلاس ، جوليوس ، وايتل روزنبرج وغيرهم كثيرين •

(Harry Gold; David Greenglass; Julius; Ethel Rosenbery.) etc.

وقع (الان نان‌ماى) فى أخطر موقف وقد كان اســمه الكودى (أليك Alek) وذكر اسمه مرارا فى المكاتبــات التي أحضرها (جوزنكو) من السفارة الروسية ، وقد عبر الدكتور (ماى) الأطلنطى دون أن يعلم بالقدر الذى خبىء له بل وحضر ــ بمظهره البرىء ــ الى الكلية الملكية بلندن كمحاضر فى الطبيعة • وفى مارس التالى تقابل مفتش شرطة من اسكوتلانديارد مع الدكتور (ماى) عندما كان راجعا من احدى محاضراته وأبلغه بأمر القبض عليه •

وقضية (نان ماى) مشابهة الى حد كبير قضايا الآخرين ولم يكن هو أول كبار جواسيس الذرة الذين اكتشفناهم وقد مهد لنا عن الكيفية التى أمكننا بها تمييز الآخرين • وقد وجدنا أنفسنا أمام نوع جديد خطير من الخونة أمام رجل لم يسلم الاسرار الى العدو من أجل المال أو القوة أو خوفا من الانتقام أو اغترارا بأنه يعمل للجاسوسية أو حتى لاقتناعه عن عقيدة سياسية بل أنه خان الوطن لانه وجد أن فى حوزته معلومات فى غاية الاهمية فبفلسفته صمم على أن ينشرها بين جميع الدول على السواء خدمة للبشرية • وقد تصرف هذا التصرف علما بأنه أقسم بأنه لن يأتيه ، فكان هذا أمرا عجيبا وقد كان فى منأى بعيد بعد الآلاف من الاميال عن أى جواسيس آخرين من الجواسيس المحترفين أو الجاسوسات (الحسناوات) فلم نجد تفسيرا لهذا التصرف منذ أول أن عرف الجواسيس من أول (يهوذا جاســوس المسيح) حتى (ياجو جاسوس شكسبير) •

كذلك ــ فان قوة الاقتناع بارتكاب هذه الخيانة تتفاوت درجاتهــا عند هؤلاء الخونة ولا يمكن ايجاد قيــاس لها بين جواسيس الذرة ، فكل منهم مخادع يعيش بوجهين وليس فى هذا النوع من الخيانة من أمر جديد الا فى انهم جميعا تقدموا فى خياناتهم خطوات بعيدة ونجحوا نجاحا كبيرا • زيادة على هذا فان الثلاثة الخونة الذين سنأتى على ذكرهم فى هذا الكتاب (وهم نان‌ماى وفوخس وبونتيكورفو) قد اختلف كل منهم عن الآخرين فى عاداته اختلافا بينا وكذلك فى ماضيه وحياته الخاصة •

ولم تكن لجنسية كل منهم دخل فى هــذا الامر ، (فنان ماى) ولد فى انجلترا و (فوخس) ولد فى ألمانيــا و (بونتيكورفو) ولد فى ايطاليا • وتواريخ ميــلاد الجميع هامة فالفروق بين الثلاثة لا تتعدى عاما أو عامين وجميعهم ولدوا فى العشر سنوات الاولى من هذا القرن وبدأوا خياناتهم فى العقد الثالث من أعمارهم وهكــذا وقعوا تحت تأثير الحادثات السياســية المضطربة فى تاريخ أوروبا •

ومن ناحية أخرى ، لن يكون لفروق الجنســية أو الدين تأثير كبير فى التعرف على أى قاعدة لهؤلاء الخونة ، فان بونتيكورفو يهودى بينما الآخران مسيحيان • ولم يكن أحدهم متدينا متعصبا فى تدينه ولم يكن أحدهم فاسد الأخلاق فى حياته الخاصة : فلم يكن منهم من ألف العربدة فى السكر أو تعاطى المخــدرات أو مارس اللواط أو كان مجنــونا • وكان كل من (نانماى) و (فوخس) أعزبا ويعيش عيشة معتزلة بينما كان (بونتيكورفو) متزوجا وله ثلاثة أطفال وكان مرحا بطبيعته • وكان الجميع موهوبين ومثقفين ثقافة عالية ــ بل ربمــا كانت ثقافتهم العالية هى فى علم الطبيعة (الفيزيقيــا) فقط • وليس هناك مايدل على علوباعهم فى أمور الحيــاة والبشرية ــ فليس لديهم وقت لهذه الدراسة •

وربما لم يكونوا يوما أصدقاء ولو أنهم تقابلوا أحيانا فى ظروف مختلفة وتعرفوا على بعضهم البعض معرفة سطحية • بل أنه من المؤكد أن أحدهم لم يعرف أن الآخرين كانا يعملان من أجل الروس حتى تم القبض على الجميع : فالدكتور (فوخس) تحدث عن قضية (ماى) بين أصدقائه وهو فى غاية من التعجب والمفاجأة وكذلك تحــــدث (بونتيكورفو) عن قضيــة (فوخس) وبالطبع كان هذا أيضا خداعا منهم •

ولابد عند حديثنا عن ســير هؤلاء الثلاثة أن نذكر الحوادث السياســية المعاصرة حيث لن نجــد مايدعو الى ارتكابهم هذه الجنــايات الا بســبب تلك الظروف • ولا فائدة من البحث عن ماضيهم فى سنى الحرب العالمية الأخيرة فان السياسة الدولية بعد ١٩٥٠ تختلف تماما عنها قبل هذا التاريخ فلابد من دراسة أحوالهم تبعا لذلك • ثم أن ذكرياتهم الاولى عندما كانوا أطفالا كانت عن أيام الحرب فقد كانوا فى مدارسهم حتى سن العشرين فى وقت أن كانت أوروبا تجاهد فى عناء لاعادة التوازن بين الدول ــ فى وقت عم فيه التضخم والحكومات المنهارة والسياسات الجديدة التى نشأت عن القحط وعدم المساواة فى الرخاء بين الجميع •

وعندما بدأوا دراساتهم الجامعية كان العالم فى شبه حالة استقرار مرة أخرى الا أن الانهيار الاقتصادى شل العالم فجأة ، ولم يكن من المفاجأة أن الثلاثة الشبان الذين كانت نشأتهم قد اتفقتمع قيام الشيوعية الماركسية أن يروا فى الجمهورية السوفيتية الامل الابيض الوحيد فى هذا العالم الغير مستقر ٠

بعد ذلك ،فى الوقت الذى نالوا فيه شهاداتهم الجامعية وبدأوا يستزيدون من بحوثهم كانت النيران تأكل الريشستاغ (البرلمان الألمانى) فى برلين وبدأ النازيون فى اضطهادهم لليهود وللشيوعيين ، ومن ذاك اليوم (ربيع ١٩٣٣) كان سير الحوادث فى أوروبا كافيا لان يغرس فى نفس الطالب اليسارى العقيدة بأنه على حق وكل الحق ٠

(كان نان ماى فى كامبردج وفوخس فى كييل وبونتيكورفو فى روما) ٠

وفى بحر ست سنوات قام موسولينى باقتحام الحبشة (أثيوبيا) ، واليابانيون بالاعتداء على الصين ، وقامت الحرب الداخلية فى أسبانيا ، وقام الألمان باحتلال براج ، وأخيرا بدأت الحرب العالمية نفسها ٠ وكل من هذه الكوارث الجديدة كانت تبعث بالاعتقاد بأن روسيا واليسارية كانوا على حق من أول الامر : بأن لابد من تدمير الروح الفاشستية ٠

وأصبحت السياسة اليسارية الاجنبية هى السياسة الخارجية للحكومات الديمقراطية فى كل العالم ٠ واليسارية ـ بمعنى آخر كانت مألوفة وقانونية وخاصة فى الجامعات ، فهذه الحقيقة يجب أن نذكرها عند التحدث عن هؤلاء الثلاثة فى هذا الكتاب ٠

وانى اذ أذكر هذا لا أقصد أن أدافع عن الخونة (فان عشرات الآلاف من الطلبة الآخرين قد تأثروا بهذه المؤثرات نفسها ولكنهم لم يخونوا بلادهم كلية) ، ولكنى أذكر تتمة لحديثى عن ماضى خلقهم كقسم من تفسيرى له ٠

وعندما تحدثت عن تاريخ قضاياهم فى الصحائف التالية كان أمامى هدف أساسى واحد هو محاولة الكشف عن سبب ارتكابهم لهذه الاعمال ٠ وقد افترضت أنهم ليسوا جبابرة أو شواذ مصابين بمرض ما أو انحراف فى أذهانهم بل أنهم امتداد للمجتمع نفسه وهم الى حد ما شواذ عرضية فى هذا الزمن الذى نعيش فيه ، ومن المؤكد أنهم جميعا كانت لهم ظروف خاصة ٠ فلو أنهم كانوا مثلا علماء فى علم الحيوان لما حدث لهم هذا الظرف السىء ولما

سمع عنهم أحد لان الاسرار الخطيرة لم تقع بين أيديهم ولما فكر الروس في خداعهم • الا أن من حظهم أنهم كيمائيون وقد وجدوا أنفسهم في مدة قصيرة في حوزة أسرار خطيرة وانهم وصلوا بالصدفة الى قوة خارقة ولم يسبق أن دربوا على حسن استخدام هذه القوة ولم يصل أحدهم الى هذا المركز بقوة الخلق أو الانتخابات السياسية أو بالاقدمية أو ماأشبه ، بل أنهم حازوا هذه القوة ببساطة ومصادفة •

ولا تتاح لتسعة وتسعين في المائة منا الفرصة لان يغير مجرى التاريخ ولكنهـا أتيحت لهؤلاء الثلاثة ، وهم ليســوا جواسيس محترفين بل أنهم متعلمون كمعظمنا وقد كانت لهم آراؤهم عن المسائل السياسية في العالم ثم واتتهم الفرصـة والظروف فجـأة (بخلافنـا جميعا) فأخذوا ينفذون ما برؤوسهم • ولكن لم انقلب هؤلاء الاشخاص بالذات الى خونة دون بقية زملائهم وهم الغالبية العظمى ؟ ـ هذا هو السؤال الذى يجب أن نحصل على جوابه اذا ما حاولنا ادراك المعنى المقصود من الامن مرة أخرى ، فهناك آخرون مثلهم سوف يخضعون لمثل هذه الانفعالات • يجب أن نكتشف كيف تنمو روح الولاء عنـد الرجال ثم نعرف حقيقتهـا وبذلك نميز بين العـدو والصديق • يجب أيضا أن نعرف هل كانت ادارات الامن في بريطانيـا وأمريكا الشمالية قد أهملت في مراقبة هؤلاء الخونة وهل من الممكن اتخاذ احتياطات خاصة ضد مثل هؤلاء الناس مستقبلا ؟ سنحاول الاجابة على هذه الاسئلة في هذا الكتاب •

لم أحاول التعمق في النظريات المعقدة للعلوم الطبيعية (الفيزيقية) وهي موضوع الجريمة لهؤلاء الخونة ، فكل ما يعنينا هنا من الناحية الفنية هو النظام الادارى الذى كان مطبقا لعمل القنبلة الذرية ، وهذا يمكن شرحه ببساطة • فحول ١٩٣٩ اشتغل العلماء في جميع العالم في تطوير بحوثهم في انقسام الذرة وقد تبادلوا الآراء فيما بينهم وبعض هؤلاء العلماء وأكثرهم بروزا كان العلماء الالمان الا أن هتلر طردهم من وطنهم لانهم يهود ، فأتوا الى فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة • وعندما قامت الحرب بدأوا يفكرون في امكان تحويل اكتشافاتهم الى سلاح حربي جديد •

وفي كامبردج كما في أى مكان آخر في انجلترا جرت دراسات وتجارب كثيرة في الطبيعة النووية قبل قيام الحرب ، ومن العلماء الذين كان لهم باع في هذا النضال (السير جيمس تشادويك) ، و (السير جون كوك كروفت) وغيرهما من العلماء البريطانيين وقد انضم اليهم بعد ١٩٣٠ كل من (بيرلز

وسيمون وبورن) وغيرهم ممن طردوا من ألمانيا • وكانت انجلترا قبل الحرب على رأس الدول التى تبحث فى هذه العلوم ومتقدمة على ألمانيا وغيرها • وفى الأيام الأولى من الحرب بدأ العمل فى مسائل الطاقة الذرية فى حيز ضيق سواء فى بريطانيا أو الولايات المتحدة ، فقد اتجه علماؤنا فى الطبيعة النووية الى ناحية هامة وعاجلة أخرى وهى الرادار •

ووصلت الينا الاشاعات فى أوائل ١٩٤٠ بأن الالمان جارون العمل فى الطاقة الذرية فالعلماء الالمان الذين هم من جنس آرى والذين بقوا فى ألمانيا كانوا يعملون فى هذه الناحية ولكن معلوماتنا عن جهودهم كانت ضئيلة • ولذلك كان هناك شبه سباق فى عمل قنبلة ذرية ولكننا لم نعرف كلية من من الدول كانت سباقة ومن منها كانت متخلفة •

وبينما كان النازيون يتقدمون غربا فى أوروبا كان جماعة العلماء البريطانيين يكتسبون قوة بانضمام المهاجرين من العلماء اليهم ومن هؤلاء بصفة خاصة اثنان فرنسيان من علماء الطبيعة وهما (هالبان وكوارسكى Halban & Kowarski) اللذان هربا من فرنسا ومعهما ١٦٥ لترا من المياه الثقيلة التى اشترتها الحكومة الفرنسية أخيرا من النرويج • أما المهاجرون فبعضهم كان مواليا للعدو ، ولذلك لم يدمج العلماء الأجانب بسرعة فى البحوث السريعة والسرية عن الرادار بل أعطيت لهم الحرية فى تطوير آرائهم وبحوثهم عن القنبلة الذرية • ومنذ عام ١٩٤٠ وبعده بدأ هؤلاء العلماء فى نشاطهم مع العلماء البريطانيين فى تنفيذ برنامج حكومة (تشرشل) السريع عن البحوث مهما تكلف من مال (حيث أن بعضهم قد قدر التكاليف بثمن بارجة حربية) •

وفى ١٩٤١ دعت الامور الى توحيد جميع الجهود التى تقوم بها الجامعات منفردة وذلك تحت ادارة مركزية وعلى ذلك شكلت هذه الادارة سرا فى لندن فى أكتوبر ١٩٤١ تحت اشراف (السير دالاس ايكرز Sir Wallace Akers مدير الصناعات الكيمائية الامبراطورية Imperial Chemical Industries وقد سميت هذه الادارة باسم خداعى هو (مسابك الأنابيب Tube Alloys) ، وحررت عقود مع عدد من شركات الصناعات المشهورة لعمل التجهيزات اللازمة ، كما خصصت ميزانيات خاصة للبحوث • وعندما ظهرت النتائج بدأت المعلومات تتدفق بين المعامل المختلفة •

وفي نهاية ١٩٤١ جاء الى انجلترا عالمان أمريكيان هما (ج٠ ب٠ بجرام و هـ٠ س٠ يورى Pegram; Urey) لتبادل الآراء ومنذ ذلك الحين ، ورغما عن العقبات والتذبذبات السياسية سارت الجهود البريطانية والامريكية جنبا الى جنب ٠ وبما أن بريطانيا هى فى مرمى نيران العدو فقد سهلت أمريكا الامر كثيرا بموافقتها على نقل عمليات التجارب الى أمريكا الشمالية ٠ وفي تلك الايام الاولى من البحوث جند كل من (نان ماى) و (فوخس) للعمل فى انجلترا كما جند بونتيكورفو فى كندا ٠

عند قيامي بهذا البحث اعتمدت كثيرا جدا على المساعدة التى قدمتها له فرقة الطاقة الذرية التابعة لوزارة التموين البريطانية Atomic Energy Division of tbe British Ministry of Supply.

وكذلك من الكثير من العلماء والموظفين وغيرهم ممن عرفوا (نان ماى وفوخس وبونتيكورفو) فى مختلف مراحل حياتهم العملية ٠ وليس هذا الكتاب كتابا رسميا بل أن الفكرة الاصلية من كتابته كما أن تصميمه والآراء التى به هى كلها من عندى وحدى ٠ ومع ذلك فقد حاولت أن أكون صورة كاملة وأقرب الى العدل مما صورت به بريطانيا فى هذه القضايا ٠ وانى مدين للسلطات الحكومية لسماحهم لموظفيهم للتحقق مما ذكرت فى حدود الامن ولمساعدتى بكل جهدهم ٠

وانى كذلك قد أفدت من الوثائق الحكومية التى نشرت فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة وكندا فى الست سنوات الاخيرة ٠ ومن محاضر المحاكم والبيانات التى القيت فى مجلس العموم والكونجرس الامريكى ومن المقالات الكثيرة الغير رسمية التى كانت مزودة بالمعلومات والتى نشرت منذ كشفت هذه الحوادث :

واني وان لم أذكر أسماء كثيرين من الناس الذين عاونونى وشجعونى فذلك لأنهم لا يزالون يشتغلون فى مثل هذه الأمور ولا أرى ضرورة اشراكهم بأى طريقة فى الآراء أو النتائج التى ستذكر فى هذا الكتاب وهم ربما يوافقونني كما أنهم قد لا يرون رأيي ، فلا أقل من أن أبعدهم ولا أذكرهم فى الكتاب وأملي الوحيد أن يذكروا اجتماعاتى بهم وممنونيتى لهم وأن يتفضلوا بقبول شكرى ٠



الدكتور الان نان ماى

الباب الثاني

سيجد الناس الذين عرفوا (الان نان ماى) صعوبة في وصفه بدقة ، ولو أنهم قد يجدون المعنى الكافي لما يقصدون فقد كان يراه البعض رشيقا خجولا صغير الجسم جاف المزاج • ويتذكر الآخرون عنه أنه لا لون له بل هو شاب مستكن كالفار بل ككاتب البنك في احدى الضواحي فهو في غاية من الهدوء هياب • وكان يوم أن قبض عليه يلبس منظارا وكان ثابت الجاش وكان له شارب أسود كشارب هتلر • كان يسكن وحده في هدوء شامل ، وكان معيدا قديما في علوم الطبيعيات في كلية الملك بلندن بمرتب ٨٠٠ جنيها في العـــام • وعندما اســـترجع اصدقاؤه ذكرياتهم عنه لم يجدوا ما يذكرونه أكثر من ذلك ، بينما يمكنهم أن يتحدثوا ساعات عن (فوخس) و (بونتيكورفو) • وقد اتفق الجميع على أمر واحد هو أنه لا يوجد أى مظهر خاص أو هام لاحوال الدكتور (نان‌ماى) •

ولد في ٢ مايو ١٩١١ في كنجز نورتون بالقرب من برمنجهـــام في وزسستر شاير وكان أحد أشقاء ثلاث ذكور وبنت واحـــدة ، كان والده سباك نحاس متوسط الحال • ونشأ (الان نان ماى) مجدا مجتهدا غاية الاجتهاد وعندما كان في الثالثة عشر من عمره نال منحة مدرسية في مدرسة الملك ادوارد في برمنجهام ومنها نقلته هذه المنحة الى‌معهد ترينيتي بكامبردج • ويذكر مدرسوه في كامبردج أنه كان معتكفا ولكنه لم يكن خاملا أو أخرق كلية ، وكان له في كتاباته أسلوب خاص جيد جدا وقد أحس الجميع بأنه ســـوف ينجح ويبرز في انســـانيته كما هـــو ناجح في العلوم الطبيعية والرياضيات • وكان تقريره في كامبردج ممتازا : ففي ١٩٣١ نال الدرجة الأولى في العلوم الرياضية وفي ١٩٣٣ تخرج وحصل على B. A بالدرجة الأولى في العلوم الطبيعية • واستمر في كامبردج بعد التخرج فقد كان أحد أفراد فرقته البارزين وينتظر له مستقبل زاهر في ذاك العام •

وفي ١٩٣٦ نال الدكتوراه في الفلسفة وفي سبتمبر من ذاك العـــام زار لينينجراد •

لم يخف (نان‌ماى) يوما ميوله اليسارية ،وكان اليساريون فى انجلترا فى ذلك الوقت قليلين (فى الحلقة الرابعة من القرن العشرين) وهى الاعوام التى أعلن فيها الطلبة الذين تحت التخرج من اكسفورد عزمهم على عدم حمل السلاح من أجل الملك والوطن ·

وفى كامبردج حيث قضى (نان ماى) أغلب سنى انفعالاته وحيرته كانت هناك حركة قوية متجهة الى اليسارية ولم يكن من الغريب أن يميل الى الناحية المقاومة للفاشستية فيها ،وبالمثل كان الحال مع الكثيرين الآخرين مثل (دونالد ماكلين‌وجى بيرجيس) اللذين اختفيا من‌مكاتب وزارة الخارجية فى عام ١٩٥١ ولم يسمع‌عنهما كلية بعد هذا التاريخ ·واستعان اليساريون بطلبة الجامعات البريطانية ـ الذين هم فى العقد الثالث من سنى حياتهم وأثروا عليهم بالمنطق وبحق الانسانية وذلك عندما كانت الحركة الروسية لا تزال فى أولها وقد دعموا حركتهم بالسخط الشديد ·

كانت الماركسية ثورة قوية فهى تتطلب ايمانا قويا بالترفع عن الضعف الانسانى العادى والتنكر لكل شىء حتى الاهل اذا اضطر الامر ذلك · انها ترمى الى اعادة تكوين العالم ولا شىء غير ذلك ·

ولم تشعر الجامعات الانجليزية بالهزة العنيفة التى كانت ثائرة بين اليساريين واليمنيين فى أوروبا ولم تحدث تطهيرات ما فى انجلترا كما لم بستخدم العنف ولا سقى الثائرون زيت الخروع أو حبسوا فى معسكرات الاعتقال بل كانت دراسة الشبان وعقيدتهم الماركسية هى فلسفية لا سياسية ، ولكن نشأ حماس روحى بين الطلبة اليساريين ثم وجدوا الفرصة للعمل المباشر ·

ولد (نان‌ماى) ودرس فى وسط انجلترا وهى منطقة تأثرت تأثيرا شديدا بالتدهور الاقتصادى الذى حدث فى أواخر الحقبة الثالثة من القرن العشرين · وبجوار هذه المنطقة نجد ويلز حيث كان الكثيرون من عمال المناجم فى بطالة منذ عشر سنوات وأصبحت اليوم حالتهم مريعة · وفى أحد الايام حدث حادث مؤلم فقد جمع أربعة من العاطلين آخر ما معهم من شلنات واستأجروا عربة قديمة وساقوها فوق‌حاجز الشاطىء فى‌ويلز عند بريستول وقدموا احتجاجهم الاخير بأن قذفوا بأنفسهم وهم فى العربة فى البحر فقد وجدوا أن الحياة لا تستأهل الابقاء عليها أكثر من ذلك ·

بدأ بعض الطلبة فى كامبردج الاجتماع بالعمال وتفاعموا معهم بل أنهم حيوا طوابير الجوعى فى طريقهم الى لندن بل وقاموا بمظاهرات من أجلهم . وعندما ظهرت حركة ذوى القمصان السوداء بقيادة (السير أوزوالد موزلى Sir Oswald Mosley) وهى تقليد هزيل لحزب النازى والفاشست فى أوروبا ذهبوا الى اجتماعاته بقصد احداث الشغب والحقيقة أن الحرب الداخلية الأسبانية هى التى دفعتهم الى هذا وهكذا تنحى طلبة الجامعات فى كامبردج وغيرها من سن ١٩ و ٢٠ عاما عن دروسهم وذهبوا لجبهة القتال مع اللواء الدولى فى أسبانيا . لم يكونوا كثيرين عدا ولكن عندما قتلوا أو جرحوا أصبحوا أبطالا أمام الناس وكانوا أول شهداء فى التقليد الجديد للفلسفة ـ المثالية التى ستدفع عن العالم حربا أخرى .

لم يكن (الان نان ماى) رجل نضال ولذلك تسلل بهدوء بين هذه الحادثات . وقد تمكنت من نفسه هذه الفلسفة ولكنه لم يحاول فرضها بعنف ، لم يظهر ظهورا بارزا فى الاجتماعات السياسية أو فى المظاهرات بالطرقات وكذلك لم يتطوع فى القتال فى أسبانيا .

وبعد أن رجع من روسيا فى ١٩٣٦ مباشرة أصبح عضوا فى هيئة التحرير فى صحيفة (العامل الفنى Scientific Worker) وهى الصحيفة الرسمية للاتحاد الوطنى للعمال الفنيين ، وهى منظمة ضمت اليها كثيرا من الشيوعيين . ومن هذه النقطة وبطرق أخرى استمر فى معاونته اليساريين معاونة مستمرة ولكن باعتدال .

ثم قامت الحرب وأصبح النضال من أجل المبدأ عمليا فكان أغلب الطلبة والجامعيين (ومن بينهم جميع الذين صوتوا مع اكسفورد فى قرارها بعدم حمل السلاح من أجل الوطن والملك) نسوا السياسة وذهبوا الى ميدان القتال . وأدرج (اسم نان ماى) فى كشوف الاحتياط كعالم وكان قد ترك كامبردج قبل الحرب بفترة قصيرة وعين مدرسا فى جامعة لندن . نقلت فى ذلك الوقت الادارة التى تبع لها الى برستول فسكن فى لونج اشتون فى خارج المدينة مباشرة . أصبح اليوم وقد بلغ عمره ٢٩ عاما رجلا صاحب دراية فائقة فى العلوم الطبيعية العملية ولم يكن من الرعيل الاول ولكن من المؤكد أنه رجل سوف يكون له مستقبل زاهر ،وتصادق معه العلماء البارزون مثل البروفيسور (س. ف. باول C. F. Powell) وهو الذى نال جائزة نوبل للعلوم الطبيعية أخيرا . وبعد بدء الحرب مباشرة انتقل ثانية الى لندن حيث عمل مع (السير تشارليز ايليس Sir Charles Ellis) .

واستمر كذلك حتى ربيع ١٩٤٢ عندما وجده (ايليس) رجلا دقيقا في عمله وواسع الافق ومن أقدر الفنيين في معامل الطبيعة • وقد دعي (نان ماي) في أبريل ١٩٤٢ لينضم الى مشروع سبك الانابيب في المعمل الخاص بكامبردج وذلك بناء عن ترشيح ايليس ــ من ناحية ما ــ • وهو نفس المعمل الذى عمل فيه نحو ست سنوات بنجاح • وكان المعروف أن (نان ماي) يميل الى اليسارية في مناقشاته الخاصة ولكن الامر أخذ على أنه أمر عادى فقد كان كذلك الكثيرون من العلماء مثله ولكنهم الآن يكرسون كل جهدهم ليفوز وطنهم في الحرب ، وكان المعروف أن الرجل ذا الميل الى روسيا هو بالطبع يمقت هتلر • وفي يونية ١٩٤١ اقتحمت ألمانيا الأرض الروسية وكانت هي أقوانا (الحلفاء) وكانت في أغلب الوقت الحليفة الوحيدة المشتبكة في القتال فعلا •

علم (نان ماي) بأهم المعلومات السرية في عملياتنا بكامبردج ووقع بعد ذلك على قانون الاسرار الحكومية وهو يقوم مقام القسم والتعهد بعدم افشاء طبيعة أو تفاصيل ما يقوم به الى أى شخص غير مسئول • وفي الثمانية أشهر التالية كان يعمل في كامبردج باخلاص واجتهاد •

لا توجد أية بينة على أن (نان ماي) كان عضوا عاملا في الحزب الشيوعي أو أنه في هذه الثمانية أشهر كان متصلا بالمخابرات الروسية• وعندما قبض عنيه في ١٩٤٦ رفض أن يبيح باسم أى أحد ممن كان يتصل بهم بل أعطى أقوالا قصيرة يؤكد فيها المعلومات التى كانت قد عرفت عن خيانته في كندا ورفض أن يدلى بأى أقوال أخرى • ولابد أنه كانت له اتصالات مريبة عندما كان في كامبردج لان الأوراق التى قدمها (جوزنكو) تقر بأن مدير المخابرات الروسية في موسكو يعرف كل شيء عنه وأن مدير المخابرات في موسكو هو الذى أصدر تعليماته الى (الكولونل زابوتين) في أتاوة لكى يتصل (بماى) كما أصدرت موسكو له كلمة السر وهى (لك عظيم التحيات من مايكل) وهذا يوضح لنا أن (ماى) كان يعرف هذا الاصطلاح وربما عرفه لفترة طويلة وربما منذ أيام أن كان في انجلترا •

والظاهر أنه في ١٩٤٢ كان مندمجا في عمله بتوفيق حتى أنه في يناير ١٩٤٣ طلب منه أن يذهب الى كندا كأقدم عضو في الفريق البريطاني الذى يعمل مع الكنديين في مونتريال وكانت هذه الجماعة هي مجهود مشترك انجليزي كندى فقد رؤى أنه بالنسبة لاشتباك بريطانيا في الحرب في مجهود كبير فالأفضل أن يكون المجهود في التجارب العملية في الناحية الأخرى من

المحيط الأطلنطى ، كذلك يمكن للبريطانيين أن يحافظوا على اتصال وثيق مع الأمريكيين فى مونتريال وهذا خلاف امكان حفظ مشروع المياه الثقيلة فى أمن عنه فى انجلترا • وكانت منطقة نهر تشوك منطقة منعزلة فى الريف المكشوف غرب أتاوا وقد أختيرت أخيرا لتخزين المياه الثقيلة فيها • وفى مدى العامين والنصف التاليين عندما تم صنع القنبلة الذرية وقد كسبنا الحرب أخذ (ماى) يتنقل بانتظام بين نهر تشوك ومونتريال وزار مرارا معامل الارجون فى شيكاجو •

سافر الى كندا فى يناير ١٩٤٣ فى مركب شحن الموز مع نحو خمسة من زملائه وزوجاتهم وكان هو العالم البريطانى المولد فى الجماعة بل وأقدم الجميع • واذا استرجعنا الماضى الآن لتذكرنا أنه عند عبور النهر كان بعض الأعضاء قد لاحظ أن (ماى) لم يكن مرحا أنيسا كما لم يكن منعزلا ، لم يتطوع بأى عمل ولكنه كان مستعدا لان يقوم بما يكلف به • وفى ليلة كان الجميع يلعبون لعبة القاتل (كالعسكر وحرمية) وكان من الصعب على الكشاف أن يكتشف القاتل فى الظلام بين المقاعد وما اليها على ظهر السفينة • وتتذكر احدى السيدات اللاعبات (وهى زوجة أحد زملائه) أنه عندما جاء دورها لتبحث عن القاتل رأت (ماى) واقفا عكوفا وبمعزل عن اللعبة كلية فأهملته السيدة بالطبع وذهبت باحثة عن القاتل بين الآخرين وأخيرا اتضح أن (ماى) هو نفسه القاتل الذى كان يجب أن تكتشفه ! •

وفى كندا عاش أحيانا فى بنسيونات وأحيانا شارك آخرين فى شقة وأحيانا أخرى كان يسكن وحده • وأخيرا كانت له شقة وحده فى طريق سويل فى مونتريال • وكانت زوجات العلماء الآخرين يدعونه دواما الى العشاء وليس ذلك لصداقة خاصة بينهم ولكن لانهن كن يجدنه وحيدا فيأسفن له • الا أن الحياة فى كندا أبتسمت كثيرا (لألان نان ماى) فقد كانت نقوده كثيرة فصرف كثيرا كما تبدلت شوارع لندن المظلم (بسبب الغارات الجوية) بشوارع مضيئة مع ما تمتع به من الدفء والطعام الوافر والأمان • ورغما عما يشاع عنه من أنه شخص معتكف فقد نجح فى بعض اتصالاته ووجد الالفة والثقة التى افتقر اليهما فى حياته الأولى • وبكلمات أخرى وجد نفس البهجة التى أثرت على (جوزنكو) فتحول من الشيوعية الى الديمقراطية الغربية ولكنها أثرت فى (نان ماى) تأثيرا مضادا للذى فعلته فى (جوزنكو) • ولم يعترف كلية ـ كما فعل فوخس ـ بالمؤثر السرى الذى لعب بعقله والظروف التى جعلت منه خائنا •

كان في مركز مريح ومضمون طول مدة النصف الاخير من الحرب ويعتقد أصدقاؤه أن هذا من الاسباب التى عاونت على تصميمه على ايصال المعلومات الخطيرة الى الروس فهى فرصة رجل وجد في يده ما يمكنــه بكل حرية أن يتصرف فيه فرغب فى أن يبرهن على نفسه أنه بطل وهو فى هذا المركز المريح ٠

كان (نان ماى) عالما طبيعيا تجريبيا (فى التجارب العملية) وكان عمله يتعلق فى النواحى الكبرى من البحوث الذرية أكثر منها عن القنابل ذاتها ٠ ومع ذلك فقد علم ببعض الخطوات التى تنتهى الى عمل القنبلة وعرف بالقواعد الجرافيتية فى هانفورد وبانتاج البلاتونيوم كما علم بكل ما تم فى مونتريال وبالمياه الثقيلة فى نهر تشوك ، وقام بأربع زيارات الى شيكاجو فى ١٩٤٤ وكان وحده ، وكتب (الجنرال ليسلى ر٠ جروفز) القائد العسكرى لمنظمة البحوث الذرية الامريكية فى خطابه الى عضو الشيوخ (هيكينلوبر) ما يعلم الامريكيون عن (نان ماى) ٠ والآتى هو بعض ما كتب (جروفز) فى خطابه المؤرخ فى ١٢ مارس ١٩٤٦ ٠

اجرى عنه التحرى اللازم لاغراض الامن بواسطة المخابرات البريطانية وقررت صلاحيته وأهليته للاشتراك فى أى عمل خاص بالطاقة الذرية ٠ ولم يكن من عادتنا أن نبحث عن ماضى الشخص فلم يكن ذلك عمليا لان نتال موافقة المخابرات البريطانية عن منح ثقتنا لاى فرد قد تحروا هم عنه ٠ وانى متأكد أنهم لم يجدوا ما ينقض أنه مخلص تمام الاخلاص وأنه نزيه نزاهة لا شك فيها ٠

واستمر الجنرال فى حديثه فقص تفاصيل زيارات (ماى) لشيكاجو ثم قال :

وفى هذا الوقت (أكتوبر ١٩٤٤) قضى (ماى) وقتا أطول للحصول على معرفة أكثر فى الارجون أكثر من أى طبيعى فيزيقى لبريطانى آخر ٠ ولو أنى لا أعرف قطعا أى سبب يدعونى لارتاب فيه ، فانى لم أحب له أن يحصل على مثل هذا المدى البعيد من التطورات المستقبلة فى هذه العلوم ٠ ولهذا السبب ، ففى ربيع ١٩٤٥ لم أوافق على التصديق له بطلبه عمل الزيارة الرابعة فى نفس الشهر ٠ ولم يعد (ماى) لمعامل شيكاجو قط كما لم يقم بأى زيارة أخرى لمؤسسة منطقة مانهاتان (وهى الاسم الذى اعطى لهيئة البحوث الذرية فى الولايات المتحدة) ٠

وفي هـذا الامر تناقض ظاهر فالجنرال (جروفز) يقول (نحن نقبل [illegible]
لا نمنحهم ثقتنا) ٠

والجنرال (جروفز) بالطبع في مركز حرج ، فالامريكيون أرادو أن يساعدوا البريطانيين ولكن هؤلاء البريطانيين معذلك يعتبرون أجانب عنهم ٠ ولا يملك الأمريكيون أن يتحروا عن العلماء الذين أرسلوا اليهم حتى أن كان ذلك سهلا عليهم فكان عليهم أن يأخذوا نتيجة تحريات البريطانيين عن ثقة ، ولو أنه من الضروري اجراء بعض تحريات أخرى بصفة خاصة ما دام جواسيس الذرة سواء الامريكيين أو البريطانيين كانوا في أمريكا منذ زمن طويل ، وأغلب عملياتهم الجاسوسية قد قاموا بها في أمريكا ،

ومن الامور التي يؤسف لها أن أحد أغراض هذا الكتاب هو البرهان على أن جميع اجراءات الامن كانت بكل تأكيـد قاصرة وخاصـة من ناحيـة جاسوسية الذرة ، وذلك في جانبي المحيط الاطلنطي (أمريكا وأوروبا) على السواء ، وهي نقطة سوف نرجع اليها في الصفحات التالية ٠ وكل ما نريد أن نلفت النظر اليه هو أن ارتياب الأمريكيين في البريطانيين ـ وهو ارتياب تأكد وجوده أخيرا ـ وكان له تأثير كبير على ذهن (الان نان ماي) ، حيث أنه طالما حافظ الانسان على سره عن أصدقائه بدا عليه الغموض ٠ ومهما كانت لهذا الشخص أحسن النوايا فلابد أن يولد هذا الغموض عدم الثقة فيه ٠

ولا يحب أحد أن يبقى هائمـا في الظـلام ولا يدري من أمر الآخرين شيئا وكان من الواضح أن العلماء البريطانيين في كندا كانوا يشعرون أنهم على جهل بمجريات الامور وخاصة في الايام الاولى من التجارب عندما كانوا في انتظار سقيم في مونتريال حتى تصل الادوات وكميات المياه الثقيلة التي سيجرون عليها تجاربهم ٠ ومن الجنون أن نظن أنه كان هنالك بين الامريكيين والبريطانيين أي تبادل للمعلومات على مدى واسع فقد حد الامريكيون من اتصالاتهم مع روسيا وكان هذا الامر بالنسبة لرجل (كالان نان ماي) الذي كان يتصور في نفسه أنه أحد منقذي العـالم ـ مؤلما ، ولكن الحقيقة هي بخلاف ذلك ٠ فالروس كانوا حلفاءنا ، اذن فلابد من أن نثق بهم ثقة تامة ٠ وقد رأى (ماي) بمنطقه الخاص أن نتغاضى عن أن الروس هم أسوأ الشركاء

وأنهم أكثر تشككا عن الامريكيين أنفسهم ففى أثنـاء الحرب لم يثقوا كلية بحلفائهم الغربيين ومع ذلك فكان للروس تقديس خاص فى أعين (نان ماى) فربما دان لهم العالم بعد الحرب ، وعلى ذلك صمم على أن يهدى اليهم كل معلوماته سواء التى يعرفها أو التى يسرقها من أجلهم حتى يعوضوا ماهم فيه من جهل .

وقد عرفت كل الخطوات التى استدرجت (نان ماى) الى الجاسوسية وذلك من الوثائق التى أحضرها (جوزنكو) من السفارة الروسية فى أتاوا من أقوال (جوزنكو) نفسه . وثبت أنه بدأ اتصاله بالروس فى ربيع ١٩٤٥ وهو نفس الوقت الذى بدأت فيه محاولة تجربة القنبلة الذرية فى صحراء (الامونجوروو) وكان رجال المخابرات الروسية وقتئذ يحاولون المستحيل للحصول على معلومات عنها . وقد حاول مدير تلك الادارة في موسكو ذلك فطلب من الكولونل (زابوتين) فى أتاوا أن يتصل (بنان ماى) عن طريق (فريدروز Fred Rose) العضو الشيوعى فى البرلمان والذى كان أحد الاعضاء المركزيين فى الشبكة الكندية . الا أن (زابوتين) وجد أن هـذا الاتصال سيكون عرضه للكشف وفى ذلك كل الخطر فطلب على ذلك أن تسمح له موسكو بأن يسـتخدم أحد رجاله وهو (الملازم بافيل ايجيلوف Lieut, Pavel N. Angelov.) ليجرى هذا الاتصال معه . (وانجيلوف) هو أحد الرجال الاربعـة الذى اقتحموا شقة (جوزنكو) يوم أن ارتد عن الشيوعية . وقد كانت عادة رجال المخابرات الروسية أن يغيروا أسـماء عملائهم الحقيقية حتى فى داخل الشبكة وكان الاسم الكودى لانجيلوف هو (باكستر Baxter) كما أصبح اسم نان ماى (اليك Elek) . تم الاتصال أخيرا مع (اليك) بطريقة ما (لم نعرفها بعد) وأفادوه بأن (باكستر) سيتقابل معه وسيذكر له كلمة السر وهى (لك أطيب تحيات مايكل) .

فى هذه المرحلة كانت تعليمـات الروس الاولى الى (نان ماى) هى الحصول على معلومات عن اليورانيوم والطاقة الذرية أكثر مما هو مطلوب عن القنبلة ذاتها . وفى طوال الربيع وأوائل الصيف تمت عدة مقابلات مع (باكستر) سلم فيهـا (اليك) كل المعلومات التى فى جعبته عن البحوث الذرية فى كندا والولايات المتحدة ، فأرسلت كل هذه المعلومات بالبرق الى موسكو وتبعتها نفس المعلومات بخط يد (نان ماى) . وقد سلم (باكستر) الى (اليك) ٢٠٠ دولارا فى أبريل ١٩٤٥ مقابل هذه الخدمات ، وزجت هذه الاوراق المالية فى داخل زجاجة ويسكى حتى لا يكشفها أحد فى أثناء مقابلة الجاسوسين التى كانت عادة تجرى فى الطريق .

وفى نفس الوقت قدمت زجاجة ويسكى حقيقية الى (ماى) وعندما رجع (باكستر) الى السفارة كتب تقريره عن هذه المقابلة مؤداها (سلمت ٢٠٠ دولارا الى اليك مع زجاجتين من الويسكى فى ١٢ ـ ٤ ـ ٤٥) ٠

بعد ذلك وفى يولية حذر (اليك) الروس بأن عمله فى كندا سوف ينتهى وأنه سوف يرجع عاجلا الى لندن ، فأبرق (زابوتين) الى موسكو بهذا ورد عليه المدير فى ٢٨ يولية ١٩٤٥ ببرقية نصها :

حاول أن تأخذ منه قبل أن تغادر كنـدا معلومات عن تقدم العمل فى اليورانيوم ثم استفهم منه عن : هل يعتقد أن من صالحنا أن يبقى فى كندا ؟ وهل يمكنه أن يحاول ذلك أو ان الافيد له ومن المحتم عليه أن يرجع الى لندن ؟ ٠

اتصلوا ثانية (بنان ماى) فى الاسبوع الاول من أغسطس وظهر أن هذا الاتصال كان أفيد وأقيم اتصال استفاد منه الروس لان (نان ماى) نجح فى سرقة عينات دقيقة من نظـائر اليورانيوم من معـامل مونتريال وسلمها اليهم ٠ وفى ذلك الوقت كانت القنابل الذرية الاولى قد اسقطت وأمكن (لاليك) أن يكتب تقريره عنها كذلك ، ولا شك أنه حصل على هذه المعلومات من عصارة اذهان بعض العلماء ٠

وقد اعتبرت هذه العينات مع التقرير الكتابى الذى قدمه (ماى) فى غاية الاهميـة حتى أن الكولونل موتينوف Motinov مسـاعد الملحق العسكرى الروسى فى أتاوا سافر بهما طائرا الى موسكو وكانا معه فى علبة مكتوب عليها بخط (ماى) (٥ر٢) أو (٢٥٠) (مشبع) ٠ وفى نفس الوقت أرسلت البرقية التالية : الى المدير ٠

المعلومات التالية اعطاها لنا (أليك) (ا) الاختبار الذرى الذى أجرى فى نيومكسيكو (مع ٤٩ و ٩٤ ـ ٢٣٩) القنبلـة التى القيت على اليابان صنعت من اليورانيوم ٢٣٥ ٠ والمعلوم أن انتاج اليورانيوم ٢٣٥ فى مصانع تفتيت الذرة المغناطيسى فى كلينتون تقدر ب ٤٠٠ جراما يوميا ٠ وأما انتاج ال ٤٩ فالمعتقد أنه ضعف هذه الكمية (هناك خطة لانتاج الوحدات الجرافيتية لاجل ٢٥٠ مليون وات أى ٢٥٠ جراما يوميا) ٠ وقد أعدت البحوث العلمية فى هذا الميدان للنشر ولكن بدون أى تفصيلات فنية وقد نشر الامريكيون فعلا كتابا عن هذا الموضوع ٠

(وكان هذا الكتاب عبارة عن تقرير (هـ· و· سميث Smyth) الذى نشرته حكومة الولايات المتحـدة في أغسطس ١٩٤٥ وهـو لا يزال (حتى ١٩٥٢) أوفى تقرير كتب عن كيفية صنع هذه القنبلة الذرية) ·

أعطانا (اليك) صفحة من البلاتين هي عبـارة عن ١٦٢ ميكروجرام (جزء من مليون) من اليورانيوم ٢٣٣ فى هيئة أكسيد فى رقاقة دقيقة · ليست لدينا أى معلومات عن البريد) ·

وقعت البرقية باسم (جرانت) وهو الاسم الكودى لزابوتين · وكان (زابوتين) قادرا أيضا على أن يرسل تفصيلات أكثر مما أمده بها ماى عن قنابل من الطائرات الامريكيـة التى تتحكم فيهـا اليكترونيـا وهى التى استخدمت بعد ذلك ضد الطائرين الفدائيين اليابانيين · وأخيرا فى هذا اليوم السـعيد (للروس) ، تسلم الروس تقريرا من (ماى) عن رجل انجليزى آخر هو (نورمان فييل Norman Veall) الذى كانوا يفكرون فى استخدامه وقد زكاه (ماى) · ولو أن (فييل) كان أحدث رجل وأصغر منه بثماني سنوات ، الا أن (ماى) كان يعرفه تمام المعرفة وقد تقابلا فى كامبردج فى اجتماعات اتحاد الصناع العلميين وفى يوم ما وصى (ماى) بمنح (فييل) درجة فى العلوم الطبيعية ، ولهذا الغرض زار (فييل) فى منزله أسبوعا · وكان الاخير عضوا فى جماعة من العلماء البريطانيين الذين عبروا الاطلنطى الى كندا ولكن على سفينة أخرى فى نفس الوقت الذى جدد فيها (ماى) وزميلاه الآخران تعرفهم على بعضهم البعض فى مونتريال ·

شهد (فييل) أمام اللجنة الكندية الملكية فقال أنه كان عضوا فى جماعة الشبان الشيوعيين · Young Communist League

قال (عرفت قليلا من الشيوعيين فى كامبردج وكان منهم على الأقل اثنان هم صديقان مقربان الى · واستمر عملى فى نفس المعمل) ·

كان (فييل) صريحا جدا فى التعبير عن آرائه السياسية والتى من أجلها أحب (ماى) ولكن (ماى) حذره من ذلك وهما فى كندا ، فقد كان ماى نفسه حذرا في اثناء حديثه في السياسة عندما كان في مونتريال حيث كان من قوانين المخابرات الروسية الا يتصل عملاؤهم بتاتا بالحزب الشيوعى وزيادة عن ذلك فقد عرض (فييل) نفسه للشبهات عندما كان يحمل أوراقا شيوعية معه بل وزار السفارة الروسية فى أتاوا علنا ــ وهو أمر ممنوع

كليــة على العملاء الحاليين أو الذين تحت التجنيــد معهم . وعلى ذلك ففى أغسطس ١٩٤٥ عندما طلب من (ماى) ابداء رأيه عن صلاحية (فييل) ، كان رده دقيقا جدا فقد قال أن (فييل) كان فى منصب صغير ومعلوماته قليلة ويميل الى الاهمال وضرب مثلا لذلك بأنه فى أحد الايام بدأ (فييل) مناقشته معه وكانت لا تزال زوجة (فييل) فى الغرفة ، والاسوأ من هذا أنه كان معروفا فى العمل فى مونتريال بأنه (أحمر) .

ونتيجة لهذا أن الروس قرروا عدم استخدام (فييل) بل وحــذرت شبكة الجاسوسية منه . ولا توجد بينة على أن (فييل) قدم أى معلومات للروس فى أى وقت فبرأته اللجنة وقالت عنه (لم يســلم (فييل) أى معلومات خاصة بأعمال الذرة لان الروس أنفسهم لم يطلبوا منه ذلك عن عمد) .

ولكن منذ تلك اللحظة كان زابوتين فى شدة الحاجة الى عميل يعتمد عليه فقد أخذ المدير فى الضغط عليه ملحــا فى طلب تفصيلات أخرى . فقام (زابوتين) برحلة الى المنطقة القريبة من نهر تشوك حتى يمكنه أن يرى بنفسه المصنع من الخارج ثم استعجل رجاله فى الحصول على كل معلومات يمكنهم الحصول عليها . وفى ٣١ أغسطس أبرق رسالة يصف ضيقه الى المدير الذى كان غاضبا غير راض بالمرة وقال فى برقيته :

(أرجوك أن تخبرنى الى أى مدى كان (اليك) موفقا فى معلوماته عن اليورانيوم لكم ولعملائنا ـ من حيث تقاريره عن الانتاج ألخ ـ أن ذلك أمر ضرورى لنا حتى يمكننا تعيين عدد من طلباتنــا عن هــذا الموضوع لعملاء آخرين) .

وعندما قدم (ماى) عيناته ذهب لزيارة نهر تشوك فى ١٦ أغسطس وكان ذلك بعد أن أخبر الروس أنه لا داعى لوجوده فى كندا لمدة صغيرة : كان عليه أن يرجع الى انجلترا فى منصب ينتظره وهو فى كلية الملك فى لندن . وكان من الضرورى اذن أن تتخذ ترتيبات بعناية حتى يمكن لمان أن يعمل اتصالاته فى انجلترا من جديد فى حالة ما اذا نجح فى الحصول على معلومات جديدة فيها .

أخذت الاتصالات من أجل هذه الترتيبات دورا طويلا مابين لندن وأتاوا وموسكو وأرسلت عدة برقيات عن هذا الموضوع عن طريق (جوزنكو) فى

السفارة ، وكانت هذه البرقيات من المدير الى (زابوتين) : نظم ترتيبات المقابلة وكذلك بكلمة السر (لاليك) مع رجلنا فى لندن ثم أبرق بها ٠

وأجاب (زابوتين) على هذه البرقية فى نهاية يوليه بالآتى الى المدير :

رتبنا أمر مقابلة (اليك) فى لندن ٠ سيعمل (اليك) فى كلية الملك بستراند ٠ من الممكن الاتصال به عن دليل التليفون ٠

المقابلات ستكون فى أكتوبر ٧ أو ١٧ أو ٢٧ فى الطريق أمام المتحف البريطانى ٠ والوقت هو الساعة ١١ مساء ٠ واشارة التعرف هى ــ (أطيب تحياتى الى مايكل) ٠ لن يمكنه البقاء فى كندا ولابد أن يطير الى لندن فى أوائل سبتمبر وقبل أن يغادر كندا سيذهب الى مصنع اليورانيوم فى منطقة بيتاوا لمدة أسبوعين وقد وعد بمقابلتى اذا أمكنه قبل سفره ٠ وقال أنه لابد أن يرجع فى العام التالى الى كندا لمدة شهر ٠ سلمناه ٥٠٠ دولارا ٠

اتصلت موسكو بعد ذلك بعملائها فى لندن الذين اقترحوا تغييرا فى بعض الاجراءات ٠ على ذلك أرسل المدير برقية الى (زابوتين) فى ٢٢ أغسطس ١٩٤٥ نصها :

ترتيباتك للمقابلة غير موافقة ٠ أرسل لك ترتيبات أخرى ٠

١ ــ المكان ــ أمام المتحف البريطانى فى لندن على شارع جريت راسل وفى الجانب الآخر من الشارع وبالقرب من شارع المتحف ومن ناحية شارع محكمة توتنهام ٠ أعيد الوصف مرة أخرى ــ شارع محكمة توتنهام سيأتى الرجل الوسيط من الجانب الآخر لشارع ساوتهامبتون ٠

٢ ــ الوقت ــ كما ذكرته فى برقيتك ومع ذلك فالاوفق أن تتم المقابلة فى الساعة ٢٠ اذا كان ذلك يوافق (أليك) حيث أن الساعة ٢٣ سيكون الظلام حالكا ٠ والآن اتفق مع (أليك) ثم أبرق لى ٠ وفى حالة ما اذا كانت المقابلة لا تتم فى أكتوبر لابد أن ترسل الى بذلك وسنعين لك اليوم والساعة فى الاشهر التالية (كانت لندن فى عام ١٩٤٥ فى شبه ظلام مستمر احتياطا للغارات) ٠

٣ ـ ستكون كلمة السر من الرجل الوسيط هي (ما هو أقرب طريق الى الشاطى ؟) ٠

أما (أليك) فيرد عليه (اذن فاتبعني لانى ذاهب اليه) وفى أول الحديث الجدى سيبدأ (أليك) بقوله (أطيب تحياتى الى مايكل) ٠

أرسل لنا بعد أن تبلغ التفصيلات الى (أليك) ٠

لاشك أن كل هذه التفصيلات أرسلت الى (ماى) ٠ وقد أتم آخر زياراته الى مونتريال ونهر تشوك فى ٣ سبتمبر وبعد ذلك بأيام قليلة سافر الى انجلترا فوصلها فى السابع عشر من سبتمبر وبعد ذلك بأيام قليلة أخرى استلم مركزه الجديد فى كلية الملك بلندن ، ولم يكن عمله فى هذا المنصب متصلا عن قريب أو بعيد بالامور السرية ٠ ومع ذلك فقد كانت عنده الرغبة والعزيمة للسير فى طريق الخطيئة ، ولكن لم يكن لهذا نتيجة ما لان (جوزنكو) هرب من السفارة الروسية فى أتاوا وقام رجال المخابرات الكندية بترجمة جميع البرقيات الروسية التى ذكرناها فى هذا الباب وانتهت بذلك جاسوسية (الان نان ماى) ، على الاقل لمدة عشر سنوات من اليوم وربما الى الابد ٠

الباب الثالث

ليس الغرض الاول من عمليات مقاومة الجاسوسية دائما هو القبض على الجواسيس ، بل أحيانا ما يفضل ترك الجاسوس حرا حتى يمكنك مراقبته وهو طليق ثم تعرف وسائله التى يعمل بها بل وأيضا شخصيات الوسطاء الآخرين الذين يتصل بهم • وهى عملية مفيدة جدا اذا ما كنت متأكدا من أن الجاسوس قد أبعد عن سرقة المعلومات الهامة ، وهى نقطة يعلم بها الجواسيس جيدا ، ولذلك فالتحذيرات الأولية التى يحذر لها العملاء الروس فى اجتماعاتهم هى أنهم يتأكدون فى كل مرة أنه لم يكشف أمرهم أو لم يراقبهم أحد •

وهناك اعتبار آخر ، وهو أن غالبا ما تقوم اجراءات مقاومة الجاسوسية على انصاف الحقائق ، والفروض ، التطورات ، والتخمينات • وغالبا ما تتمكن من القبض على نصف حلقات السلسلة ثم تعجز عن الباقين • وقد تكون متأكدا بالمنطق من أن هذا الرجل مذنب لا جدال فى ذلك ولكن البينات التى بين يديك لا يقوم لها وزن قانونى أمام المحكمة فلن يمكنك اذن اقامة الدعوى •

وكذلك قد يحدث غالبا أن ضباط مقاومة الجاسوسية لا يوافقون على اعلان شهاداتهم جهرة حتى لا تفسد قضايا أخرى يقومون بتحقيقها ، أو كما يقول الناس (قد تفوز بالسردينة ولكنك تفقد سمكة القرش) •

جرى الحديث فى كل هذه الامور مع (المستر ج ادجارهوفر) رئيس المباحث الجنائية وأعوانه عندما مثل أمام لجنة الشيوخ الفرعية الخاصة بواشنطون فى فبراير ١٩٥٠ فقد قال (فى القضية الجنائية يكون آخر ما ترمى اليه هو التعرف على شخصية الجانى والقبض عليه • أما فى قضايا الجاسوسية فأول خطوة هى معرفة شخصية الجانى • والاهم من ذلك هو التأكد من معرفة جميع وسطائه ، وأغراضه ، ومصادر معلوماته ، وسائل اتصالاته • أما القبض عليه والاعلان جهرا عن القضية فهى آخر ملاذنا

والأفضل أن نعرف من هم هؤلاء الجواسيس وماذا يعملون ثم شل حركاتهم من أن نعلن عنهم جهرا ثم نقـوم بمجهودات مضنيـة كي نتعرف على من سيخلفهم في الجاسوسية) ٠

والنتيجة أن أحدا من رجال القسم المخصوص في اسـكوتلانديارد لم يتقدم للتحقيق مع (الان نان ماى) أو يقبض عليه عندما جاءتهم الاخبار من كندا بأن اسمه ذكر في أوراق (جوزنكو) بل كان من أهم الامور معرفة هل سيقوم (الان) باتصاله بزميله في ٧ أو ١٧ أو ٢٧ من أكتوبر وأن لم يكن في أكتوبر ففي نوفمبر أو في ديسمبر أو لا يتصل كلية ٠ كذلك كان من المهم معرفة شخصية الرجل المفروض أنه سيتقابل معه ٠ وكان المفروض طبعا أنه بعد أن ارتد (جوزنكو) عن الشيوعية سيقوم الروس بالتتميم على الاوراق التي سلمها للغرب ثم ينذرون عملاءهم تبعا للظروف ٠

لم نتأكد من شيء من هذا ٠

وشارع جريث رسل وهو مكان موعد المقابلة هو شارع تجارى كبير في وسط لندن ٠ وهو مشهور بالواجهة الطويلة التي يحتلها المتحف البريطاني فيه والعمارات الاخرى التي يؤجر أغلبها المطابع والناشرون الكبار ٠ومراقبة واجهة المتحف البريطاني أمر سهل جدا لانها عبارة عن مكان مكشوف بدون دكاكين ما لتشغل الرصيف كما لا يوجد أي ازدحام فيه في الساعة الثامنة مساء ومن الممكن مراقبتها من نوافذ الجانب الآخر من الطريق ٠

ولكن لم يأت (الان نان ماى) في أي موعد من المواعيد الثلاثة من شهر أكتوبر كذلك لم يظهر في نوفمبر والادهى من ذلك أنه لم تظهر على تحركاته في كلية الملك أى شـوائب أو ظنون ٠ فقد قام بالقـاء محاضراته في علم الطبيعة في الكلية بطريقة عادية وظهر بمظهر عضـو عادى جدا في هيئة الجامعة ٠ سكن في ستافورتيراس في كسنجتون ولم يقابل الا عددا محدودا من الاصدقاء وهكذا قضى حياته في هدوء ٠

وعلى ذلك يحتمل أن يكون قد أنذره الروس كما لا يمكن أن يكون قد علم بمسألة ارتداد (جوزنكو) أو التحقيقات التي جرت في كندا لان الجرائد لم تعلم بالأمر حتى ١٥ فبراير ١٩٤٦ عندما أصدر المستر (ماكنزى كنج) بيـانا عاما أعلن فيه أن هنـاك لجنة ملكيـة قامت بالتحقيق في أمر تسرب معلومات سرية الى دولة أجنبية ٠

فحتى وقت هذا البيان كان المستر (كنج) قد قضى خمسة أشهر فى ارتباك عصيب · وفى سبتمبر الاخير كان قد تدخل فى المسألة بنفسه فقام بزيارة المستر (ترومان) فى واشنطون ثم سافر الى لندن لمقابلة المستر (أتلى) فوصل الى ساوتمبتون فى ٦ أكتوبر وهو مساء أول أيام مواعيد المقابلة التى سيقوم بها (الان ماى) خارج المتحف البريطانى · وقد عرفت شخصية (ماى) معرفة تامة ثم روقب كما روقب المتحف البريطانى ولم يضبط كما ذكرنا ·

وفى نفس الوقت تدخل كل من (المستر أتلى والمستر كنج) تدخلا مباشرا فى القضية وبكثير من الجدية ·وكان مؤتمر موسكو على وشك الانعقاد فى خريف ١٩٤٥ وسوف يحضره رؤساء وزراء الخارجية فى جميع دول هيئة الامم الكبرى ، وكان هناك أمل فى أن يوضح الروس فى أثناء هذه المناقشات عن سياستهم الدولية فى النهاية ·

لم يتأفف (المستر أتلى ولا المستر ترومان) من جو المؤتمر وهوسته من قبل أن يبدأ ومن المؤكد أن نفس الشعور كان سوف يحدث لو أن المستر (كنج) قام بفضح أعمال السفارة الروسية فى أتاوا · ولكن مع ذلك كان لابد من مضى أسابيع طويلة ليقوم فيها رجال الشرطة الكندية بترجمة وفك عقد الوثائق التى أتى بها (جوزنكو) وكانت نحو ماية من الوثائق ، ثم معرفة شخصية جميع العملاء الذين ذكروا تحت أسماء كودية · ونتيجة هذه المشكلة أن المستر كنج ظل ساكتا ولم يأت بسيره شىء ·

فى الشتاء التالى مرت الحادثات وانتهى مؤتمر موسكو بدون نتيجة ·· وفى ديسمبر اختفى الكولونل (زابوتين) فقد ترك أتاوا دون اخطار الحكومة الكندية التى كانملحقا عليهاوركب السفينة الروسية (الكسندرسوفوردذف) من نيويورك وأبحرت السفينة خفية وليلا دون أن تتبع تعليمات الميناء · وقد نشر أحد المحررين الصحفيين الروس خبرا غير مؤكد ـ بأن الكولونل قد توفىعلى أثر نوبة قلبية عند وصوله الى روسيا ، ولم يسمع عنه شىء بعد ذلك أبدا ·

وفى نفس الوقت اختفى أيضا بعض أعضاء جماعة (زابوتين) وأهمهم اللفتنانت كولونل (موثينوف) ، ومساعد الملحق العسكرى (روجوف) وكذلك اختفى وسيط (الان نان ماى) وهو (انجيلوف) · وأخيرا رحل السفير الروسى نفسه (ج· ن· زابوتين) الى روسيا فى زيارة عادية ولكنه

لم يرجع كلية ٠ وكان من الواضح أن هناك شبه انقلاب فى ادارة المخابرات الروسية (وكان مديرها قد اختفى هو الآخر) ولم يحتج الامر الى ذكاء لاستنتاج أن الروس اليوم قد علموا بأن كندا بدأت تستفيد من الوثائق التى وصلت الى أيديهم وبدأت النتائج تظهر ٠

وحتى فبراير التالى لم يكتشف شيء عن (نان ماى) ولكن الشرطة فى كندا بدأت تقبض على بعض المشتبه فيهم الذين كانوا يراقبونهم منذ أشهر مضت وسارت الامور فى مجراها ٠ وفى ٣ فبراير أعلن المستر (درو بيرسون) الصحفى الامريكى فى الاذاعة أن هناك حلقة جاسوسية كانت تعمل فى كندا وفى ٥ فبراير صدر أمر تشكيل لجنة ملكية وأعلن المستر (كنج) بيانه فى ١٥ فبراير وتعاون رجال الشرطة فى كندا وانجلترا ، حتم القبض على ثلاثة عشر شخصا فى كندا أما فى انجلترا فقد بدأ التحقيق أولا مع (ماى) فقد قابله الكوماندر (بيرت) فى فندق شل ــ ميكس ٠ ومن أول لحظة بل وفى طول التحقيق بدأ (ماى) هادئا ويتكلم بالمنطق ولم يظهر عليــه الخوف ٠ سأله (بيرت) هل كان يعلم أنه قد حدث تسرب للمعلومات الخاصة بالطاقة الذرية من كندا ؟ فأجاب أنها أول مرة يسمع بهذا ٠ وعندما ذكر (بيرت) أسماء (زابوتين وانجيلوف وباكستر) قال أنه لا يعرف شيئا عن هؤلاء وأنكر أن أى أحد اتصل به فى كنــدا من غير المســئولين أو أنه ســلم أى معلومات سرية الى أحد ما ٠ ثم سأله (بيرت) باعتباره مواطنا بريطانيــا أليس من واجبه أن يعاون المسئولين بأى مساعدة ممكنة ؟ فأجاب (ماى) عن هذا (الا اذا كانت فى أمر مقاومة الجاسوسية) وعندما طلب منه تفسير هذا قال أنه لا يحب أن يعطى أى بيانات من شأنها أن تورط أصدقاءه ؟ ٠

على هذا قفل التحقيق ٠ فقد كســب رجال التحقيق شــيئا فقد كان اعتراف ضمنى بأنه يخفى معلومات وأن (ماى) اذا أفشــاها فســيؤذى أصدقاءه ٠ رجع اليــه (بيرت) مرة أخرى فى ٢٠ فبراير وكانت الرقابة شديدة على (ماى) فى هذه الخمسة الايام بين يومى التحقيق كما وصلت معلومات جديدة عنه من كندا ٠ وفى هذه المرة ووجه علنا بأنه كان معروفا أنه يتصل بالروس فى كندا وأنه قد تحدد له موعد مقابلة عند وصوله الى لندن ــ ولم تعلن له باقى المعلومات التى جمعت عن القضية بل اكتفى بما يقنعه منها بأن (اللعبة انكشفت) وأخيرا استسلم وقال (لا ٠ لم أذهب الى هذا الموعد فانى عندما رجعت الى لندن صممت على أن انفض يدى من كل هذه المسألة) وظل يرفض الافصاح عن وسطائه كما ظل مصمما على أن له الحق فى كل ما عمله ثم أملى هذا الاعتراف المكتوب :

(منذ عام مضى عنـدما كنت في كنـدا واتصل بى شـخص لا أبوح بشخصيته ثم زارني في شقتي الخاصة في شارع سوايل بمونتريال ، وكان يعرف أني أعمل في معمل مونتريال فطلب مني معلومات خاصة بالبحوث الذرية . واني كنت أرى وأعتقد تماما أن التطور في بحوث الطاقة الذرية ليست من حق الولايات المتحدة فقط ، فصممت على هذا القرار المؤلم جدا وهو أنه من الضروري نقل المعلومات العـامة عن الطاقة الذرية . ولهـذا السبب قررت أن أجيب على الاقتراح الذي عرضه على هذا الزائر .

(بعد هذه المقابلة الاولية قابلت هذا الشخص في مرات متتالية عندما كنت في كنـدا . طلب مني أمورا معينة لآتي اليـه بمعلومات عنهـا وهي معلومات لا تعنيني ـ وأقصد بذلك أنه يصعب على أن أدركها . ولكنه طلب مرة عينات من اليورانيوم ثم معلومات عامة عن الطاقة الذرية .

(وفي صباح أحد الايام سلمت هذا الشخص كميات ميكروسكوبية من ى ٢٣٣ و ى ٢٣٥ (واحدة من كل نوع) . وكان ى ٢٣٥ عبارة عن عينة مركزة خفيفا وفي أنبوبة زجاجية صغيرة احتوت على نحو ملليجرام من الأكسيد . أما ى ٢٣٣ فكان نحو عشر الملليجرام وكان عبارة عن طبقة خفيفة جدا على رقاقة من البلاتين وملفوفة في قطعة من الورق .

(كذلك أعطيته تقريرا مكتوبا عن البحوث الذرية كما أعرفهـا وهذه المعلومات كانت غالبا من النوع الذي سبق نشره أو على وشـك أن ينشر علنا) .

(كذلك طلب مني الرجل معلومات عن القنبلـة المضـادة للطـائرات الأمريكية الالكترونية ولكن معلوماتي عنهذه الاوجه قليلة جدا ولذلك كانت المعلومات التي سلمتها عنها تافهة .

(كذلك طلب مني أن أقدم لهم أشخاصا يعملون في هذا المعمل ومن هؤلاء رجل اسـمه (فييل) ولكني نصحت بالا يتصلوا به (وأعطـاني الرجل (وحدث هنا كتابة ٢٠٠ ثم شطبت) بعض الدولارات ـ لا أذكر عددها ـ في داخل زجاجة ويسكي وقد أخذتها منه رغما عني .

(وقبل أن أغادر كندا رتبوا لي موعدا مع شخص لا أعرفه بعد رجوعي الى لندن وأعطوني تفصيلات دقيقة عن كيفية الاتصال به ولكني نسيتها الآن

ولم أذهب الى الموعد لانى قررت أن هذه الخيانة لا تلائمنى بعد اليوم بالنسبة لاحتمال اطلاق المعلومات الخاصة بالطاقة الذرية رسميا وايجاد رقابة دولية عادلة عليها ٠

(كانت المسألة شائكة ومؤلمة لى فانى ما اندمجت فيها الا اعتقادا منى بأنى اشترك بهذا العمل لحماية الانسانية وانى أؤكد انى لم اشترك فى هذا الأمر جريا وراء المال) ٠

قبض على (ماى) فى ٤ مارس ١٩٤٦ فقد ذهب مفتش المباحث وليام (هوايتهيد) من القسم المخصوص الى كلية الملك وقابل (ماى) فى الساعة ٣٫٣٠ ظهرا بعد خروجه من المحاضرة ٠ ولم يرد المفتش أن ينفذ أمر القبض فى داخل الكلية فقال له ـ (أن معى أمر بالقبض عليك وسأقرأه عليك بعد لحظة ثم طلب من (ماى) أن يخرج معه الى الطريق فخرج وركب عربة الشرطة التى كانت فى انتظارهما ثم قرأ (هوايتهيد) الامر ٠ لم يعترض (ماى) وأخذ الى محكمة باوستريت واتهم بمخالفة قانون الاسرار الحكومية ولم يبد كذلك أى اعتراض بل ولم يبد أى اعتراض حتى الآن ٠

فى هذا الوقت هدأت العاصفة ، فالبيان الذى ألقاه المستر (ماكنزى كنج) والذى يذكر أن هناك آخرين كثيرين خلاف (ماى) سوف يقبض عليهم قد أظهر للجمهور أول صورة للمؤامرة فى موضوع قضية خيانة حديدة وقد ضمت أسرار القنبلة مع أسرار الجاسوسية وبذلك فتحت باب العلاقات العدائية بين روسيا السوفيتية ودول الغرب ٠

وفى ٢٠ فبراير بينما كان التحقيق جاريا مع (ماى) فى لندن أرسل (سولومون لوزوفيسكى Solomon Lozovski) نائب وزير الخارجية فى موسكو فى طلب (ليون مايراند) القائم بأعمال السفارة الكندية وقرأ عليه البيان التالى :

(يهم الحكومة السوفيتية أن تعلن الآتى :

(علمت الدوائر السوفيتية أنه فى الايام الاخيرة من الحرب تسلم عدد من هيئة الملحقين العسكريين السوفيتيين فى كندا من بعض الوطنيين الكنديين من أصدقائهم بعض المعلومات ذات الصبغة السرية وهى عموما قليلة الاهمية للحكومة السوفيتية ٠ وقد ظهر أن هذه المعلومات هى خاصة

بتفصيلات فنية ليست الحكومة السوفيتية فى حاجة اليها بالنسبة للتقدم الكبير الذى أحرزه الاتحاد السوفيتى فى هذا الميدان • ويمكن الحصول على هذه المعلومات فى النشرات المطبوعة والاذاعة وما اليها وكذلك فى الكراسة الأمريكية المشهورة (الطاقة الذرية ـ تأليف د• هـ• سمايث Atomic Energy - H. D. Smythe) •

(على ذلك فمن السخرية ـ التأكيد بأن نقل مثل هذه التفصيلات من المعلومات التافهة قد يهدد الامن فى كندا •

(بل أنه حالما علمت الحكومة السوفيتية بهذه الاجراءات التى قام بها بعض أفراد هيئة الملحقين العسكريين السوفيتيين فى كندا ، استدعى الملحق العسكرى السوفيتى من كندا بالنسبة للتصرفات الغير قانونية التى أتى بها أفراده •

(ومن ناحية أخرى يجب العلم بأن السفير السوفيتى وجميع الافراد الآخرين من هيئة السفارة السوفيتية فى كندا ليس لهم ضلع فى هذا كله) •

واستمر البيان على هذا النحو حتى أنه اتهم صحف كندا والحكومة الكندية باثارة الكراهية والحقد بين البلدين •

وكانت آخر نقطة فى البيان قد أشير فيها عن (زابوتين) وعن مدير المخابرات السرية الروسية فى موسكو •

أما عن (جوزنكو) فقد ذكر اسمه الكودى الخاص الذى لم يعرفه السفير نفسه • أما الكذب الصريح فهو أن المعلومات التى سلمتها حلقة الجاسوسية الكندية وخاصة تلك التى سلمها (الان نان ماى) بالذات انها كانت تافهة أو مذكورة فى الكتب الاميرية العلنية • فقد كانت المعلومات التى قدمها (الان نان ماى) أعمق مما ذكرها سمايث فى تقريره بل هى أعمق من أى شىء سبق نشره حتى اليوم • وبخلاف ما قيل من أن روسيا لم تكن فى حاجة اليها فالمدير فى موسكو كان ـ كما رأينا ـ فى غاية من الرغبة فى الحصول عليها •

مع ذلك لم يخبر (ماى) رئيس الشبكة عن كيفية عمل القنبلة الذرية فلا يوجد فى كندا كلها من يعلم كيفية عمل هذه القنبلة ـ بل أن هذا السر لا يعرفه الا عدد قليل من الناس فى واشنطون وفى لوس الاموس فى مكسيك الجديدة ولا يطلع (ماى) على أى أوراق تأتى من هاتين الجبهتين ٠

لم تجتذب محاكمة (نان ماى) فى لندن كثيرا من الاهتمام أو السخط الشعبى ، ففى هذا الوقت كانت قد أوقفت نيران الحرب ، واهتم الناس بكل جوارحهم الى نوع آخر من الخيانة قام بها أناس مثل (وليام جويس) الذى كان يعمل فى اذاعة النازى فى برلين طول مدة الحرب (وهو انجليزى أطلق الانجليز عليــه اســـم اللورد هاوهاو ــ) أما ذوو الميــول النــازية فى فرنسا وايطاليا وهولاندا وبلجيكا فقد قبض عليهم جميعا فى عام ١٩٤٦ ، أما (الان نان ماى) فقد اعتبر أنه أخف وطأة فهو رجل تعدى حدوده ليس الا وذلك بتقديم مســاعداته لحلفاء وطنــه وهم الروس ٠ حتى المتحمسين للسياسة والذين رأوا أن الحرب مع الألمان انتهت وأن هنــاك نضال جديد سوف يحدث وهو الشرق ضد الغرب ، لم يروا هذه الفرصة ملائمة للتظاهر ضد روسيا ٠ فاذا كنا نريد أن نصادق روسيا لخلق أساس للتفاهم التبادلى وتحاشى أى حرب بأى ثمن ولم يفكر أحــد ما فى حرب جديدة بل أردنا (عالما واحدا) كما يقول (وندل ويلكى Wendell Wilkie) ٠

تقدم كثيرون من العلماء الذين عملوا فى القنبلة الذرية واقترحوا أنه مادام لا يزال هناك الوقت الكافى لتطور صنع هذا السلاح الرهيب ، يجب أن نقوم باجراءات قانونية وهى الاجراءات التى قام بها (الان نان ماى) بطريقة غير قانونيــة وفى حيز صغير ، فنقوم اذن بكشــف هذه المعلومات للروس حتى يمكننا أن نصل الى اتفاق معقول معهم ٠ واقترحت أمريكا عن طريق رئيسهم المستر (برنارد باروخ Bernard Baruch) وغيره فى ليك سكسيس أن تحرم هذه القنبلة وكانت هذه فرصة كبيرة فقد كانت الولايات المتحدة مستعدة للتنازل عن محلها المتقدم فى سباق الاسلحة الذرية ثم تدمير كل مخزوناتها منها وتحول جميع معاملها للتطورات السلمية من الطاقة الذرية ـ مع اشتراط أن تؤكد روسيا من جانبها بأن تقوم بنفس الشىء ٠ الا أن البسطاء من الناس رأوا أن هذا الامر غير ممكن لروسيا التى جاهدت كثيرا فهى لن توافق على هذا ولكن يمكن بطريقة أو بأخرى التغلب

على شكوك روسيا من ناحية نوايا الغرب واخلاصه وكان هـذا فى ١٩٥٢ ولكنه لم يكن كذلك في ذاك الحين • وجاسوس مثل (الان نان ماى) وهو يتعاون مع روسيا لم يكن متعمقا فى دراسات السياسة الدولية وأزماتها • أنه أعطى ضمانا للروس باحتيال غريب أن هناك أناسا فى الغرب فى جانب الشيوعية وهم يودون أن يتساوى الروس معهم فى عالم حر وفى سلام •

وهذا بالطبع يفسر أكرم تفسير حركات (نان ماى) وقبلت اعترافاته على هذا الوجه ما دام لم يؤخذ على أنه شيوعى وعلى ذلك أراد أن يرى طريقة التفكير الروسى لا الديمقراطى وهو يسود العالم • أنه أراد ـ كما نرى ـ ليس عالما واحد بل عالما روسيا أو شيوعيا واحدا • وهو كشيوعى لابد أنه كان معدا لان يرى هدم تعاليم الديمقراطية لتتحقق آماله •

الا أنه كان رجلا ذكيا ، ومثل هذا الرجل يفكر فى طريقة يأمن بهـا سلامة العالم ولم ينظر لهذا بعين الفنان بل كان معتدلا مثل (اينشتاين Einstein) وصارما مثل (بروخ Baruch) وكان محاضرا جامعيا ومن هذا كانت الفضيحة ، فالرجل الجامعى لا يجب أن ينزلق فى هذه الامور• لم يكن فى الصفوف الاولى بين علماء الطبيعة ومعذلك فكان حقيقة رجلا قادرا وكان ممثلا لاحـد المعـاهد الكبرى فكان من المحزن أن يظهر أمام محكمة الشرطة • فلابد أن هناك حدث وربما ذكر أمامهم شيئا هو دون الحقيقة عندما قال (عندما رجعت قررت أن أغسل يدى من كل هذا ••) فهو أمر يؤلمنى وانما ارتكبته لانى ظننت أنى أؤمن البشرية بهذه الطريقة أو بمعنى آخر أدعى أنه قام بأكرم عمل ولكنه لم يعترف أنه أخطأ قطعا ، هـذا هو ما وسعه فى أفقه البعيد الذى كان يعيش به • وهذا هو الموقف الذى تقدم على أساسه محاموه للدفاع عنه فى المحكمة •

استجوبته محكمة الشرطة مرتين ثم حوكم مرتين كذلك كل مرة على حدة وقد أجرت كلها فى غاية من السرية وفى أضيق حيز من الشـهود • فظهر أولا فى محكمـة شـارع باو فى ٥ مارس ١٩٤٦ ثم بقى فى الحبس الاحتياطى مدة أسبوعين حتى جمع الادعاء بينات أخرى ثم فى ٢٠ مارس قدم لمحكمة شارع باو وأقر بأنه غير مذنب واحتفظ لنفسه بدفاعه وبعد سماع ملخص تاريخ حياته واعترافه والظروف التى تم فيهـا القبض عليـه قرر القاضى تقديمه لمحكمة أولد بيلى مع رفض دفع الكفالة •

أعدت محكمة أولد بيلى لمحاكمته فى أول مايو ١٩٤٦ اعدادا كاملا وكان المستر (جيستيز أوليفر) هو المدعى العام Justice Oliver والسير (هارتلى شاوكروس) المدعىHartley Shawerose والسير (جيرالد جاروينار) محامى عن المتهم Gerald Gardiner وفتحت الجلسة كالآتى :

سكرتير الجلسة : (الان نان ماى) ــ أنت متهم بافشاء معلومات مخالفا بذلك قانون الاسرار الحكومية بند ١٩١١ وذلك بأنك فى يوم ما بين أول يناير و ٣٠ سبتمبر ١٩٤٥ ،وبسوء نية ضد سلامة ومصلحة الدولة أوصلت الى شخص غير معروف معلومات هى معبترة أو ربما تكون مفيدة للعدو ·

هل أنت مذنب أو غير مذنب ؟ ·

المسجون · مذنب ؟ يا الهى ! ·

ثم بدأ السير (هارتلى شاوكروس) يصف القضية بأنها قذرة بالنسبة لرجل وضع نفسه فوق القانون وفوق مستوى السياسة التى اختطتها أمته ــ ولو أن هناك بعض الناس الذين ظنوا أن الاكتشافات الذرية يجب أن تنشر بين جميع الدول على السواء ولو أن هذا هــو أمل الجميع والذى يجب أن نرمى الى تحقيقه وهو أن تتمكن هيئة الامم المتحدة من وضع اشتراطات يثق بها الجميع وينفذونها فى سبيل تحقيق هذا الأمل ·

أن (نان ماى) قد ســبق أن وقع على قانون الاسرار الحكومية بالعلم والتنفيذ ، وهو يعلم تماما ما كان يعمل ومع ذلك فقد أفشى المعلومات فى مقابل أجر تقاضاه على هذه الفعلة · قرىء اعتراف (الان ماى) بأكمله ما عدا ما يختص بعينــات اليورانيوم فقــد كانت هذه التفصيلات لا تزال سرية وقتذاك ·

وصرح المستر (جارينار) فى دفاعه بأن العميل الذى سلمه (نان ماى) المعلومات روسى ثم أن (ماى) لم يسلمه الاسرار الحقيقية للقنبلة ذاتها وكل ما فعله هو أنه وفر على بعض العلماء الاجانب المشــتغلين بالطاقة الذرية بعض الوقت فى بحوثهم · واســتمر المســتر (جارينار) فى دفاعه قائلا فالدكاترة يرون ــ سواء خطأ أم صوابا أنهم اذا اكتشفوا أمرا يفيد البشرية فمن المحتم عليهم أن يعملوا على أن يتداول فى صالح البشرية لا أن يحبسوه على جماعة محدودة من الناس ، لذلك هناك علماء ينحون هذا النحو وهذا الرأى · ولكن عندما قام (ماى) بعمليته هذه لم يستشر العلماء البريطانيين

بل نفذ خطته على مسئوليته وحده دون أن يستشير أحدا ما • ففى فبراير ١٩٤٥ ـ عندما ارتكبت هذه الجرائم ـ كان معظم الجيش البريطانى فى هولندا ولم يعبروا نهر الراين بعد وكان الروس فى طريقهم الى برلين واعتاد الناس أن يصفوهم بأنهم حلفاؤنا الذين يقومون بنصيبهم فى هذه الحرب بشكل مرضى • وربما كان من الهزل أن يصفهم أحد فى ذاك الوقت بأنهم أعداؤنا أو أعداؤنا فى المستقبل •

عند هذه النقطة تدخل المدعى العام قائلا (يالهى • يجب أن أوضح مؤكدا بأنه لم يكن هناك أى نوع من الافتراض بأن الروس كانوا أعداءنا أو أعداءنا المنتظرين • وقد سبق أن قررت المحكمة أن هذه الجريمة هى فى ايصال المعلومات الى أشخاص غير مسئولين ـ سواء كانت لسيادتكم أو لى أنا أو لاى شخص آخر • والمقصود بهذا البند أنه ما دامت هذه المعلومات قد خرجت عن دائرة حكومة جلالة الملكة ولو كان الى أشخاص هم لاول وهلة نراهم أصدقاءنا الحميمين فقد فقدنا القدرة على التحكم عليها ومن ثم قد تقع فى أيدى العدو) •

رجع المستر (جارونر) الى دفاعه عند النقطة التى شرح فيها أن (نان ماى) قد تأثر بالبيان الذى ألقاه المستر (تشرشل) عن هذا بأننا منحنا روسيا كل معلوماتنا الفنية والاقتصادية التى فى يدنا والتى قد تعينهم على جهودهم • وقد شعر (ماى) سواء خطأ أو صوابا ـ بالحنق لان الوعود بمنح المساعدات الفنية التى نفذت نحو أحد الحلفاء يجب أن تنفذ نحو الحليف الآخر •

ثم اختتم المستر (جارونر) قوله بالآتى (أنه لم يستفد شيئا ما عدا ما كنا نستفيده كلنا عندما نقوم بعمل نعتقد فيه أنه صواب ـ ولكن هو •• قد فقد كل شىء) •

سئل (ماى) هل عنده ما يقوله فرد (لا ياسيدى) •

وفيما يلى خطبة المستر (جستيس أوليفر) :

يا (الان نان ماى) ، قد استمعت بشىء من المفاجأة الى بعض الامور التى ذكرها محاميك العالم والذى كان لابد أن يضعها أمامى وقد صورك رجلا ذا شرف وقد أديت ما تعتقد بأنه صواب ليس الا ولكنى لا أرى هذا

الرأى بتاتا • كيف يملا الغرور السخيف رجلا له مركزك ويسمح له الخبث أن يدعى بغير حق لنفسه أن يقرر فى أمر كهذا فى حين أنك وقعت بيدك على تعهد كتابى بألا تفعله وقد عرفت أنه أحد أهم الاسرار الثمينة فى حين أنك كنت تستولى على مرتبك سنين فى مقابل أن تحفظ هذا السر لامتك ؟ أن فعلتك هذه خطيرة وانى أرى أنك لم تكن فى هذا شريفا بل كنت غير شريف بل أرى أنك كنت خسيسا • وسواء كان المال هو الغرض مما فعلت أو لم يكن ، فانك فعلا قد تسلمت مالا • أن هذا لفظيع ! والجزاء الذى تستحقه هو السجن لمدة عشر سنوات) •

لم ينطق (ماى) بأى شىء للدفاع عن نفسه وكذلك رفض أن يبوح بأسماء وسطائه أو يساعد السلطات بأى وجه للقبض عليهم • دخل (ماى) سجن ويكفيلد فى يوركشايار وبذلك غاب عن الانظـار • كانت قضيته كمسرحية مثلت فى مسرح خاو فقد ألقى الافتتاح فى مسرح ليس فيه من يجيب عليه قبل أن يبدأ تأهيل الجو للقضية وقبل أن تبدأ القضية المحزنة • وكان لا يزال هناك صدى لصوت أو صوتين من أصوات هذه القضية يرنان فى آذاننا اليوم (عام ١٩٥٠) وما بعده عندما مثلت بيننا مثل هذه الخيانة مرة أخرى وقد ثار شعورنا لمثل هذه الخيانات المؤلمة •

فبعد هذه المحاكمة بشهر أو اثنين أصــدر اتحــاد العمال العلميين فى بريطانيا بيانا يدعون فيه الى تخفيف الحكم القــاسي جدا والقاضى بسجن (نان ماى) عشر سنوات ـ وقال البيان (أن الجريمة لا تستحق هذا فأقصى العقوبة المنصوص عنها فى لائحة الطاقة الذريةهى السجن لمدة خمسة أعوام• وانا نرى أنه لم يعمل حساب المجهود الايجابى الذى اشترك به الدكتور (ماى) فى كسب الحرب بأعماله العلمية ، فالجزاء بعيد عن أى تقدير لصغر الجريمة التى ارتكبها) •

بعد ذلك بأيام قليلة قام عضو مستقل فى مجلس العمل هو (المستر و• ج• براون) وطلب من وزير الداخلية المستر (تشاتر ايدى) أن يعيد النظر فى الحكم •

وقال المستر (براون) آن من الواضح جدا أن (ماى) ليس مجرما عاديا وليس خائنا بمعنى الكلمة • أنه نال جزاءا أقسى مما وقع على كثير من الذين باعوا أمتهم للعدو • أن جميع أسرار القنبلة الذرية لا تزال فى ميدان الشك فهل أطمع فى أن يعيد وزير الداخلية النظر فى الحكم من جديد ؟ •

فأجاب المستر (ايدن) : أن هذا الرجل هو أحق من يطلب هذا الطلب ولو أنه لو كان طلب هذا لصادفته بعض العقبات ، ولا يزال الباب مفتوحا أمامه ليطلب مد فترة طلب الاستئناف • لذلك لا أقبل الاعتراض أو البيان الذى قدمه العضو المحترم •

ولا يمكننى أن أتغاضى عن سلوك رجل قال أنه كان مصمما على نشر كل ما فى رأسه من معلومات ، ومع ذلك فهذا الرجل قد باع فعلا المعلومات التى أخرجها وهو فى خدمة هذه الدولة لدولة أجنبية كى يستخدمونها لمصلحتهم الخاصة •

عند ذلك علت الهتافات فى مجلس العموم ، بعد ذلك قام اتحاد العمال العلميين بمحاولة أخرى فأرسلوا مندوبين عنهم الى المستر ايدن فى العام التالى (١٩٤٧) وطلبوا منه مرة أخرى أن يخفف الحكم • وكان على رأس الوفد (المرحوم البروفيسور هارولد لاسكى) ولكن الجواب كان لا •

بعد ذلك لم يسمع شىء عن هذا الموضوع وبالطبع يأمل (نان ماى) تخفيف الحكم بمقدار الثلث باعتبار انه سيكون حسن السلوك فى السجن أى سيكون سجينا مثاليا فاذا حدث هذا فمعنى ذلك أنه سيفرج عنه فى نهاية هذا العام أو أوائل عام ١٩٥٣ بعد أن يقضى ست سنوات فى السجن •

وقد تكون آراؤه السياسة قد تغيرت ولكن ذلك لن يكون له قيمة ومع ذلك فالاهم من كل هذا أن السياسة الدولية نفسها ، قد تغيرت تغيرا كبيرا فى بحر هذه السنوات الست فقد ظهرت شواهد جديدة وشابت الأمور موجات من الكذب والخسة وهى التى عمل من أجلها (نان ماى) وأصدقاؤه منذ عام ١٩٤٥ •



الدكتور كلاوز فوخس

الباب الرابع

عندما وصلت أخبار القبض على (الان نان ماى) الى محطة البحوث الذرية فى لوس الاموس (نيومكسيكو) فى مارس ١٩٤٦ ظهـرت أمارات التعجب الشديد بين العلماء البريطانيين وعائلاتهم فيها فقد كان بين هيئتهم زميل عالم وقد انقلب الى جاسوس !

واستمت احدى الزوجات الى هذا الخبر لاول مرة في الاذاعة فجـرت بسرعة لتخبر (كلاوز فوخس) وغيره ممن يعملون فى القنبلة الذرية منـذ عام أو أكثر ٠ وقد أخذوا يسائلون بعضهم البعض (من يعرف (نان ماى) ؟ وماهو شكله ؟) ٠

فقالت احدى السيدات (انا عرفته جيدا ولكنني لا أعرف كيف اصفه ٠ انه ٠٠ ولكن ٠٠٠ أنه كان مثل كلاوس فوخس هذا ٠٠٠)

عند ذلك إبتسم الدكتور (كلاوس فوخس) بأدب ولم يبد أى أعراض ولكنه اشترك فى مناقشة موضوع خيانة (ماى) واظهر شكه فى أنه أخبر الروس بمعلومات كثيرة ٠ لم تكن عنده فكرة صحيحة عن (ألان نان ماى) سواء كعالم أو حتى مجرد معرفة سطحية ٠٠

وحتى فى ١٩٤٦ ، قبل أن يعرف أى أحد شيئا عن خلق (فوخس) الحقيقى لم يدرك أى واحد من الناس أن هناك تشابها بين هذا وذاك (الان وفوخس) ٠ أما أوجه الشـبه الحقيقية بين الاثنين من الوجهة الجسمانية والعقلية فهى : كانا فى سن واحدة تقريبا ، بل كان (فوخس) أصغر من الآخر بثمانية أشهر فقط وكان كلاهما عكوفا ولم يكن لاحـدهما أرتباط قوى بأى أحد ٠ كانت أخلاقهما فى غاية من الجدية والخجل وليس لاحدهما شخصية بارزة ٠ ولكل منهما مقدم رأس بارز وشعر أقرط ويلبسان نظارت (باغه) ولكل منهما فم مقفل وذقن صغيرة ٠ أما الاسرار التى فى صدريهما فهى كما نعلم كانت العقيدة بأن لكل منهما رسالة لاعادة تنظيم الكون وهكذا كانت مثالية كل منهما متفقة مع الآخر ولكن من حيث الجثة والهيئة فقـد اختلفت عند كل منهما اختلاف الصلب عن الهيدروجين فكل أمر عن (فوخس)

كان أخف وارق عما هو فى (ماى) فالأخير كان (ربع) بكسر الراء والباء حين كان (فوخس) هزيلا • ولفوخس أيضا وجه حساس معبر ـ ريحه خفيفه ـ ولهذا كانت له جاذبية وخاصة عند النساء ، وكان صامتا لايتحدث ومثله فى ذلك مثل (ماى) ولكن صمته هذا لايطاق • وهو قصير النظر بدرجة مؤلمة ولكن عيناه كانت لهما من خلف العدستين السميكتين منظر عميق ينعكس فيهما ماضيه الطويل ، وكان جسمه الطويل النحيل أقوى بكثير والين مما يبدو • لم يمارس الالعاب الرياضية بتاتا وهو يعتقد أنه لن يجيدها • ولكنه كان راقصا بارعا كما كان بارعا فى صعود الجبال والتزحلق على الجليد • وقد لعبت أفكار فوخس فى حياته كثيرا وذلك فى الاحتفاظ بنفسه ثابتا تحت الظروف العصيبة التى مرت به •

فبعد الحرب حضر من أمريكا الى هارويل فى انجلترا وقد سبقته سمعته العظيمة عن أعماله فى لوس الاموس ونيويورك •

فقد كان أقدم عالم فى هارويل ورئيس احدى أهم الادارات فيها ولكنه بالطبع لم يصل الى مرتبة (نيلزبوهر واينشتاين) ونحو ستة آخرين وهم الذين كانوا على رأس قائمة العلماء Nils Bohr; Einstein

ولكنه كان فى القائمة الثانية وعالما ممتازا محترما ويعتبر من العلماء الدوليين • فى ١٩٤٩ كان مرتبه ١٨٠٠ جنيها فى العام • ومع أنه كان أعزبا الا أنه منح امتياز المسكن الخاص وكان مركزه هو الثالث فى هارويل بعد المدير السير (جون كوك كروفت والبروفيسور هـ• ب• سكينار) John Cockcroft; H. W. B. Skinner

كان أصدقاؤه قليلين ولم يكن معروفا لغيرهم ولم يحبه أحد فى مصلحته أو معارفه فى هارويل فقد كان من الصعب أن يعرفه أحد • ورغما عن طوال السنين التى عاشها فى انجلترا فلم يوفق فى اكتساب الطبائع البريطانية أو طريقة التفكير البريطانية فبقى ألمانيا كما هو وقد أحس بهذا مرارا كل من هم تحت ادارته ، الا أن هارويل عبارة عن مجمع صغير تأتلف فيه القلوب فجمعت بينه وبينهم ، فهم قوم لم تجتذبهم الى هذا المكان بهاء روح الاجتماع عند أهل هذا الحى • وهكذا كانت حياتهم معا هى قهرا عنهم لاحبا واختيارا •

وفي نحو ١٩٤٩ ثبت الدكتور (فوخس) كما يثبت الضابط فى السفينة أو المدرس فى المدرسة أو الطبيب المقيم فى المستشفى • وكان معروفا فى هارويل وكانت حياته معروفة لكل ناظريه فقد كان غريبا فى

أمور كثيرة ولو أن هناك غرباء آخرون فى هارويل وأصبحت غرابته وغرابة أطواره هى مميزاته التى عرف بها ٠

فكان عندما يجلس مثلا يضع أحد ساقيه على الاخرى بحركة عصبية ويظل يدير القدم العليا دورانا مستمرا ٠

كان يدمن التدخين (السيجارة من السيجارة) وكان سكيرا فوق المعتاد ولكنه لم يشرب الخمر متعمدا كما أنه لم يكن يشرب حتى يرتمى على الارض ولكنه كان يشرب فى بعض مناسبات خاصة متظاهرا (بالجدعنة) فكان يشرب الجن قراحا ومرارا ، كما كان يشرب الويسكى (القراح) من الزجاجة وكان غرضه من ذلك أن يثبت للناس أنه لا يفقد وعيه فلم يتحرك من مكانه ولم تلعب شعرة من شعر رأسه ٠ وفى احدى الحفلات شرب كمية هائلة من المشروبات وبعد ذلك قاد ضيوفه فى دورة حول المنزل وكل هذا يأتيه فى خفة روح ٠

وعندما ينتهى كل شىء يستجمع قوتهويزاول رئاسته كما كان : الدكتور (فوخس) رئيس ادارة الفيزيقيا (الطبيعة) النظرية سواء فى اتزان عقله أو فى قدرته على الادارة وكذلك مستعد لان يسوق عربته وفيها ضيوفه لتناول الغذاء معه فى المنزل أو للمناقشة فى أصناف الخمور ، وهناك قصص أخرى عظيمة عن جرأته فى الشرب ٠ ففى احدى حفلات لوس الاموس كان الدكتور (فوخس) هو الوحيد الذى كان كاسه ملانا طوال الليلة وأخيرا نام الساقى (البارمان) من الاجهاد ٠ ومع ذلك لم يكن عربيدا ولم يشهر عليه أحد بذلك ولكنه كان سكيرا جريئا اذا ما أراد ذلك ٠

والأمر الوحيد الذى كان يثيره هو عدم الكفاءة فقد كانت له طريقة سليمة يؤدى بها عمله فاذا ما تجاهلها أحد اعتبر ذلك غباءا أو سخافة منه ٠ وهذا هو القانون الذى يطبقه فى الفيزيقيا وأمور الحب والحياة الخاصة وأخيرا فى السياسة ٠ فاذا ما أغاظه أحد فى هذا هاج فى حنق وصرخ (سأعملها بنفسى) وكان بالفعل يعملها بنفسه وفى غاية من الدقة ٠ وعندما كان يرى جماعة من الناس سيركبون العربات للذهاب الى محطة السكة الحديدية مثلا أو الى موعد آخر لم يعجبه أن يراهم واقفين فى أدب ويخرجون من العربات

بنظام ويوزعون أنفسهم على العربات وينظمون الجلوس فيها · أنه كان يرى هذا عبثا وجهلا فيركب عربته الخاصة ويقول (هلموا جميعا · اركبوا · سأخذكم أنا فى عربتى) ·

كان (فوخس) سائقا ضعيفا ومحبا للسرعة بل هو يحب المجازفات الناشئة عن هذه السرعة وليست السرعة نفسها · ويذكر أحد أصدقائه انهما عندما كانا راجعين ليلا الى المنزل معا وفى اثناء زوبعة ممطرة تزحلقت العربة بشدة فجذبها فوخس الى داخل الطريق مرة أخرى قائلا (أحب الزحلقة ، فهى تعطيك فرصة لتتحكم فى العربة) ·

لم تكن له هوايات ما ولم يتدرب على أى العاب خاصة ولكنه أحيانا كان يلعب الشطرنج وكثيرا ما يلعب الورق · وعندما كانوا يجمعون أثاث منزله بعد القبض عليه وجدوا عنده زيادة عن أغراضه وكتبه الخاصة بأعماله فى الفيزيقيا ، مجموعة من الكتب المختلطة وهى بين : اليس فى أرض العجائب ــ أساطير فونتين الخرافية ــ تاريخ حياة ويلز ثم روايات عامة وكتب دينية وكتاب لكرافشينكو واسمه أحب الحرية · (وقد اهدى نسخا من هذا الكتاب كهدية عيد الميلاد فى أحد الاعوام لبعض الناس) · ومع ذلك لم يتعود أن يقرأ فى خارج مكتبته ، ومعظم هذه الكتب أهداها اليه أصدقاؤه أما هو فقد كتب تقارير كثيرة ولكنه لم يؤلف كتابا واحدا ·

وفى مرة أحضر كمنجة وتعلم كيف يلعب عليها ولكنه فى السنوات الاخيرة تركها ولم يعلم الا القليل من أصدقائه بأنه كانت له يوما ما (كمنجة)· وغير هذا فهو لم يشغف بالفنون كلية وأن كان له ميل بسيط الى الموسيقى· كان على العموم مرضيا لاعيب فيه · وفى الرحلات الجماعيـة الخلوية كان أصدقاؤه يطلبون منه أن يهتم بالمناظر فيقولون له مثلا (فوخس ، أنظر انها من أجمل اللوحات (أو العمارات أو التماثيل) فى العالم وقد لا تتاح لك فرصة مشاهدتها بعد اليوم) ولكنه يبقى جامدا لا يتحرك لامتعنتنا ولا مرتابا ولكن عكوفا غير مهتم ·

ذهب للسينما ككل شخص فى هارويل ولكن كان من العبث أن تجد أى انفعال عكسى على وجهه بعد المشاهدة ولو أنه أحب السينما وأحب من كانوا معه فيها ·

أما فى المجتمعات النسائية فكان ينهار أمامهن فقد كان من النوع الذى يرتاح الى وجود السيدات فهو فى حاجة اليهن ودعته هذه الحاجة الى أن يميل اليهن ، فمنذ أيام كان طالبا حتى اليوم كان لابد له من وجود صديقة منهن ليتحدث اليها ويتبسط معها بما لا يتحــدث فى مجالس الرجال • لم يكن معهن متهتكا ولكنه أخلص لهن • أما من جانب المرأة فكانت تبدى دائما عاطفة الامومة لتشبع رغبة هذا الرجل المخلص الكثير السرحان لاخراجه من استكانته ولجلجته ومنحه فرصة للخروج من هذا التفكير العميق الذى لا ينتهى •

لم يكن الرجل مهلهلا ســواء فى ملبسه أو فى طريقة تنظيم منزله • ولكنه أحيانا لم يحلق ذقنه فكانت ذقنه الزرقاء تبدو كحصيرة قبيحة على وجهه السقيم ، وبخلاف هذا فقد كان رجلا معقولا • وكان من النوع الذى يمكنه أن ينظر فى جدول قطارات السكة الحديدية لحظة ثم يقرر فى الحال الموعد الدقيق الصحيح ، ولم يكن يوما متخلفا عن موعده •كان رئيسا لاحدى لجان الموظفين المدنيين فى هارويل وهى لجنة تنظر فى الشئون الداخلية الخاصة بالاعضاء لتتصرف فى الشكايات أو تقرر ما يجب أن يرفع منها للمسئولين سواء الخاصة منها بالمجارى أو أجور الميــاه وما الى ذلك ـ وكان فى هذه اللجنة رئيسا موزونا ممتازا •

كان دائما متحمسا من ناحية الامن وكان هو الشخص الذى طالما عارض افشـــاء المعلومات الى الجمهور فى مؤتمرات اســتهلاك الاسرار (أى لتقرير التحفظ عليها أو افشاء بعضها) • وكان دائمــا يذهب الى ضابط الامن ليسلمه مفاتيحه ليحفظها له فى أمان كما كان دقيقا وحريصا للغاية فى القفل على الاوراق والوثائق وكذلك فى حديثه مع الاشخاص غير المسئولين ، لذلك لم يتهم أحد أبدا (كلاوز فوخس) بالتحدث بغير حرص • وكان رجل مكتب ذا عقل مرتب وهــو دائمــا (جنب الحائط) فكان يحفظ السر ويكتمه فى الظروف التى لا داعى بالمرة فيها لحفظه ولكنه يحفظه فى عادة اعتادها وفى شعور جنونى بالعقيدة المقدسة عنده • وكان مغرما الى أبعد حد بأن تظهر الامور واضحة أما بيضــاء أو ســوداء ، أما التوفيق بين الاتيتين فذلك فى نظرة خطأ دائما • لم يوفق أبدا فى ادارة الحديث مع الاغراب بسهولة فهو فعلا ذو مزاج وظرف ولكن تعوزه الحمية • اكلاته ضعيفة وبدون شــهية أنه كان نهما فى التدخين بشكل لا يوصف مع الشرب أحيانا فى جلسات يتظاهر فيها بهذا الشرب •

وقد كتب (البروفيسور سكينار) أحد أساتذة هارويل عن (فوخس) الأربع كلمات الآتية بعلم (اليازرجة) فكانت ·

ى يبدو

ف فوخس

ن ناسكا

خ خياليا

يفنخ أى أنه لا يحفظ العهد (خائن)

فهناك لعبة معروفة فى انجلترا ـ مثل اللعبات التى يلعبونها فى أعياد الكريستماس ، فيفكر أحد الجالسين فى اسم شخص ويبدأ الآخرون فى اعطاء أوصافه بعد أن يسأل (ما نوع آلة الموسيقى التى يشبهها ؟ واذا كان مهندس مبانى فما هو العصر الذى يتمثل فيه (مبانى أى عصر من العصور) ؟ وأى لون من الالوان يذكرك شكله به ؟) وهكذا ·

وقد كان فوخس فى أعين أصدقائه (همجيا) فقد كانت آلة الموسيقى التى شبهوه بها هى الفلودفيل واللون الذى ذكرهم به هو اللون الفاقع ·

لم يكن رجلا عاقا فقد دفع لوالده نفقات رحلة الى أمريكا وفى الوقت الذى قبض عليه فيه كان يرتب أمر ترحيل طفل لاخته المتوفاة من ألمانيـا لانجلترا ليدخل مدارسها وقد تعب كثيرا جدا حتى وفق الى احدى المدارس المناسبة وكان المزمع أن يعيش الطفل فى منزل (فوخس) فى هارويل وكان سيدفع له كل مصاريفه ·

فى ١٩٥٩ أصيب بمرض فى رئته وقد عالج هذا المرض بطريقة عجيبة· فقد كان مرارا يبدو هزيلا شاحبا كالموتى ولكنه كان يصمم على اتمام عمله ولم يشك من آلامه أبدا · ولا يمكن لاحـد أن يحمله على عرض نفسه على الطبيب بل كان يلجأ فى الحال الى فراشه · ويذكر أحد أصدقائه أنهما كانا فى عربته فى احـدى عطلات الصيف وكان الحر شـديدا كما كان طريق الكورنيش الكثير المنحنيات بالقرب من جنوا مزدحما بحركة المرور وكان فوخس يسوق العربة طول اليوم فى تصميم وهـو مكتئب ومتهور وكان

مظهره يدل على أنه سوف يغمى عليه فى أى لحظة . وفى الصباح شعر بأنه أحسن حالا فقال لاصدقائه (عندما اختبرت حرارتى بالترمومتر فى الليلة الماضية كانت ١٠٤ ف) .

وفى الحالات الاخرى كان يستسلم للمرض بل أكثر من الاستسلام له . كان يرقد ساعات بل أياما فى فراشه مديرا وجهه الى الحائط ولا يأكل شيئا ولا يتحدث بشيء ولا يقرأ شيئا بل يترك نفسه للحزن العميق ، ولا يمكن لاحد أن يقوم له بأى مساعدة ما . كان يبقى ساعة بعد ساعة دون أن يتحدث أو يبدى أى حركة ، وأحيانا كانت هذه النوبات أكثر من نوبات مرض لان جسمه كان يشفى بعد أن يعوده الطبيب ولكن حالته النفسية كانت تبقى كما هى .

وفى مرة قالت له احدى صديقاته (اسمع يا كلاوز ــ لم لا تقوم من الفراش ؟ أنت ليست فى حاجة الى الرفاهية فقد شفيت تماما) .

عند ذلك استدار وأجاب بالآتى : (اذن سـأقوم من الفراش ما دمت ترين هذا) ثم قام بهدوء ليرتدى ملابسه ويذهب الى عمله .

كانت هذه النوبات غير منتظمة فى مواعيدها ، وانما نتذكرها لانها كانت شاذة . واما أصدقاؤه الذين عرفوه أكثر من غيرهم وكانت معرفتهم له أطول فلاحظوا عليه شيئا آخر وهو أهم من هذه الادوار ، لاحظوا تغيرا كبيرا على فوخس فى هارويل . ففى أيام تلمذته الاولى فى الجامعات الانجليزية كان شديد الملاحظة لكل ما يدور حوله ولكل صغيرة من أمور الحياة العادية ، ولم يكن أخرق (لخمة) أو بليدا ولكن لم يحدث له أن فتح بابه لسـيدة أو أهدى هدية عيد الميلاد لأحد أو شاكس أحداهن بأى شكل . واذا ما اشترى رباط عنق جديد فانما ذلك لان امرأة ما قد عجزت عن أن تربط له ربطة العنق بهذا الرباط البالى فاشترت هى له آخر جديدا . كان أستاذا شارد العقل جدا ، فهو يعمل ويعمل فى منزله وفى المعمل كأن عفريتا يجره الى هذا العمل فقد كان كل ما يهمه هو العمل واما خلاف هذا فما هو فى مذهبه الا مضيعة للوقت .

وقد وصفه أحد الذين عملوا معه فى أثناء الحرب فقال (رأيته مخا لا لون ولا جسم له ولكنه منتظم بوجه عام) •

وفى أواخر الحقبة الخامســة من هذا القرن كان لا يزال يقوم بعمله بنفس الحماس ولكن علاقته مع النـاس الذين حوله تحسنت كثيرا ، فكان يذهب بهدوء الى المطبخ ليهىء الطعام ثم يغسل الاوانى بعد الانتهاء منه • وعندما كان يسـافر الى لندن فى زياراته كان يشترى علب الكريمة مثلا لصديق يعرف عنه أو عنها أنه يحبها ، وكان يخرج ليلا ليقابل صديقا فى محطة السكة الحديدية أو يؤدى خدمة لآخر أو يزور صديقا مريضا (من كلى الجنسين) •

ونتيجة لذلك أن كان فى هارويل أناس يحبون (فوخس) حبا شديدا فكان صديقهم الذى يثقون به وكان بالنســبة اليهم أكثر من ذهن وقاد وحســب • وقد حضر الى انجلترا منذ ست عشرة عاما خاويا (مفلســا) ولا يعرف كيف يتحدث بالانجليزية فقـد كان مهـاجرا هاربا من النازيين الألمان وفى مدى هذه الست عشرة عاما لم يرتكب أى أمر مشين ولم تعمل له أية مذكرة فى الشرطة الا باعتباره أجنبيا وذلك عندما قامت الحرب •

واليوم كرس حياته للعمل مختارا مع البريطانيين ومن أجلهم وبذلك صعد الى القمة فى أصعب العلوم التى اختارها وهى نظريات العلوم النووية وكان زملاؤه فخورين به فى كل وجه •

كان من أوائل الذين وصلوا الى هارويل فى ١٩٤٦ عندما كانت ليست شيئا سوى معسكرا خاويا كئيبا فى مطار مهجور ثم كان موجودا عندما رآه ينمو ويزهو وكانت له يد فى هذا النمو •فاذا كان لفوخس شىء يفخر به فانما هو اخلاصه واجتهاده فى ازدهار هارويل ، فقد كانت بيته ومركز عمله وقد أحب هذا المكان من قلبه •

وعرف أصدقاؤه هذا وقدروه له كما عرفوا شخصه جيـدا وعرفوا منزله وعمله وعاداته الغربية كما عرفوا ماليته ثم ولاءه لزملائه ، عرفوا كل هذا مدة طويلة •

أما مالم يعرفوه ولم يستبن لهم فى أول الامر هو أن كل هذا كان خداعا وكذبا ، فقد كان كذبا منه هذا المظهر عندما قابلوه أول مرة وكان كذبا مراءا تطور حتى كانت كذبة كبيرة لم يفق منها ومن نتائجها الخطيرة الا القليلون . لم تكن الجريمة هى فقط ايصال المعلومات عن القنابل الذرية الى الروس ـ فقد قام غيره بهذه الخيانة أيضا ـ كما أن الروس لم يتمكنوا من عمل قنبلة ذرية من المعلومات التى أهداها لهم فوخس وحدها ، كما لم يقف الامر عند حد دسائسه وخداعه الخطير فقد تمكن بخبثه من أن يولد فى كل انسان عدم الثقة بالآخرين كلية حيث وضع نفسه فوق الشبهات خداعا .

بل وزاد البلاء بعد هذا ، عندما وجدنا أن فوخس كان مثل الان نان ماى يتخبط فى حياته وتصرفاته حتى وصل الى دركها الاسفل ـ الى الانتحار أدبيا بل أنه كان عبارة عن (الان نان ماى) مجسما ماية مرة لان (ماى) كان يهيىء نفسه كى يساعد الروس ضد أهله ثم وقف عند هذا الحد ، الا أن (فوخس) قد أعد نفسه ليخدع جميع الناس فى كل مكان وفى كل وقت، وكان يتصرف بما يمليه عليه ضميره هو فقط ، وبعد هذا كان معدا نفسه لان يتغير وينقلب مرة وأخرى فلم تكن لديه قيم لاصول الاجتماع التى دعمهـا الناس زمنا مريرا طويلا ، لانه لا يسمع الا لضميره هو فقط وهو الامر الوحيد الذى لم يخنه أبدا وقد وجد نفسه أخيرا ضحية له . فكيف نشأ عنده هذا العنت ومن ذا الذى جعل له هذه السلطة عليه . ؟ ـ لا ندرى ولم يبح لنا بهذا السر فقد كان رأيه مقدسا لديه ولا يسائله أحد فيه ولا يمكن تفسير ذلك فهذا يوجهه وعليه أن يطيع . كان فى العالم فوضويون كثيرون قبله ولكن (فوخس) كان فوضويا من نوع فريد لانه لم يحب (الهرجلة) بل أحب النظام وأحب الزحلقـة على الطريق المبتلة اللزجة ليس حبا فى رياضته الزحلقة نفسها ولكن حبا فى ممارسة ضبط العربة مرة أخرى وقيادتها ..

ربما كان من الصحيح أن يحب النـاس جميعا بنفس القوة ولو أنهم يكرهون مسئولية استخدامهـا ولكنهم يستخدمون القوة عندما تضطرهم الظروف لاستخدامها .. وقد وجد (فوخس) أن فى يده قوة عظيمة فرجع الى ضميره يلهث ليستوحيه التعليمات عن كيف يتصرف بهذه القوة ، ولم يتوانى حتى يسأل المجتمع ويستلهمه المشورة فقد كان ضميره هو فوق المجتمع .

وهذه هى الخطورة فى (فوخس) لأنه لو كان هناك آلاف أو عشرة آلاف من فوخس الذين يتصرفون بضمائرهم وحدهم فى هذا العالم لكانوا أشد خطرا عن أفظع قنبلة ذرية لم تخترع بعد ٠

عادة تسبق تفتيت الذرة عدة تجارب ولكن استيحاءات فوخس لاتسبقها أى تجارب فمن المفيد اذن أن نرجع الى ماضى حياة (فوخس) لنرى هل من الممكن أن نستكشف من أين كان يأتيه وحيه ومن هو الذى يبعث به اليه ومن هو الذى شوه أحواله هذه الى هذه النهايات المفجعة ٠

الباب الخامس

ان ما ندين به النازيين هو أنهم أفسدوا عقلية (كلاوس فوخس) أكثر مما للشيوعيين أن يأتوه • فقد أهلكوا عائلة (فوخس) كما يدمرها أخطر طاعون ، فسجنوا الاب بعد أن انتحرت الام ثم نفوا الابن الاكبر والابنة الصغرى وتسببوا بذلك فى أن ترمى ابنة أخرى بنفسهـا تحت عجلات القطار فى برلين وأخيرا ألبسوا الابن الاصغر وهو (فوخس) القميص الاسمر وأجبروه على الاختفاء والتحول الى شيوعى متعصب •

لم تكن عائلة (فوخس) يهودية كما لم يكونوا فى أول الامر شيوعيين وبذلك لم يكن للنازيين حق معاداتهم بل كانوا بروتستانيين وكانوا فقراء ولكنهم عاشوا محترمين فى الحى الصناعى من غرب ألمانيا • وكان الاب وهو الدكتور (اميل فوخس) قسيسا لوثريا متعصبا لدينه وترك لافراد عائلته الحرية فى العقيدة التى يراها كل منهم انها هى الحق مهما كانت مغبة هذه الحرية ولا يكفى أن يكون هذا هو الرأى بل يجب أن يعملوا به • هذا هو اس العقيدة : مسيحية ايجابية وعملية يوحى بها حب الله والاعتقاد والقوى بأن كل رجل قد عرف فى داخلية نفسه ما هو الصواب وما هو الخطأ • وهكذا حملته هذه الآراء على عوامل لم تسمح بها فى أغلب عائلات انجلترا وأمريكا• أصبح بذلك (درويشا) ومسالما متحمسا (ضد مبدأ الحرب) وعضوا فى جماعة اسمهـا الاشتراكيين المتدينين وكان أول قسيس لوثرى ينضم الى الحزب الاشتراكى الديمقراطى بعد الحرب العالمية الاولى •
Social Democratic Party

نعم الدكتور فوخس بحياة عائلية سعيدة مدة أربعين عاما فى ألمانيا قبل قيام الحرب العالمية الاولى فى ١٩١٤ وفى ذاك الوقت كان ايمانه قويا ، وأما ماخفى عليه فهى تعاليمه التى بثها فى أولاده الذين لم يعرفوا قوته وثباته ولم يمارسونها فى حياتهم اليومية فقد ولدوا وعاشـوا فى أيام الحروب وما تبعتها من كوارث وحيث رأوا القيم القديمة والاخلاص القديم تتلاشى حولهم وأصبحت مجرد ذكريات ، وكانت الحياة بالنسبة اليهم هى نضال شديد من أجل العيش قبل أن تشتد أعوادهم ويصبحوا رجالا •ولم يروا حب

الله أمام أعينهم كما هو فى أعين والدهم الدكتور (فوخس) ونتيجة لذلك كانت تعاليمه خطرة عليهم فهناك احتمال بأن يتقبل أطفاله أحد هذه التعاليم ويتنكرون لباقيها ، وقد يعتنقون الثقة فى الله وهم مع ذلك يعتقدون أن لهم كل الحق بل أن مما يجب عليهم أن يعملوا ما يرون أنه أفضل • فكان الخطر كل الخطر أن يتصرف الفرد منهم فى أموره على غير عقيدة بالايمان بل على الحكم الشخصى وكان هذا هو سبب ضياع أصغر أبنائه •

ولد (فوخس) فى قرية راسل شايم وهى لا تبعد كثيرا عن وارمستاد وفرنكفورت أم ماين وذلك فى ٢٩ ديسمبر ١٩١١ وعمد باسم (ميل جوليوس كلاوس) • كانت ذكرياته الاولى هى عن حياة فى مدن صغيرة فى النطاق الصناعى حيث كان أبوه يسافر من أبرشية الى أخرى وبالنسبة لصغر سنه جدا فى ذاك الوقت فهو لا يذكر كم كان سعيدا فى مدرسته ولكنه يتذكر جيدا اشتراكه فى القيام بالدفاع المدنى لاول مرة وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى • وقد أقيم فى ذلك اليوم احتفال بالجمهورية التى خلفت الحكومة القيصرية ولم يكن الالمان جميعهم قد قبلوا الهزيمة وقيام جمهورية اشتراكية ذليلة بل كانوا مصممين على رفع أعلام جمهورية فيمر Weimar Republic على المبانى العامة ولكن بوجهة نظر أخرى خفية • فقد رفعت بالفعل الاعلام على مبنى مدرسة كلاوز ولكن عندما دخل التلاميذ داخل الفصول خلعوا شعارات الجمهورية ووضعوا بدلها شارات الامبراطورية بألوانها •

وفى المنزل استمع (كلاوس) كثيرا لآمال والده الحارة من الدستور الجديد وعلى ذلك كان يتباهى بشارة جمهورية فيمر كوالده الا أن التلاميذ فى المدرسة نزعوها عنه •

وهكذا كانت أولى عقدة له واعتقاده بأن له الحق بأن يعمل ما يظن أنه هو الصواب مهما كانت النتائج بعد ذلك • كذلك كانت هناك حادثات أخرى ولكن لم تكن مسألة والده مجدية فى مثل هذا الجو بل كانت هناك فضيحة أخرى هى التى اضطرت هذا القسيس لان ينضم علنا الى حزب سياسى •

ففى ١٩٢٥ عندما بلغ كلاوس الثالثة عشر من عمره انضم والده الى (جماعة الاخوان) Society of Friends وكان بيته فى مدة هذه الايام المدرسية عبارة عن بيئة دينية متعصبة (مدروشة) فقيرة •

ذهب بعد ذلك كلاوس الى الجامعة في ليبزج وانضم في الحال الى زملاء السوء من الطلبة القدامى العاطلين والذين أفسدوا الحياة الجامعية في كل ألمانيا في ذاك الوقت واستمر هذا العبث ولم تهدأ الحالة حتى غادر ألمانيا بلا رجعة في عام ١٩٣٣ ٠ وهكذا كان الحال مع الطلبة الالمان في الجامعات الفرنسية والايطاليـة في الحقبة الثالثة من القرن العشرين (بين ١٩٢٠ ، ١٩٣٠) فلم تستقر أمورهم السياسـية ٠ أما في انجلترا وأمريكا فلم يحدث بين الطلبة الالمان مثل ما حدث لهؤلاء ٠ وبالطبع لم يكن في أوروبا كلها أضل من هؤلاء الطلبة الالمان في وضع القواعد السياسـية لانفسهم أو لأى أحد آخر ، وهم في ضلالهم هذا ولا يعلمون من أمور الحكومات شيئا ٠ وفي فلسفتهم الغير ناضجة قاموا بحركاتهم مباشرة ٠ فقاموا في تيار سياسى دون أن يتتبعوا احدى السياسات العالمية الجديدة ، فلاهم اهتدوا بالشيوعية الروسية الجديدة ولا الديمقراطية الجديدة ولا الآراء الملكية القديمة لدول الغرب ، ولم يمكن لاحد أن يتوقع أن كل هذه السياسات ستزول ويطغى عليها أمر جديد هو أشد ما أفزع العالم وهو المذهب الفاشستى ٠

وقد كان في ذاك الوقت هذا المبدأ أمرا كبيرا بالنسبة الى ادراك ولد مثل (كلاوس فوخس) وقد كانت عنده الرغبة في أن يعيش في استقرار دون التخبط في هذا الجو الغامض فأخذ يقاوم هذا الحماس بنضال مرير ٠

وفي أول الأمر انضم كوالده الى الديمقراطية الاشتراكية ، وبما أنه كان محبا للسلم فلم يوافق على خطط الحزب في اعادة تأسيس (فرق الشباب Panzer Kreuzer) وكان يفضل كثيرا الديمقراطيين الاشتراكيين على الشيوعيين الذين لم يحاولوا أن يفكروا بأنفسهم بل اتبعوا تعليمات الحزب دون نقاش ، فقد كان هذا مستحيلا بالنسبة الى شخص مثل (فوخس) الذى كان يشعر بأنه هو وحده المسئول عن آرائه وحركاته ٠

بعد ذلك وتبعا لوجهة نظره هو وبناء عن تعليمات والده كان عليه أن يعمل شـيئا فانضم الى جماعة Reichsbanner بالاضافة الى الحزب ٠ ولكن هذا كان متناقضا مع حبه للسلم لان الجماعة الاخيرة كانت منظمـة شبه عسكرية والغرض من انشائها هو الدفاع عن الديمقراطية في أثنـاء الاضطرابات فكانت هذه أول مخالفة يخالف فيهـا فلسفة والده وبهذا التصرف بـدأ أول مرحلـة من الهبوط الذى سـيؤدى به اما للفاشستية أو الشيوعية ٠

وفى ١٩٣١ عندما بلغ فوخس التاسعة عشر منح والده درجة الاستاذية فى العلوم الدينية فى كلية تدريب المدرسين فى كييل فانتقلت جميع العائلة شمالا الى هذه المنطقة بعد أن كانوا قبل هذا يسكنون فى أيزناخ المدينة الصناعية فى غابة تورينجين ، أما اليوم فستتحسن حالهم نوعا · استمر فوخس فى دراسته لنيل الدرجة العلمية فى علوم الفيزيقيا (الطبيعة) والرياضيات واستمر فى اتباع التعليمات السياسية التى كان قد خلفها فى ليبزج ·

وكييل أصغر كثيرا من ليبزج وقد أصبح فيها خبيرا بالامور السياسية للجامعيين فبدأ يخط لنفسه مستقبله فيها ، فقرر فى أول الامر أن ينتمى الى اليساريين عندما انضم الى هذه المنظمة الجديدة التى كانت تتكون من بعض الديموقراطيين الاشتراكيين مع بعض الشيوعيين وأصبح رئيس هذه المنظمة· ولم تكن هذه الجماعة موفقة بأى حال فلم يمكن لاى ديموقراطى اشتراكى حقيقى أن ينضم اليها لان من مبدأ الحزب الشيوعى هو مهاجمة الديموقراطيين الشيوعيين وأعلن الشيوعيون جهرا توحيد جبهة اليساريين ضد النازيين واليمينيين ولكن هذا لم يمنعهم من اتهام الديموقراطيين الاشتراكيين بأنهم ضعاف وغير عمليين حاولوا تجاهلهم فى كل ظرف ·وكما فى كل دولة أخرى كان ما يرمى اليه الشيوعيون هو بالطبع هدم الاحرار واليمينيين على السواء ولكن (كلاوس فوخس) وأصدقاءه لم يمكنهم أن يكونوا بعيدى النظر فيروا ما سيكون من أمر العالم بعد سنين طويلة ·

وكان هناك سبب آخر لعدم توفيق جماعة الشيوعية الديموقراطية الاشتراكية وهو أن لها غرضا سريا غادرا · فقد كانت ترمى الى تصفية الحزب النازى ثم نيل ثقة الاعضاء النازيين بسحبهم بطرق غير أصولية ثم ايقاعهم ببعضهم وذلك بالتعريض بهم فى آخر لحظة · وبما أن (فوخس) كان رئيس هذه الجماعة فقد وجد فى الحال فرصة ذهبية لعمل مثل هذه المناورة فقد كان النازيون قلقين لتخفيض المصروفات الجامعية فعرض عليهم (فوخس) ائتلافهم معه وتنظيم اضراب للطلبة من أجل هذا الغرض · دهش النازيون لهذا الاقتراح ولكنهم أوروا أنهم مستعدين للمداولة فى الأمر وانتظر فوخس حتى تقدمت المفاوضات ، وبدون انذار النازيين وزع فجأة منشورا مطبوعا أوضح فيه كل ما جرى بينهم ،وهى وسيلة دنيئة خلقت العداء ضدهم بطريقة لا يسهل معها تلطيف الجو أبدا · وهكذا لم ينسى النازيون له هذه الفعلة ·

بعد ذلك بمدة طويلة قال فوخس انه مظلوم فى هذا الامر ، فحقا لم يكن هناك داع لتوزيع هذا المنشور ولكنه كان حسن النية جدا عندما وزعه وظل مدة طويلة جدا يحاول أن يصلح من تأثير هذا الحادث وأن يقنع نفسه بصواب ما أقدم عليه وأخيرا ختم الأمر بقوله فى مثل هذه الاضطرابات تكون الاعتذارات فيها ضعفا فليهدأ اذن وليكن ما يكون ٠

وفى نفس الوقت كان يتقدم بسرعة نحو اليسارية فقد كان معتبرا غير موثوق به من الديموقراطيين الاشتراكيين بسبب صداقته مع الشيوعيين فى حادث المنشور ٠ وبعد ذلك جاءت سلسلة الانتخابات للريشستاغ (البرلمان) حيث ابتدأت فى يونية ١٩٣٢ وقد جاءته الفرصة ليصبح شيوعيا أصيلا ٠

رشح هندنبرج **Hindenburg** لرئاسة الجمهوريةوقرر الديموقراطيون الاشتراكيون عدم معارضته بمرشح من عندهم خشية أن يرشح هتلر نفسه هو الآخر ٠ فان هتلر **Hitler** اذا انتخب فسيقوم بقيادة ادارة الشرطة بنفسه وفى هذا نهاية الديموقراطية الاشتراكية فى بروسيا وكانت معارضة (فوخس) هى أنه لن يمكنك أن توقف هتلر بتحالفك مع اليمينيين ولكن الطريقة الوحيدة هى بواسطة حزب عمالى موحد وعلى هذا انفصل عن الديموقراطيين الاشتراكيين وبصفته رئيس الجماعة ضم نفسه الى الشيوعيين فى الانتخابات واضطر الديموقراطيون الاشتراكيون الى أن يخذلوه ٠

وعندما تم انتخاب هندنبرج ثم أصبح فون بابن **Von Papen** مستشارا للرايخ نحى الحكومة البروسية الديموقراطية ومما يؤلم أن (فوخس) كان صادقا فى نبوءته هذه وعلى ذلك احتضر الديموقراطيون الاشتراكيون ثم انتهوا ولم تكن لهم أى قوة للجهاد من أجل الحكومة البروسية المحتضرة بل كل ما فعلوه هو أن يثيروا هذا الامر فى محكمة الرايخ المركزية ٠ وأصبح المركز الوحيد له الآن هو مع الشيوعيين الاقوياء المناضلين ، ومع ذلك لم يكن له ولا للشيوعيين يد فى هدم الديموقراطيين الاشتراكيين وملاشاة الامل الأخير الباقى للديموقراطية الحرة فى ألمانيا ٠

كما أنه لم يقدر أنه فى هذا الوقت كان الحزب الشيوعى يعمل فى سياسته الحازمة بتقوية هتلر حتى يدخل المعمعة ونتيجة هذا النضال أن الشيوعيين أنفسهم سوف يزحفون ثم يسحقون جميع الاحزاب الاخرى

اليمينية واليسارية والوسطى وقد أخطأوا فى هذا التقدير بالطبع ولكن سواء كان هذا التقدير خطأ أو صوابا فان (فوخس) لم يدر شيئا من كل هذا التدبير ٠

أكمل (فوخس) الآن الدائرة فقد كان ديموقراطيا حقيقيا على المبادىء المسيحية ومؤمنا متمسكا بالحرية الفردية ثم تطور الى شيوعى ثائر ملحد وقد أسلم حريته للحزب واقنع نفسه بأن كل هذا حدث منطقيا خطوة بخطوة فى جميع المراحل ٠

والآن قد وصل الى ما يعتقد أنه المقر السياسى الصحيح فانضم الى الشيوعيين فى الحال وهكذا كشف عن سريرته وحماسه الحقيقى لاول مرة نحو الحزب الصحيح وكان يشعر بأنه يريد أن يظهر بطولته فواتته الفرصة اليوم لاظهارها ٠

وفى ٣٠ يناير ١٩٣٣ أصبح هتلر مستشار الرايخ الالمانى وبعد ذلك مباشرة أصبح النازيون فى كييل أقوياء فأوعزوا لطلبتهم فى الجامعة بالاضراب ٠ ودعى ذوو القمصان الرمادية من البلدة للتجمع فى طوابير أمام فصول الجامعة وبكل جرأة ــ مثله كمثل أبيه ــ وقف (فوخس) بين صفوفهم ولكنهم فى أحد الايام قبضوا عليه وكادوا يقتلونه ولم يكن هذا بالامر الصعب وقتذاك فقد كانت الاهوال تجتاح ألمانيا فى ذاك العام ٠

وفى آخر مرة كتفوه ثم ألقوه فى النهر ٠

وهذه الحادثة هى التى أوثقت الرباط بين فوخس وبين الشيوعية وقد قاسى الامرين بسبب هذا المبدأ وأخذ من اليوم يعد نفسه لتلقى تعليمات الحزب مهما كانت وقد أصبح الموقف عنده معقدا لا يحتمل وخز الضمير أو االشكوك وقال أخيرا (كل ما جرى من الامور بعد هذا ساعد على توكيد الأفكار التى كونتها فى رأسى ٠ ولم يصوت أى حزب ضد القوة العتيدة التى نالها هتلر فى الريشستاغ الجديد ولم يوجد فى الجامعات من وقف بجانب الذين رفتوا سواء لاسباب سياسية أو عنصرية ، وفى مرة أخرى وجدت أن الناس الذين طالما احترمتهم لشخصيتهم وحسن ذوقهم لا يجدون اليوم الشجاعة ليظاهروا مثلهم العليا أو حتى معنوياتهم العادية) ٠

أو بمعنى آخر قد انتهى زمن الاعتدال فقد استمر النضال فاما أن تقف بجانب النازيين أو تهلك ، وأصبحت الآن المبادىء أما سوداء أو بيضاء وليس بين الاثنين وسط ، فاما أن تكون شيوعيا أو نازيا ٠

وفي فجر يوم ٢٨ فبراير ١٩٣٣ تيقظ فوخس من فراشه وركب القطار الى برلين فقد انتخب لحضور مؤتمر الطلبة الشيوعيين فى العاصمة ولم يكن يعرف أن النازيين سيحضرون ليبحثون عنه فى ذاك اليوم فى كييل ولكنه أدرك ذلك بسرعة عندما أطلع فى الصحيفة أن الريشستاغ فى برلين شبت فيه النار فى الليلة السابقة ومن هنا بدأت الكارثة ٠

وقد قال أخيرا (أتذكر تماما انى عنـدما فتحت الصحيفة في القطار أدركت أهمية (حريق الريشسـتاغ) وأدركت أن الحرب الخفيـة قد بدأت فنزعت شارة المطرقة والمنجل عن ياقة سترتي وقد كنت أحملهـا دائما) وهكذا عندما وصل الى برلين اختفى ٠

ولم ينج الكثيرون فى برلين ممن عاشوا بعد هذا التاريخ من الفزع الذى ساد فى ذاك الصيف وانتشروا بعد ذلك فى جميع بقاع الارض وهناك مئات الألوف من الالمان قد قتلوا أو قبض عليهم أو وضعوا فى معسكرات الاعتقال أو هربوا عبر الحـدود ٠ وقبض على عائلة (فوخس) فى كييل مع غيرهم كثيرين من الناس وكانت أم (كلاوس) قد انتحرت فى العام السابق ولكن الرجل الهرم كان حيا ولا يزال مصمما على اعتناق المبادىء الاشتراكية ٠ وضعوه فى السجن عدة أشهر قبل أن يقدم لمحكمة الشعب ٠ وقد وقف أمام القضاة غير نادم وأعلن أنه لا توجد قوة ما تجبره على تغيير آرائه أو تمنعه من المجاهرة بما يرى أنه الحق ٠ ولم يجرؤ النازيون فى تلك الايام الاولى من حركتهم على اعدام قسيس معروف جيدا بل كانت لا تزال عندهم قوة احترام لجماعات الاخوان Quakers ٠ وقد ثارت الاحتجـاجات لسجن الدكتور فوخس وحضر أحد الاخوان من ذوى النفوذ فى انجلترا هذه المحاكمة فأفرج عن الدكتور (فوخس) واكتفى الجستابو بمراقبته من ذلك الوقت ٠ وفى نفس الوقت سجلوا فى دفاترهم فى كييل أن (كلاوس فوخس) وهو أصغر أبناء الدكتور كان عضوا فى الحزب الشيوعى وأنه هرب حتى لا يقبض عليه ولا يعرف مكانه ٠

أما الثلاثة أولاد الآخرون ــ (جرهاردت) وهو أكبر الاشقاء ثم الفتاتان (كرينستيل واليزابث) ــ فقد كانوا جميعا ذوى ميول شيوعية كذلك ٠

وتمكن (جرهاردت) من التخلص من القبض عليه وعمل هو وأبوه في تشغيل عربة أجرة لتهريب المهاجرين الهاربين من وجه النازية خارج الدولة ثم هرب (جرهاردت) نفســه الى ســويسرا وبدأ العلاج من الدرن الذى أصيب به ·

أما (كريستيل) فقد تمكنت أخيرا من الهرب الى أمريكا واستقرت مع زوجها فى كامبردج بما ساتشوستس ·

وأما (اليزابث) فقد كانت أسوأ الجميع حظا فهى فنانة وتزوجت من شيوعى كذلك اسمه (كتيوويسكى) ولهما طفل واحد · وقد قبض على الجميع ثم سجنوا ومن داخل السجن ساعدت (اليزابث) زوجها على الهرب الى تشيكوسلوفاكيا ولم تسمع عنه أى خبر عدة أشهر ثم افرج عنها وعن طفلها ثم علمت سرا بأن زوجها موجود فى براج · ولطول مدة الفراق بين الزوجين والخطر الذى كان يحوطها من وقت لآخر هى وابنها بدأ عقلهــا يختل · وعندما وقعت اتفاقية ليونيخ فى مارس ١٩٣٠ وقد سار النازيون فى براج فى طوابير النصر انتابها شعور بالحزن والقلق · وعندما كان والدها مسافرا يوما ما معها فى مترو برلين (تحت الارض) أمسك بيدها حيث عرف أنها سوف تتهور فتأتى أمرا شنيعا لانها كانت تعتقد تماما بأن زوجها لابد قد قبض عليه فى براج وأعدمه النــازيون · أخلى يدها عن قبضته لحظة ليخرج تذاكر القطار من جيبه ، وفى هذه اللحظة قذفت بنفسها من القطار فماتت فى الحال (والحقيقة أن زوجها كتيوويسكى لم يقبض عليه الالمان أبدا ولا يزال الى اليوم على قيد الحياة) ·

أما (كلاوس) فقد كان مصيره أبسط من كل هــذا فان الجستابو لم يعثروا عليه في برلين كلية حتي عندما رجع اليها فى فبراير ١٩٣٣ · حضر اجتماع الطلبة الذى عقد خلسة ونال اعجابا وشكرا كثيرا لعمله فى كييل ونصحه الحزب ثانية بأن يهرب من الدولة حتى يتم دراسته فى الخارج ثم يرجع يوما ليقوم بنصيبه فى بناء ألمانيا الجديدة بعد أفول عهد هتلر ·

وكخطوة أولى طلب منه أن يحضر اجتماع الجبهة المتحدة التى نظمهــا (هنرى بربوس) فى باريس فى أغسطس التالى ·

وبعد أن بقى فى مخبئه خمسة أشهر عبر (فوخس) الحدود خفية الى فرنسا فى يولية وقصد باريس فى الحال · كان سنه فى ذلك الوقت واحدا وعشرين عاما ولم يكن له أصدقاء غير زملائه فى الحزب الشيوعى الفرنسى

ولم يكن يجيد التحدث بأى لغة غير الالمانية • وحدث فى ذاك الوقت أن احدى صديقاته الالمانيات وهى مخطوبة لابن عم له كانت تسكن مع عائلة انجليزية من هيئة (الاخوان) فى سومرست بانجلترا • كتب اليها (فوخس) من باريس حيث كان فى ذلك الوقت مفلسا ، وعندما علمت هذه العائلة بقصته أرسلت الى فوخس تدعوه اليها (بدون أجر) فى انجلترا حتى يمكنه أن يتم دراسته ، فوصل الى انجلترا وقد شحب وجهه وأشرف على الموت جوعا وقد حمل بعض ملابسه القذرة فى شنطةمن القماش ـ وكان ذلك فى ٢٤ سبتمبر ١٩٣٣ •

قرر أمام ضابط المهاجرين أنه حضر لانجلترا لدراسة الفيزيقيا (علوم الطبيعة) فى جامعة بريستول وذكر عنوانه مع عائلة (الاخوان) فى سومرست مقررا أنهم كانوا أصدقاء والده وقد سجل اسمه فى الدفاتر الرسمية لمكتب الاجانب فى وزارة الداخلية بأنه مهاجر وكان المهاجرون فى ذلك الوقت يتدفقون على انجلترا بكثرة فسمح له بالالتجاء اليها ولم يقل (فوخس) شيئا عن علاقاته بالشيوعيين لضابط اللاجئين • ذهب مباشرة الى العائلة التى دعته اليها فى سومرست وبقى معهم طوال العامين التاليين •

وفى ١٩٣٣ وكان لا يزال فى الواحد والعشرين من عمره فقط أظهر (كلاوس فوخس) اخلاصه وخاصة الى الذين يلتجئون الى دول الغرب الديموقراطية والذين ليس لهم علاقة بما هو جارى فى ألمانيا • ان فوخس قد خان ـ وربما كانت هذه الكلمة قوية جدا على هذا التعبير ، ولكنها الحقيقة فقد تخلى عن عقيدته أكثر من مرة • فقد سار مع الحزب الديموقراطى الاشتراكى زمنا ثم تحول عن كلى المبدأين حب السلام والمسيحية والآن بدأ يتخذ وطنية جديدة • قد يكون من الصعب على أى أحد أن يصرح بحقيقة ولائه ولمن هو ، والى أى جانب سيبقى اما (فوخس) فقد تعرض لظروف عصبية ويقول والده أن النازيين قد أصدروا حكمهم عليه بدون محاكمة وتقريبا قد انتهوا منه •

أما والده فقد بقى فى ألمانيا ليرعى طفل ابنته المنتحرة وهو فى سن الأربعة سنوات • ولكن الظروف لم تكن مواتية فان الدكتور (فوخس) كان يثق بالله ثقة تامة ولكن هذا الاضطراب وهذه المصائب التى بليت به عائلته أضنت جسده وفكره فعجز عن الاتيان بشىء •

وكتب الدكتور فوخس (كان ربيع وصيف عـام ١٩٣٣ مرضيين اذا ما فكرت فيهما الا أن أبنائى كانوا متفرقين وقد انتهى أملى فى الحياة وأصبح أصدقائى فى خطر وهرب بعضهم وسجن البعض الآخر وقتل الكثيرون منهم· أما ما أراه أمام عينى فهو نجاح ما أعتقـد فيه أنه قوة التدمير والظلم لذلك كرهت جمال الربيع وأشحت بوجهى عن رؤيا العائلات وأصوات الموسيقى وأصبح من القسوة جدا أن أخفى الاهوال خلف الحيـاة المؤلمة التى أحياها ولكن بعد ذلك تذكرت المآسى التى لاقاها المسيح وكان لذلك تأثير قوى جدا على كيانى) ·

أما (كلاوس فوخس) فلم يبق له ايمان بشيء فقد كان جائعا رثا حزينا· وكان حب الحياة العادية عزيزا عليه ، الحياة التى جعلته يهتم بأمرين اثنين فى هذه الدنيا هما الاول دراساته فى الفيزيقيا والآخر الشيوعية ·

الباب السادس

ومن اللحظة التى بلغ فيهـا النازيون قوتهم لم يهملوا رقابة المهاجرين الذين طردوهم خارج البلاد . فمنذ ١٩٣٣ أخذوا يشون بهؤلاء الناس عند حكومات الدول التى لجـأوا اليهـا وحاولوا فى بعض الاحـوال أن يغووهم أو يجبروهم على العودة الى ألمانيا ثانية .

وكان الحزب الشـيوعى منهمكا مع المهاجرين وقد نجح الى حـد ما فى انقاذهم لانهم كانوا احتيـاطا عظيما وأمكنهم أن يجندوا منهم أعضـاء جدد للحزب وكانت الشيوعية الالمانية هى حلقة الاتصـال بينهم وبين أهلهم فى ألمانيا وكان هنـاك دائما أمل بأنهم سـوف يعودون الى ألمانيـا عن طريق الشيوعية عندما ينتهى هتلر .

وانتشرت الملاجىء الجديدة للمهاجرين الشيوعيين فى انجلترا وفرنسـا وجميع الدول الديموقراطية الغربية ، واسـتفادوا من موجات اليسـاريين الأحرار والكارهين للفاشية فى الغرب وخاصة عندما اشتعلت الحرب الداخلية الاسبانية ، فقد اشتد نشـاطهم فى جميع منظمات اللاجئين وفى الجمعيات الخيرية والدينية وفى الحركات العمالية وفى الجامعات واتضح أن هذه الجمعيات كانت تتصيـد اللاجىء عنـد أول وصوله اذا لم يكن له ملجأ ما فكانت هى المركز الذى يلتقطه فيجد بينهم أصدقاءا وينال مسـاعدات مالية وأصدقاء يتحدثون بلغته وفى الحال يضمه الشيوعيون الى حزبهم .

وعندما اشـتد الضغط فى ألمانيـا على اليهود وسـقطت النمسـا وتشيكوسلوفاكيا اسـتمر تدفق هؤلاء اللاجئين وكان كل لاجىء منهم اما شيوعيا أو منتظرا انتماؤه الى الشيوعية مستقبلا .

كان النـازيون يعرفون ذلك تماما وكانت السفارات والقنصليات فى الخارج يمدها الجستابو بأسماء الالمان الذين هربوا ولم تتوانى عن تحذيرها للدول الديموقراطيـة من خطر هؤلاء الحمر (الشـيوعيين) وطالبوا مرارا بتسليمهم اليها .

وفى نوفمبر عام ١٩٣٤ كتب القنصل العام فى بريستول كتابا غير رسمى الى رئيس الشرطة فى المدينة أن (كلاوس فوخس) شيوعى ولكن هذه المعلومات المرسلة حبيا فى ذلك الوقت لم تكن لتحدث تأثيرا قويا لدى رئيس الشرطة • فقد كان القنصل العام ممثلا للحكومة النازية ، ثم أنه أدعى أن مصدر معلوماته هو تقرير الجستابو فى كييل (ولنتذكر أن فى الحقبات الثلاث الأولى من هذا القرن كان الجستابو عبارة عن مصدر رعب لم تتمكن الشرطة السرية الروسية من أن تفوقه حتى الآن) •

وعلى أى الحالات لم يكن انتماء الرجل الى الشيوعية أمرا غير محرم قانونا فى انجلترا بل كان هذا معناه أنه من المؤكد غير نازى • بل وزيادة على ذلك لم يكن هناك ما يعين على التحرى عن ماضى فوخس الا من الالمان أنفسهم وهى مصادر يندر أنتكون صحيحة ـ فهم يطاردون الرجل لاعتقادهم فيه أنه اما كان يهوديا أو مجرما أو أحمر أو الثلاثة معا ، ذلك أنه تجزأ وأمكنه أن يهرب من وطنه •

كان هذا التقرير الذى أرسله القنصل العام فى بريستول فى ١٩٣٤ هو القرينة الوحيدة عن شيوعية (فوخس) حتى يوم أن قبض عليه واعترف على نفسه • وكان معروفا بالطبع بين أصدقائه أن له أراء يسارية بل ولم يخف هذه الآراء وهو فى بريستول وقد تعاون مع لاجئين ألمان آخرين من المتعصبين ضد النازية ولكنه لم يأت بأى حركة تظهر انتماءه للشيوعيين كما ولم ينضم للحزب الشيوعى الانجليزى أبدا ، ولم يقل للشرطة أو أى موظف حكومى الآن أو بعد ذلك أنه كان شيوعيا يوما ما ، ولم يأت بنشاط ما فى أى اجتماع شيوعى أو اشترك فى مظاهرة شيوعية ولو أنه اشترك فى لجنة خاصة بمنظمة الامداد الاسبانية التى كانت تهتم كثيرا بمساعدة اللاجئين الأسبانيين •

عند تقديم تقرير الجستابو الى المسئولين فى لندن ، قرر رئيس الشرطة أن (فوخس) لم يشترك فى أى حركات شيوعية فى بريستول وأنه لم يتبلغ عنه أى أمر مشين الى الشرطة وهو كأجنبى مسموح له بأن يبقى ويعمل فى انجلترا وكان يجدد له هذا الحق بين كل وقت وآخر وكانت شرطة بريستول تتحرى عن (فوخس) فى ظروف متفرقة وكانت النتيجة فى كل مرة سلبية •

وبالطبع كانت الشرطة تتحرى عن (فوخس) من أصدقائه وجيرانه وكانت تعلم منهم ما سبق أن عرفته عنه من أن له آراءا يسارية · أما عائلة (الاخوان Tht Quaker Family) التى كان يعيش بينهم فقد كانت تقوم برحلات قصيرة الى روسيا وكانوا فى ذاك الوقت متحمسين لما رأوه فيها · الا أن الأصدقاء والجيران لم يجرأوا على افشـــاء معلومات خطيرة عن الماضى السياسى لهذا الشاب فى ألمانيا حتى ولو كانوا يعرفون منه شيئا · وعلى أية حالة كان هناك عشرات بل مئات مثل (فوخس) يجوبون فى كل انجلترا فى الحقبة الرابعة من القرن والمفهوم أنهم لم يخلوا بالامن أو يعرضوا أنفســهم للعبث علنا ولم يشأ رجال الشرطة أن يتدخلوا فى حياتهم الشخصية بل ولم تكن لديه الدواعى لهذا التدخل ·

كان (فوخس) يعيش عيشة هادئة جدا وكانت المصاعب الاخيرة التى تعرض لها فى ألمانيا قد اجهدته وكرهته فى أى رغبة لاى نشاط · والتقرير الذى كتب عن الستة أعوام التاليـــة لوجوده بانجلترا ينم عن حياة عملية متواصلة فى الجامعات بدون أى حادث حيث أن ذهنه الوقاد لم يتوجه الى أى أمر آخر غير الدراسة الجامعية ·

ففى العام الاول عاش فى انجلترا مع أصدقائه (عائلة ـ الاخوان) يأكل قليلا ويدرس اللغة الانجليزية ويطالع فى كتبه ويقابل قليلا من الناس وكان حيا خجولا وضيفا لطيفا فى المنزل · ويصفه من عرفوه بعد ذلك أنه شاب غير عادى ولا يؤذى ذبابة وكان يقابل بالشكر كل ما يؤدى نحوه من أى مكرمة · وبعد وصوله مباشرة أخذوه الى الجامعة فى بريستول حيث قابل (البروفيسور نيفيل موط) من مصلحة الطبيعة وهو يتحدث الالمانية بطلاقة · استمع (موط) الى قصة (فوخس) وكيف أنه درس كل الدروس فى كييل وبقى عليه نيل الدبلوم فى الفيزيقيا (الطبيعة) لانه اضطر الى الاختفاء وعلى ذلك وفق الى أن يتم دراسته فى بريستول (بدون مصروفات جامعية) وزيادة على ذلك واتته المساعدة من كل من مجلس المعونة بالاكاديمية وجمعية حماية العلوم والدراسات · وفى أكتوبر ١٩٣٤ (وقد علم القنصل الألمانى بكل هذا بالطبع) دخل الجامعة كأول طالب بحوث مع (موط) · وفى نفس الوقت تقريبا انتقل أصدقاؤه (جماعة الاخوان) الى المدينة وانتقل (فوخس) معهم ·

وأخيرا عندما تواجد معه بعض المال الذى واتاه من المؤسسات الخيرية سكن وحده فى حجرات فى ضواحى ردلاند ·

ولم يكن في معامل جامعة بريستول من هم في كفاءة (كلاوس فوخس) الا القليل وكان يعمل في تركيز واهتمام ولم يكن في حياته ما يشغله الا عمله • وفي ١٩٣٧ نال الدكتوراه في الفلسـفة في الفيزيقيا الرياضية كما منح في نفس الوقت منحة الزمالة في البحوث بالاستمرار في دراساته باشراف (البروفيسور ماكس بورن) في أدنبرة • ولم تكن هذه الدراسة مرضية لان (فوخس) كان لا يزال معتبرا أجنبيا وغير معروف معرفة تامة• ويقول البروفيسور (موط) اليوم أنه ربما لم يف حق (فوخس) في التقدير في ذاك الوقت فان نجاحه الذي برز أخيرا في الفيزيقيا لم يظهر لنا حتى ذاك الوقت •

ومع ذلك فقد أجاد في أدنبره وبدأ يقوم بابحاثه بارسال نتائج بحوثه الأصلية للمجلات العلمية وكتب موضوعا عن (بعض المسائل عن ديناميكا تكثيف الذرة واستقرار النواة) •

وفي بحر عامين نال الدكتوراه في العلوم في الطبيعة النظرية وفي ١٩٣٩ عندما نال هذه الدرجة منح الزمالة في معهد بحوث كارينجي واستمر في عمله في أدنبرة •

وفي نفس الوقت وطيلة هذه الاعوام الثلاثة كان (فوخس) يعد نفسه لدراسة فلسفة (كارل ماركس) دراسة مستفيضة وذلك في غرفة نومه في البيت وقد وصف كل هذا في اعترافاته أخيرا فقال (ان الفكرة التي استولت على أكثر من غيرها هي الاعتقاد بان الرجل في الزمن الماضي كان غير قادر على أن يفهم تاريخه الصحيح والقوى التي كانت عاملا على التطور الجديد للمجتمع البشري ، والآن وللمرة الاولى يدرك الرجل القوى التاريخية وأمكنه أن يتغلب عليها وعلى ذلك سوف يكون حرا حقيقيا لاول مرة • حملت هذه الفكرة الى الجو الذي أنا فيه واعتقد أنه أمكنني أن أفهم نفسي وان أجعل من نفسي ما يجب أن أكون) •

وكانت الوسيلة التي اتخذها هي فلسفة (فيتاغورس) مع المسيحية : أي الوصول الى المجد بالارقام • ففي ألمانيا وقعت الحوادث بسرعة وقسوة وكان النضال بين الاشخاص وبسرعة كذلك • اما هنا كانت الفلسفة خلف الحوادث ، التفسير ثم التبرير : أي تعيين الطريق الذي سوف يتبع • وقد تغلب عليه تغلبا تاما كمـا تغلب على الكثيرين غيره في الجامعات وقتئذ • ولكن ايمان (فوخس) كان قويا جدا لانه قاتل من أجل المبدأ منذ كان في ألمانيا ، وها هو قد اعتاد على التدين ولكنه اليوم هجر المسيحية فكان لابد لشيء ما أن يحل محل المسيحية •

كل هذا النضال دار مع نفسه وحده ولم يشرك أحدا معه كلية • وكان في المناقشات السياسية يحاول أن يتقهقر أكثر وأكثر في معتقداته ولكنه كان يبقى ساكنا • لم يكن هناك قطعا أى دليل للاعتقاد بأنه فى طيلة هذه السنوات الست التى قضاها في انجلترا كان يعمل جاسوسا سواء للشيوعيين الالمان أو الشيوعيين الروس ولكنه قد قطع اتصالاته مع ألمانيا الى حد بعيد ولو أنه كان يكتب الى والده بين حين وآخر رسائل عادية (ولم يكن أبوه شيوعيا) أما زملاؤه الشيوعيون الالمان القدامى فى داخل ألمانيا فهم اما ماتوا أو سجنوا أو اختفوا • وقد سافر (فوخس) الى الخارج مرة واحدة لزيارة شقيقه الذى كان هاربا فى سويسرا ، ورأى شقيقته (كريستل) مرة فى مقابلة قصيرة عندما مرت على انجلترا فى طريقها من ألمانيا الى الولايات المتحدة فى ١٩٣٦ • وعلى أية حال ، ففى الوقت الذى هرب فيه (فوخس) من ألمانيا فى ١٩٣٣ لم يكن من نظم المخابرات الروسية استخدام الاعضاء من غير الحزب فى الخارج ـ ولكنهم بعد ذلك بدأوا يستخدمونهم •

ثم أن فوخس لم تكن لديه فى ذاك الوقت أى معلومات سرية فحتى ١٩٣٩ كانت المعلومات تتداول بحرية وبكثرة عن الفيزيقيا النووية فى جميع العالم •

أما عن تأثير انجلترا نفسها والحياة الديموقراطية فيها على (فوخس) فمن المستحيل علينا أن نقول عنها كثيرا وكلما مضت الاعوام حاول أن يبتعد عن السياسة فى مناقشاته بل أكثر على الاقبال على عمله بقوة وقد نال أحد العلماء الذين عرفوا (فوخس) معرفة تامة أن الشيوعية بالنسبة اليه كانت نوعا من استعراضات يوم الاحد • كان ايمانه بها دائما فى الماضى ولكنه اليوم يمنحها بعض الوقت فقط • وهو ككل رجل أعمال منهمك فى أشغاله طول الاسبوع ، قد خص من ذهنه قسما لها ولم يدخل هذا فى عمله فى المعمل كلية • لم يفكر تفكيرا جديا فى التطوع فى اللون الدولى فى أسبانيا وربما ضعفت عقيدته الشيوعية عند قيام الحرب فى ١٩٣٩ • وقال فى اعترافه أنه أصيب بصدمة عندما وقع كل من (مولوتوف وربنتروب) الميثاق الالمانى الروسى ، فحتى ذاك الوقت قد قبل آليا جميع الامور التى سمعناها عن روسيا السوفيتية بأنها كلها أكاذيب مختلفة ، ولكن ها هى اليوم أصبحت حقيقة مادية علنية وهى أمر غير مهضوم كلية : قد تصافح الروس مع النازيين وهم الذين كرهوهم أكثر من أى شىء آخر فى العالم ، وقد فسر هذا

لنفسه بأن الروس انما وقعوا الميثاق لكسب الوقت حتى يمكنهم بسط نفوذهم ضد ألمانيا فى البلقان • وأخيرا عندما قام هتلر بالهجوم على روسيا فى عام ١٩٤١ وجد أن بعد نظرة قد تحقق وكان سعيدا بهذا التغيير •

وقد وجد أيضا هجوم الروس على فنلندا فى ١٩٤٠ كان صعبا وانها ليست من السهولة ابتلاعها ولكن لم يكن هذا الامر منطقيا فقدر الموقف بأن روسيا انما تعد دفاعاتها ضد جميع القوى الرأسمالية • أفلم تفكر انجلترا وفرنسا فى غزو فنلندا فى ١٩٤٠ ؟ •

ثم نجح فى تحليل شكوكه فقدكانت عنده شكوك وفى هذا تطور طارىء على سلوكه القديم وذلك عندما قبل خطة الحزب كأمر مسلم به • قد بدأ التفكير لنفسه مرة أخرى بعد أن قضى الست سنوات التى قضاها فى انجلترا فى تركيز ثقته بنفسه واحساسه بالامان • ولكن اضطراب نفس (فوخس) كان لانه لم يعرف أبدا ما هو الحد الذى يقف عنده فقد تطورت ثقته بنفسه الى الغرور ، لا غرورا أمام الناس فيكرهونه وانما غرور داخلى (باطنى) هو غرور بالاقتناع بصحة تفكيره وبعقله الذى لا يراه الناس فيه فيعرضونه للنقد •

وقد جاهد ليقاوم المرض والفقر والبؤس المخيمة على البشرية وقتذاك وقد احتل هذا الامر جانبا كبيرا من تفكيره •

ومع ذلك ففى ١٩٣٩ لم يكن من المستحيل عليه وقد وجد المتسع من الوقت عندما كان فى عزلة مأمونة فى أدنبرة ، أن يتبين الحقيقة عن الشيوعية الروسية • ومما لا شك فيه أن قد بدأ قبول طريقة الانجليز فى حياتهم ، وكان سنه فى ذاك الوقت سبعة وعشرين عاما وتكلم الانجليزية بلكنة ألمانية وبطلاقة وكون له صداقة مع انجليز واسكتلنديين • وفى ١٧ يوليه قدم طلبه للتجنس بالجنسية البريطانية •

لم يكن هناك سبب يمنع من حصوله على هذه الجنسية وقتئذ وقد عاونته (جماعة الاخوان) والجامعات التى انتسب اليها فقد ظل ست سنوات مواطنا مخلصا وكانت عملياته فى المعامل البريطانية مرضية جدا ولكن عندما أتى يوليه كان قد فات الوقت فقد بدأت الحرب قبل أن يتقدم طلبه خطوة • وابتداء من سبتمبر ١٩٣٩ حفظت جميع طلبات الجنسية

لرعايا دول الاعداء ، وهذا مما يؤسف له لانه قد كان أحد رعايا دول الاعداء فتعرض لظرف قد يهز ايمانه بالديموقراطية اذا كان في يوم ما قد تولدت لديه هذه الثقة ٠

وفى ٢ نوفمبر ١٩٣٩ عندما اشتبكت الدولة فعلا فى الحرب مع ألمانيا مدة شهرين قدم (فوخس) أمام محكمة الاجانب في أدنبرة فقد عدته وزارة الداخلية لاجئا من الضغط النازى وهكذا أصبح فى ملفه تحقيق (اتهام) ٠

وعندما قبض على (فوخس) أخيرا بعد الحرب كان المنتظر أن يعترف على نفسه بأنه شيوعى قبل المحاكمة ونتيجة لذلك كان على المسئولين حماية أنفسهم منه منذ تلك اللحظة ولكن ذلك لم يحدث فان (فوخس) لم يعترف بأنه كان شيوعيا يوما ما وكل ما وجدته المحكمة هو خطاب من البروفيسور (ماكس بورن) من جامعة أدنبرة الذى يقول فيه أن (فوخس) كان عضوا فى الحرب الديموقراطى الاشتراكى فى ألمانيا بين ١٩٣٠ ، ١٩٣٢ ٠

وبالنسبة لسلوكه الممتاز فى بريطانيا استثنته المحكمة من القيود التى كانت تطبق وقتذاك على رعايا الاعداء ، فقد كان عليه أن يبلغ عن نفسه للشرطة من وقت لآخر ولكنه استثنى من كل هذا ورجع (فوخس) الى عمله فى الجامعة ٠

كان هذا وقت الحرب الباردة وقبل أن تلقى القنابل على المدنيين فى البلاد ولم تبدأ بعد العمليات فى الجبهة الغربية ٠ ولكن عندما قام هتلر بهجومه على فرنسا وبلجيكا وهولندا (الأرض المنخفضة) فى الصيف التالى تغيرت هذه الصورة كلية فقد وقعت بريطانيا فى مأزق شديد وتوقعت غزو الألمان لها ، وكانت هناك أسباب قوية تدعو لشدة مراقبة الرعايا الالمان ، فصرفوا النظر عن ولائهم ـ فليس هناك متسع من الوقت للتحرى عن هذا الولاء ـ فان اللاجئين الالمان كانوا من أول أهداف الجستابو اذا ما غزوا بريطانيا ٠ وزيادة على ذلك قد بدأ العملاء فى تخريب المواد التموينية وليس هناك عدد كاف من الموظفين أو التسهيلات لمنع كل هذا ٠

وعلى ذلك كان من الضرورى اخراجهم بسرعة من الدولة فاعتقل(فوخس) بناء عن القانون العام لسنة ١٩٤٠ ٠

أرسل أولا الى جزيرة مان فى البحر الارلندى ثم نقل عبر الاطلنطى الى معسكر شدبروك بالقرب من كويبيك فى كندا • كل هـذا جرى بسرعة واضطراب لان الدولة كلها كانت فى ذاك الوقت منهمكة فى القتال من أجل حياتها أو موتها •

ولاشك أن بعض المعتقلين كانوا قهرا يعيشون فى شظف من العيش وضنك وذلك فى الايام الاولى من هذا الجلاء (اخلاء الوطن منهم) أما (فوخس) فقد جمع جمعا مع غيره من المقبوض عليهم وأخرجوا من الدولة فى سفينة شعر المسجونون فيها بأنهم عوملوا معاملة المجرمين لا كأناس عاديين وكان أحسن الناس حظا هم الذين سـافروا على سـفينة حربية تدعى (نجمة اراندورا Arandora Star) التى ضربت بعـد ذلك بالطوربيـد فى ١٩٤٠ بواسطة غواصة ألمانية فغرقت •

وتبدو بعض المصاعب التى لاقاها رعايا الاعداء اليوم أنها كانت سخيفة ولكنها لا تبدو كذلك عندما يتذكر الانسان الشدائد والاخطار التى حدثت فى تلك الأيام • والسفينة التى حملت (فوخس) سافرت من ليفربول الى كويبك وهى (أتريك Ettrick) فى مدة أسـبوعين وقد فرض الضبط والربط الصارم على الجميع وكان قبطان السفينة فى أثناء مروره الصباحى للتفتيش فى أرجاء السفينة كان يسبق مروره نداء بالبورى (النفير) لتنبيه المسجونين بقدومه فيقفون (انتباه) • وقد غرقت الاوراق الخاصة بهم مع السفينة (نجمة أراندورا) التى غرقت وكان معنى هذا أنهم عند وصولهم الى كندا لن يتعرف أحـد على شخصياتهم الا بعد وقت طويل • وكان على السفينة بعض رجال الدين الالمان وعند وصولهم الى كندا أخذوا على أنهم نازيون أسقطوا بالمظلات متخفين وأنهم أسـقطوا فى روتردام أثناء غزو المدينة الذى دمرها تماما ، فعوملوا على هذا الاعتبار وصرخ فيهم الناس وفى غيرهم باستهزاء (كيف حال هتلر ؟) وغير ذلك من كلمات التهزىء • وفى ناحية أخرى جمع ميجر بريطانى ، وهو رجل أمين ، المساجين حوله وتعهد بهم ورعاهم •

أن أغلب عائلاتهم قد قتلوا أو سجنوا أو شنقوا بأمر هتلر وهرب كثير منهم من جور النازيين بأرواحهم • ونتيجة لذلك قد عجبوا عنـدما أعلن الميجر (انى بريطانى وانى مخلص للميكى • وأنتم ألمانيون ومن رأيكم أنه يجب أن تكونوا مخلصين لهتلر • وما دام هذا أمر واضح للجميع وأننـا قد فهمنا بعضنا فلنتفق ونسير جنبا الى جنب) •

وفى مرة آخرى أعلن (المسجونون) احتجاجهم ـ عن موضوع تافه خاص بعدم رغبتهم فى استخدام بطاقة أسرى الحرب أو شيء من هذا القبيل ـ وجه الحراس بنادقهم عليهم لتهديدهم ٠

ربما كانت هذه الاهانات الاخيرة هى أشد من أى أمر آخر وخاصة أنها اهانات بنيت على سـوء الفهم والظلم وربمـا كان فوخس قد بدأ يحفظ حفيظته ضد الديموقراطية لهذا السبب بل ربما كان مبالغا فى انسانيته اذا لم تكن عنده هذه الحفيظة ٠

واشتد الارتباك فى كندا بعد وصول فوخس حيث لم يكن هناك وقت لفرز المسجونين فرزا صحيحا فى انجلترا قبل ركوبهم البحر وكان فوخس فى ذاك الوقت يلبس ملابس المساجين وعلى ظهره علامة كبيرة ملونة وقد وجد نفسه فى معسكر مخصص لاستيعاب النازيين المعروفين والغير مرتدين عن النازية ووجد صديقا بينهم اسمه (هانز كاهل) وقد أرسـل الآخر خطأ الى شيربروك ٠ ومما يبعث على التفكير أننا لاحظنا كيف تأثر (فوخس) من سوء اعتقاله منذ لحظة أن تقابل مع صديقه (هانز كاهل) ٠

فلم يكن (لفوخس) نفسه أى شكوى خاصة من هذا الاعتقال خلاف قوله أنه أدرك فى ذاك الوقت أن بريطانيا (لم يمكنها الاستغناء عن خبرة رجالهـا كى يقوموا ببحث أمر المعتقلين) وبما أنه كان محروما من قراءة الصحف فلم يعرف عن مجرى الحرب شيئا ولا عن موقف بريطانيا منها ولا من دراسة الخلق الحقيقى للبريطانيين وقد أراد أن يقول (ولو أنه لم يهتم بأن يقوله) أنه حتى ١٩٤٠ لم يكن متأكدا من أن البريطانيين كانوا عازمين على مقابلة النـازيين حقيقة وهى المهمة التى أراد الروس أخيرا أن يقوموا بهـا ٠

وعلى أى الحالات قد تسبب الاعتقـال فى قطع دراساته ولم يكن من المستحيل عليه فى هذا الخمول الذى قضاه فى المعسكر أن يتحول الى العاطفة السرية الثانية فى حياته ـ وهى دراسة الشيوعية الروسـية ـ وتجديد ايمانه بها ٠ وبالطبع قام (هانز كاهل) بدوره فى مسـاعدته فى هذه الناحية لان (كاهل) كان شيوعيا صميما وبدأ تعلقه بها منذ ١٩٣٥ ، وهو

أكبر من فوخس سنا وأقدر على اقناع محدثه بآرائه · وهو مولود في برلين في ١٨٩٩ وقيل أنه كان ضابطا في القوات المسلحة الالمانية قبل أن يكون مغامرا شيوعيا ، وكان في الاتحاد السوفيتي في عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ وبعد ذلك قاد وحدة في الجيش الجمهوري في الحرب الداخلية الاسبانية وقد اعتبر في أسبانيا ممثلا لوحدات الامن السوفيتية ·

حضر (كاهل) الى انجلترا في ١٩٣٩ وفيها كتب كتابا عن الحرب الداخلية وفي الحال تعرف عليه الشيوعيون البريطانيون المعروفون · وكان كذلك نشطا في العمل مع المنظمات الخاصة باللاجئين الألمان والأسبانيين حتى بدأت الحرب حيث اعتقل وارسل الى كندا ·

وأخيرا أخلى سبيله لكي يعمل تحت اشراف البروفيسور (ج·ب·س· هالدين) في القوات البحرية في لندن · وكان (كاهل) طوال مدة عمله منظما شيوعيا ودعائيا وعضوا في اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي الالماني في بريطانيا ، وربما كان في ذاك الوقت لا يزال ضمن هيئة الامن السوفيتية ·

وبعد الحرب مباشرة ذهب الى المنطقة السوفيتية من ألمانيا وعين في مركز كبير في الشرطة ثم توفى في ١٩٤٧ ·

كان هذا الرجل صديقا حميما ورفيقا (لفوخس) طيل الستة أشهر التي قضياها في كندا معا حيث كانا أولا في معسكر النازيين الصميمين ·

واذا لم يكن حقيقة أن (هانز كاهل) قد جر (فوخس) لشبكة الجاسوسية الروسية ـ وانكر (فوخس) حدوث هذا ـ فالمحتمل أنه أبلغ الروس بأن (فوخس) مأمول منه · واذا كان قد أرسل لهم هذا التقرير فان الروس لم يأبهوا به حتما فهم ليسوا دائما ـ كما سوف نرى ـ أذكياء في تفكيرهم · وتقابل (كاهل وفوخس) مرة أخرى بعد ذلك عندما رجعا سويا الى انجلترا في منظمة الشباب الحر الالمانية ·

لم تثبت ضد فوخس أى مخالفات فى المعسكر فقد كان دائما مسجونا لين العريكة ، واشترك اشتراكا عاديا فى سياسة المعسكر ٠ واشترك مرة فى الاحتجاج ضد تعيين ابن ولى العهد الالمانى السابق كقائد معسكر (وكان الشاب يدرس فى انجلترا عندما أعلنت الحرب واعتبر أنه موال للنازية) وفى مرة أخرى احتج ثانية عندما كتب تقريرا بأن المعتقلين اليهود سوف يستبدلون بالمعتقلين الكنديين فى ألمانيا ٠ الا أن (فوخس) لم يؤخذ على أنه من المتمردين بسبب هذين الاحتجاجين ولو أن كل هذا يعتبر نقطا هامة ترتبط بالخيوط الأساسية التى تؤول بصاحبها الى الجاسوسية بل وبعضها لا يقود الى أى شىء ٠

وعندما كان (فوخس) فى المعسكر تعود أن يتسلم صحفا ومجلات من (اسرائيل هلبيرين) وهو اسـتاذ فى العلوم الرياضية فى جامعة الملكة بكنجستون فى انتاريو ٠

و (هلبيرين) ولد فى كندا من أبوين روسيين وقد حققت معه اللجنة الكندية الملكية فى ١٩٤٦ تحقيقا دقيقا ثم أفرجت عنه ٠ ويقول فوخس أنه لم يتقابل مع (هلبيرين) كلية ولا يعرف كيف كان يرسل اليه هذه المجلات ويعتقد أنه ربما كان قد استدل على اسم فوخس من أخته (كريستل) فى ماساتشوستس ٠

وظهر (هلبيرين) مرة أخرى فى قصة (فوخس) ، فعندما هاجمت الشرطة الكندية منزل (هلبيرين) وجدوا نوتة بها بعض العناوين وكان منها عنوان (فوخس) وقد علمت السلطات بهذه المعلومات فى ١٩٤٦ أى قبل القبض على (فوخس) بثلاثة أعوام ٠

ويمكن التكهن بالكثير من كل هذا ٠ فنوتة العنوانات الخاصة (بهلبرين) تضمنت أسماء كثيرة لرجال كثيرين ليس لهم علاقة بالمرة بالجاسـوسية ٠ وكان ظهور اسم (فوخس) بين هذه الاسماء فى ١٩٤٦ ـ أو أى اسم آخر ـ لا يحتمل الشك أو الاشتباه المباشر فى ذاك الوقت ، فلربما كتب الاسم لان (هلبيرين) قد طلب منه أحد الناس ارسـال المجلات الى (فوخس) فى معسكره ٠

ولا تزال الصلة موجودة بين الاثنين وستبقى هكذا احدى فصول هذه القصة التي لم تفسر تماما حتى اليوم ·

بقي (فوخس) معتقلا في كندا باقي عام ١٩٤٠ (وقد ابتعد عن الجو العدائي الذى ناله من انجلترا) ، الا أن أصدقاءه كانوا جادين في العمل من أجله · فالبروفيسور (بورن) وغيره من العلماء الذين عرفوا عمله وقدروه الحوا في استصدار أمر الافراج عنه · وفي هـذا الوقت بدأ المسئولون في انجلترا في التحقيق والتحرى عن الناس الذين أبعدوا على عجل وقت حدوث الازمة ·

وفي يناير ١٩٤١ أفرج عن (فوخس) ورجع في الحال الى بحوثه في جامعة أدنبرة ·

الباب السابع

فى ربيع ١٩٤١ كتب (البروفيسور رودلف بيرلس) من جامعة برمنجهام الى (فوخس) فى أدنبرة يسأله اذا كان يجب أن يقوم بعمل خاص في برمنجهام ، والاجر هو ٢٧٥ جنيها فى العام وأن هذه العملية مؤقتة ولكنها قد تستمر الى أمد غير معروف ، واذا وافق (فوخس) على الحضور الى برمنجهام لمناقشة الامر فستدفع له مصاريف السفر ٠

كان (البروفيسور بيرس) يعمل سرا فى القنبلة الذرية وكان يريد مساعدين له — وبالاخص مساعدا كفئوا للقيام بعمل الحسابات الرياضية العالية — ٠ وكانت الصعوبة هى أن أغلب علماء الطبيعة الانجليز الاكفاء كانوا يعملون في بحوث الرادار والبحوث الحربية الهامة الاخرى وكان من الصعب الحصول على أحدهم فاضطروا للبحث عن مثلهم من بين رعايا الاعداء ٠

تعرف (بيرلس) على (فوخس) معرفة عابرة قبيل الحرب ولكنه قرأ له بعض أبحاثه كما عرف أن البروفيسور (موط) فى بريستول والبروفيسور (بورن) وغيرهم قدروا كفاءته تقديرا فذا ، كما ظهر فى ملفه أنه كفء بهذا العمل ٠

تمت المقابلة في برمنجهام وكانت مقابلة مرضية ولم يعلم (فوخس) تفصيلات عن طبيعة العمل ولكنه اخبر باختصار أن العملية عاجلة وأنها سرية وأنها تتعلق بالحرب فقبل العمل فى الحال ٠ كان على (بيرلس) بعد ذلك ضرورة الحصول على التصديق على هذا التعيين من المسئولين فى لندن ٠ فأخذ رأى ادارات الامن التى قامت بدورها بدراسة جميع المعلومات لديها ونحت تقرير القنصل الألمانى فى بريستول باعتباره مصدرا مغرضا ، وبخلاف ذلك لم توجد أى شائبة ضد (فوخس) ، وعلم أنه درس فى انجلترا مدة سبع سنوات وطلب التجنس بالجنسية الانجليزية ولكنه اعتقل ثم أفرج عنه والآن يقوم ببحوثه فى الفيزيقية النظرية فى أدنبرة ٠ وبقطع

النظر عن أنه من رعايا الاعداء فلم يوجد في ملفه ما يثير الشك فيه كلية ٠ ومع ذلك كان ـ الصواب في ذلك الوقت اتخاذ خطوة في الامن (احتياطية) فلا يمنح حق الاشتراك فى الاعمال السرية الا فى حالات الضرورة القصوى ٠

ومع ذلك فقد رأوا أنه حتى اذا أراد أن يفشى معلومات فهو لن يدليها الى الالمان طبعا وهم أعداؤنا اليوم بل الى الروس وهم اليوم حلفاؤنا ٠

هذا هو مضمون تقرير ادارات الامن عن (فوخس) فى ١٩٤١ ٠

وفى انجلترا ليس من حق ادارات الامن التصديق على التعيين أو عدمه، فوظيفتهم هى المنشورة فقط وعرض الحقائق التى يعرفونها وشرحها ٠ وأما صدور الامر بالتعيين فهو من مسئولية الوزارة المختصة ، فكانت الوزارة المختصة يومئذ هى وزارة انتاج الطائرات لان جميع أعمال الطاقة الذرية قد سلمت حديثا اليها ٠ وكانت الوزارة وقتذاك منهمكة فى اخراج طائرات للاشتراك فى معركة بريطانيا وأعلن صراحة عن ذلك فى الاجتماعات الوزارية برئاسة المستر تشرشل فقيل : أن كل فرد يمكنه أن يساعد بريطانيا على كسب الحرب يجب أن يجنــد لهذه الخدمة وفى الحال ٠ فعين (فوخس) ، وبما أنه من غير المعقول طبعا مطالبته بالعمل دون ايضاح ماهو مطلوب منه على ذلك صرح له بالاطلاع على الامور السرية فى برمنجهام ٠

بدأ العملفى مايو ١٩٤١ ، وقد وقع (فوخس) علىقانون الاسرارالحكومية عن بدء العمل ، وبما أنه كان فقيرا ووحيدا فقد أوجدت له عائلة (بيرلس) غرفة له فى منزلهم فى برمنجهام واستمر ساكنا معهم كفرد عادى فى العائلة حتى تقريبا نهاية مدته فى انجلترا فى عام ١٩٤٣ حين انتقل الى محل عمله الاول ٠ وفى طوال هذه المدة التى تزيد على عامين لم يعرف عنه أو يلاحظ عليه أنه كان يتصل بالروس فى يوم ما ٠ ولم يخامر الشك يوما هيئة الجامعة أو أصدقاءه بل وجدوه حيا ساكتا ومنعكفا ولم يهتم بنفسه قط ، فقد شغل عن نفســه بالعمل ، ومن وقت لآخر ، قامت احدى أفراد عائلة (بيرلس) بخياطة زرايره أو مساعدته فىشراء هدايا عيدالميلاد أو تقديمه للمجتمعات ـ وهذا كل ماحدث ٠

، كان يرجع من عمله فى كل مساء ومالم يوقفه أحد فهو يذهب الى غرفته مباشرة ليستأنف عمله حتى منتصف الليل ٠ لم يكن متعبا فى معيشته وقد أحب الاطفال وأغرم بالكلاب وكان يقوم ببساطة وبدون كلام بالمعاونة فى

الشئون المنزلية • بل أنه كان يشترك بالفعل فى الاجتماعات العائلية أو الجامعية • وعندما وصل الى برمنجهام فى أول الامر كان شحوب وجهه يدل على مرضه ومع ذلك كان ينعم بصحة جيدة مع فقر الدم الذى عنده ، كانت أسنانه تالفة ولذلك كان يفضل الطعام اللين وخاصة البيض والفطائر ، قام برحلات قصيرة الى لندن وبعضها من أجل العمل وبخلاف ذلك فهو لم يغادر منطقة برمنجهام الا نادرا •

كانت هناك حادثة واحدة ـ وقد لاتسمى حادثة ـ وقد أشعرت العلماء فى برمنجهام أن بينهم رجلا غريبا عنهم وكان ذلك فى حفلة عشاء ليلة رأس السنة فكانوا ينشدون أغان روسية ، وقد لاحظوا أن فوخس كان يقف بعيدا عن الناس وفى وجهه تعبير بتعظيم هذه الاغانى بدرجة شديدة ، وكان هذا التعبير وفرط السرور قد جعل السيدة التى راقبته فى حالته هذه تعتقد أنه رجل قد وقع فى الحب •

بعد أن وصل فوخس الى برمنجهام بستة أشهر قامت منظمة أطلق عليها (Tube Alloys مسابك الأنابيب) تمويهـا لتنظيم عمل علماء الذرة فى الجامعات المختلفة • ولم تكن تحت اشراف وزارة عادية وموظفين مدنيين بل كانت جماعة صغيرة سرية جدا ولها مكاتب عامة فى شارع الملكة القديم (أولد كوين ستريت) فى وستمنيستر • ولها هيئة صغيرة على رأسـهم (السير والاس اكرز) من مصلحة الصناعات الكيمائيـة الامبراطورية ، (والمستر ميتشيل بيرين) من نفس المصلحة أيضـا كمسـاعد له وكانا مسئولين مباشرة أمام رئيس المجلس (السير جون أندرسـون) ورئيس الوزراء • ومن واجباتهم العمل على تصفية المعلومات كلما تقدم العمل فى الطاقة الذرية •

وقد طلب من العلماء الذين يقومون بهذا العمل فى اكسفورد وكامبردج وبرمنجهام وغيرها أن يرسلوا التقارير الشهرية فيما بينهم قبل أن توزع حتى يمكن تحاشى اللغو والتكرار حتى يسير العمل موفقا سلسـا • وكان (كلاوس فوخس) هو الرجل الوحيد الذى لم يتأخر مرة عن تقديم تقريره فى الموعد الدقيق ولم يعتذر مرة بأنه كان مشغولا جدا أو أنه كان منهمكا فى عملية (تجارب) لا يمكن تأجيلها • وكانت تقاريره واضحة ومكتوبة بوضوح ودقة • وعندما كان يطلب منه أن يفسر محتوياتها للعلماء الذين لا يعملون فى نفس الميدان كانت عنده القدرة على تبسيط التعقيدات الفنية فى لغة سهلة •

وقد شعر (البروفيسور بيرلس) في برمنجهام بكامل رضائه بحسن اختياره لهذا المساعد وفي عام ١٩٤٢ عرف أن معه جوهرة ـ مخا حسابيا منسقا دقيقا ـ وفوق هذا كانت لفوخس عقلية تفهم أى مسألة تعرض عليه وكان يحفظ كل شيء بسرعة مدهشة ، ويمكن أن يطلب منه حل أى عملية حسابية فيأتي بالنتيجة في الحال وهي نتائج مضمونة تماما ويعتمد عليها كل الاعتماد ·

كان العمل في برمنجهام مختصا بعملية انتشار الغاز في تفتيت عناصر اليورانيوم التي كانت لا تزال في المرحلة التجريبية في كل من بريطانيا والولايات المتحدة وكانت واحدة من المراحل العديدة المختلفة التي كانت تحت الاختبار · وكان (البرفيسور بيرلس) مختصا بمسائل انتشار الغاز ، و (فوخس) كان مختصا بالعلوم الرياضية في مجاله الخاص ولكنه سرعان ما اندمج في مسائل انتشار الغاز أيضا ·

وفي ١٩٤٢ طلب (فوخس) مرة أخرى التجنس بالجنسية البريطانية وكان يسانده في ذلك هذا السند القوي وهو ادارة (مسابك الانابيب) · فقد أصبح رعايا الأعداء يمنحون الجنسية البريطانية في أثناء الحرب في ظروف شاذة ، وكان السبب الذى ذكر وقتئذ هو أن (فوخس) يقوم بعمليات وطنية هامة ، وأنه يجب أن يكون مواطنا بريطانيا حتى يمكن منحه زيارة الاماكن المحظورة الخاصة بالعمل الذى يقوم به ·

كانت هناك تحريات بواسطة الشرطة وهكذا مرة أخرى عرض تقرير القنصل الالماني وكان هو التقرير الوحيد ضده · وقد سئل فوخس شخصيا وعلنا ، فالاجراء البريطاني بسيط جدا مثله كمثل النظام في الولايات المتحدة · وفي ٧ أغسطس ١٩٤٢ منح الجنسية البريطانية وأقسم اليمين القانوني التالي :

أنا ، اميل جوليوس كلاوس فوخس، اقسم بالله العظيم أن أكون مخلصا وأحمل ولاءا صادقا لجلالة الملك جورج السادس وولى عهده وخلفائه حسب القانون ·

عندما أقسم فوخس هذا اليمين بدأ نشاطه واتصل بانتظام مع جاسوس روسي · وقد بدأ هذا الاتصال بعد وصوله الى برمنجهام مباشرة في ١٩٤١ ولم يكن هم الروس الذين اتصلوا به بل هو الذى بدأ الاتصال وتطوع بتسليمهم بالمعلومات ·

ولم يكن من الصعب على (فوخس) أن يتصل بالروس ، فقد تعرف على عدد من الشيوعيين في منظمات اللاجئين والجامعات وهم الذين وصلوا الى انجلترا من ألمانيا في ١٩٣٣ وفي احدى هذه المنظمات تعرف على (سيمون كريمر) سكرتير الملحق العسكرى السوفيتي في لندن ٠

وقد عرف فوخس (كريمر) طول مدة التعاون في الجاسوسية باسم (الكسندر) ولم يتعرف على حقيقة شخصيته كلية ٠ وكان (كريمر) رجلا لطيفا كموظف صغير بين الدبلوماسيين والعسكريين في لندن طول أيام الحرب ٠ واسمه بالكامل هو (سيمون) دافيد دفتش كريمر Simon Dairdovch Kremer) وكان روسيا مولودا في جوميل عام ١٩٠٠ ٠ وصل انجلترا ليشغل مركزا في السفارة الروسية قبل قيام الحرب بعامين وكانت معه زوجته وطفلاهما ، وكانت وظيفته بدون شك هي ستار لعمليات أهم ، وغادر انجلترا في نحو نهاية الحرب وقبل اكتشاف شبكة الجاسوسية الكندية وقبل القبض على (فوخس) بمدة طويلة ٠

فما هو الأمر الذى جعل (فوخس) ينقلب الى خائن نشط في ١٩٤١ ؟ سنذكر وجهة نظره بنفسه فيما يلي :

(بعد أن أخلى سبيلي من الاعتقال بمدة قصيرة ، طلب منى مساعدة (البروفيسور بيرلس) في برمنجهام في بعض أعمال للحرب ٠ قبلت هذا الطلب وبدأت العمل دون أن أعرف في أول الامر ما هو ذاك العمل ٠ ولا أرى أن هناك أى فرق سواء علمت أم لم أعلم طبيعة هذا العمل بالنسبة لاعمالى التي تبعت ذلك ٠ وعندما عرفت تماما طبيعة هذا العمل الذى طلب منى صممت على أن أحيط الروس به وعلى ذلك اتصلت **بعضو آخر من الحزب الشيوعي** ٠ ومنذ ذلك الوقت كانت اتصالاتي مستمرة مع أشخاص لا أعرفهم كلية ولكنى كنت أعرف أنهم سيوصلون هذه المعلومات التي أسلمها اليهم للسلطات الروسية ثقة تامة وكنت أعتقد أن الحلفاء (الدول الغربية) قد أوقعوا ألمانيا وروسيا ليحاربا بعضهما في حرب فناء لكلتيهما وعلى ذلك لم أتردد في ايصال كل المعلومات التي تحت يدى اليهم ولو أني أحيانا كنت أحاول أن أركز على المعلومات الخاصة بنتائج عملياتي بصفة خاصة) ٠

ويهمنا ملاحظة تعبيره عن (عضو آخر من الحزب الشيوعي) لان ذلك معناه أنه ولو أنه لم ينضم للحزب الشيوعي في انجلترا الا أنه كان يعتبر نفسه كأحد أعضائه) ٠

ومن الضروري أيضا ملاحظة التواريخ في هـذا الاعتراف ففي يونية ١٩٤١ عندما بدأ فوخس عمله فى القنبلة الذرية كان النازيون يهاجمون روسيا ، عند ذلك تناسى (فوخس) كل شيء بخصوص ريبته من أمر الحلف الألماني الروسي وغزو فنلندا ولم يفكر فيه • بعد ذلك توالت أشـهر ظل يطالب ستالين فيها بالحاح (وعاونه ضغط من الاحزاب الشيوعية فى جميع العالم) بجبهة ثانية وذلك بأن تقوم دول الحلفاء بغزو غرب أوروبا حتى يخف الضغط عن روسيا • وعنـدما مضى الوقت دون اجابة هـذا الطلب وقاربت موسكو أن تسقط وعندما دار القتال من أجل ستاللنجراد وأصبحت خسائر الروس خطيرة مخيفة بدا ذلك (كلاوس فوخس) أن الناس الذين اختارهم أئمة له تركوا ليتحملوا الصدمة وحدهم ، وازداد فيه الحماس كي يعمل أى شيء من أجل هذا المذهب الذى اعتنقه كذلك كان فى انجلترا غيره كثيرون يشعرون بنفس الشيء في ذلك الوقت ، وقامت (المسز تشرشل) بتنظيم لجنة المعونة الروسية التي أنشأتها وانتشر بين الناس شعور بالعطف على روسيا فى طول بريطانيا • وضاعف العمال ساعات العمل في المصانع واشتد الحماس عندما أرسلت الشحنة الاولى من الاسلحة البريطانية للابطال الروس ، ولكن هناك قليل من النـاس هم الذين كانت لديهم الوسـيلة أو الحماس الزائد فيعملون ما عمله (كلاوس فوخس) •

سلم (فوخس) الى (سـيمون كريمر) فى لندن صـورا من تقاريره الشهرية لاعماله في الطاقة الذرية ، هكـذا كان نصيبـه فى عون أبطـال ستالينجراد ولكسب الحرب •

اجتمع مع (كريمر) أربع مرات على الاقل فى لندن بين آخر عام ١٩٤١ وآخر عام ١٩٤٢ • وبما أنه كان من الصعب عليه مغادرة برمنجهام فى أثناء أيام العمل الاسبوعية ـ فالمساعدة من برمنجهام الى لندن تأخذ عدة ساعات ـ لذلك كانت المقابلات تحدد فى عطلات نهاية الاسبوع وفى المساء فقط •

وكان الاجتماع الاول في منزل خاص في جنوب هايدبارك وفي مكان لا يبعد عن السفارة الروسية فى حدائق قصر كنسنجتون ، وقد تقابل مع رجل روسي يتحدث الانجليزية بطلاقة وقال أن اسمه (الكسندر) وظهر أنه يعرف كل شيء ولكن (فوخس) كان رجلا شديد الحذر وقد سـاوره الشك عن هذا الوسيط ـ الكسـندر ـ فهل هو الوسـيط الصحيح وهل المعلومات ستصل الى الروس حقا ، لذلك بعد انتهاء المقابلة مباشرة ذهب فوخس جهرا الى السفارة الروسية ليستعلم وليطمئن وهو أمر ممنوع كلية

بالنسبة للعملاء الذين يعملون مع الروس (ما عدا اذا ما أرادوا مخالفة هذا القانون عمدا) وقد قابله الروس بفتور لهذه الزيارة ٠ومع ذلك فقد تأكد من الأمر وتبددت شكوكه ثم أعطوه ميعادا آخر مع نفس (كريمر) وكان ذلك في الطريق العام ، فأحيانا في طريق خاص هادى أو محطة أوتوبيس مزدحمة وقد اختيرت كل من الحالتين في مرة ٠

وكان هناك ــ ولا يزال ــ نظام خاص بالجاسوسية الروسية وهو قابل للتغيير دائما ولكن هناك قواعد أساسية معينة أهمها هو (ممنوع كلية على الجاسوس أن يأتى بالعمل الجنونى وهـو زيارته القنصليـة أو السـفارة السوفييتية) وقد نظمت المخابرات الروسية قبل الحرب بمدة ، ومنع على الجواسيس كذلك الاتصال كلية بالاحزاب الشيوعية المحلية ٠ ولا تزال هذه الأحزاب تستخدم كوحدة الاساس فى تجنيد الجواسيس ولكن مادام الرجل قد أختير جاسوسا فهو يرغم على قطع كل صلة له بجميع الاتحادات المعروف بأن لها صبغة شيوعية ٠

وفى التنظيمات الجديدة وجد الروس أن الافضل استخدام الخونة من الأجانب المثقفين مثل (كلاوس فوخس) بدلا عن مواطنيهم الذين اتضح أنهم يجهلون جهلا فاحشا الوسط الغربى ، ولكنهم احتفظوا بمركز المدير لهم فى كل شبكة وكان عادة يعين فى دولة غير الدولة التى يتجسس عليها ٠

وقد دعا اسـتخدام الخونة الى نوع جديد من الاجراءات حيث أن قليلا منهم هم الذين يدخلون هذه الخدمة من أجل المال ٠ ومع ذلك فلابد من مدهم (بالمـال) حتى لا تفتر همتهم أو يرتدون عن الشـيوعية وعلى ذلك الحت المخابرات الروسية على صرف الأموال اليهم ولو فى حدود ضيقة الى عملائهم وأخذوا عليهم الايصالات بهذه المبالغ وهى ضرورية للتشهير بهم وفضحهم عند اللزوم ٠

ويدرب العملاء الروس ليقوموا بحياة مزدوجة ولذلك يعتقد (فوخس) أنه لم يكتشف فقد كان متنكرا تنكرا تاما وكذلك باستخدام أسماء خداعية واستخدام أجهزة يخفونها فى مساكن متفرقة ٠ والغرض من ذلك بالطبع هو أنه عندما يكتشف أحد رجالهم لن يكون فى قدرته أن يبوح الا بمعلومات محدودة عن وسطائه ٠وطرق الاتصال الاساسية هى عادة بواسطة السفارات والمفوضيات الروسية ٠ وقد استخدموا بدورهم المراسلين الدبلوماسيين الذين كانوا يسافرون بانتظـام الى موسـكو مع اسـتخدامهم طرقا تبادلية للرسالات الكودية من محطات الارسال السرية ٠

ولا يحب الجواسيس والرسـل (المراسلون) أن تكون مقابلاتهم فى البيوت الخاصة بل يفضلون الشوارع المزدحمة ومحطات المترو تحت الارض، ثم من الضرورى أن تكون المقابلة لمدة دقائق قليلة فقط تكاد تكفى لتسليم الاوراق فى صحيفة (جريدة) ملفوفة أو ميكروفيلم فى سجارة ٠

وكقاعدة عامة لا يعطى الجواسيس اشارات لبعضهم عندما يتقابلون بل ينتقلون من هذا المكان الى آخر حتى تسلم المعلومات ثم يعطى الموعد للمقابلة التالية ٠ وكاحتياط يقف أحيانا رجل ثالث لا يعرفه الاثنان الاولان للتأكد من أن المقابلة تمت بدون أن يلاحظها أحد ، فهناك ترتيبات لمقاومة (مقاومة الجاسوسية) أيضا ، وهناك عمليات مراقبة واختفاء الاثر مرسومة لمعرفة احتياطات الامن التى تتخذها الدولة التى يتجسسون عليها ٠

كل هذه الامور أصبحت معروفة تماما نتيجة لتحقيقـات السـلطات الكندية وأقوال كثيرين من الروس المرتدين ومن الشيوعيين الى دول الغرب٠ ولكن فى عامى ١٩٤١ و ١٩٤٢ (عندما كان من غير المتوقع أن تغدر روسيا بحلفائها) كانت كل هذه الامور غير عادية وكان على (فوخس) أن يدرب على فنون المؤامرات من بدايتها وقد برز فيهـا بتوفيق عظيم ، ولم يمكن للروس أن يجندوا عملاء ممتازين مثله الا قليلا جدا ، سواء فى الـذاكرة والقدرة فى التفسير وفى النظام والاخلاص ٠

وبدأ (فوخس) فى تسليم المعلومات فى أكتوبر ١٩٤١ وكانت فى شكل صـور بالكربون من تقاريره التى كتبها على الآلة الكاتبـة بنفسـه أو خطها بيده ٠ وكل هذه المعلومات هى من عصارة ذهنه وكانت نتيجـة عملياته هو ولكن اذا كانت عنده معلومات اخرى فلا يسلمها ٠ ويظهر أنه فى هذه المرحلة الاولى كان يقنع ضميره بأن هذه المعلومات التى يسلمهـا للروس انما هى تخصه وحده ، فانه انتجها بنفسه وله اذن حق التصرف فيها بل أن هذه الافكار لم تقف عند هذا الحد ٠

وفى نهاية ١٩٤٢ اختفى (الكسندر) واخطر (فوخس) أن وسـيطا آخر سيعمل معه ، وفى هذه المرة سيكون الوسيط امرأة ، وأن محل المقابلة تغير كذلك ٠ ولا شك أن الاختيار الجديد كان موافقا لفوخس كثيرا وهو من لندن الى بانبرى ــ وبانبرى بلدة تجارية تبعـد ٤٠ ميلا من برمنجهام ــ وبدأت سلسلة المقابلات فى ١٩٤٢ واستمرت فى فترات كل شهرين أو ثلاثة وفى كل مرة كان (فوخس) يسافر فى قطار بعد الظهر من برمنجهام فى

نهاية الاسبوع ثم يسير في الطرق الزراعية خارج المدينة ثم تنتظره المرأة في تلك الجهة • والمرأة لا تسكن في بانبرى ولكنها تحضر خصيصا لهذه المقابلة فتأتي بالقطار من لندن • وقد تواعدا في مرة على موعد في قهوة مقابلة لمحطة سكة حديد سنوهيل (جبل الثلج Snow Hill) في برمنجهام •

كثرت التكهنات عما قدم فوخس للروس طيلة عام ١٩٤٣ ومن المؤكد أنه في المدة بين ٤١ ــ ١٩٤٣ كان بامكانه أن يفيدهم باننا وفقنا في عمل قنبلة من اليورانيوم ، كما كان في قدرته أن يعطيهم نتائج حساباته عن نظرية وقة ضغط وانتشار الغاز لتفتيت ذرات اليورانيوم واكتشاف أن اليورانيوم ٢٣٥ الذى ينتج بهذه الكيفية يمكن استخدامه في القنبلة الذرية ، ــ وبالفعل أعطاهم كل هذه البينات •

كذلك أمكنه أن يريهم كل حساباته الخاصة عن كمية اليورانيوم ٢٣٥ التى يحتاج اليها في نجاح الانفجار •

وقد قدر الدكتور (كارل كوهين) من جامعة كولومبيا مقدار المعلومات التى يعيها (فوخس) في ذاك الوقت وذلك في خطاب أرسله الى اللجنة المشتركة عن الطاقة الذرية في واشنجتون فكتب ما يلى :

(ظهر اسم فوخس على البيانات النظرية الخاصة بتجارب ضغط وانتشار الغازات وذلك منذ ١٩٤٢ على ما أعلم ، بل أعتقد أن ذلك كان في أوائل ١٩٤١ • وبالنسبة للزيارات التى قام بها (بيرليس) وغيره في أوائل ١٩٤٢ في الوقت الذى اجتمع فيه العلماء وناقشوا باسهاب وجهات النظر في برمنجهام وكلومبيا عن انتشار وضغط الغاز وكذلك الاتفاق على طريقة تبادل المعلومات الفنية الانجليزية والامريكية عن مصنع تفتيت الغاز فالمفهوم أنا قبل أن يحضر فوخس الينا كانت لديه معلومات هامة عن النظريات الأمريكية عن مصنع تفتيت الغاز ، كما يجب أن نتذكر أنه بسبب ما لدى (فوخس) من هذه النظريات والقواعد التى تتعلق بالأمور المختلفة فانه اذا اختار قليلا منها ثم أخذ الباقيات في حدود ضيقة فبذلك يمكنه أن يعرف برنامجنا بأكمله من مجموعة هذه المعلومات المتناثرة •

ومع ذلك فقبل وصوله الى نيويورك ، قد حصل على معلومات مفصلة تفصيلا تاما أمكنه منها نقل صورة صحيحة عن المشروع الامريكى لنشر الغاز) •

وأضاف الدكتور كوهين ما يلى ، وله الحق فيما يقول :

(ونتيجة لكل هذا كانت خيانة (فوخس) لسمعة العلماء ونزاهتهم الشخصية فى الأهمية الثانوية • ومع ذلك منذ كانت هى الطامة التى استاء لها العلماء استياءا مريرا) وهذه الضربة لم تحدث (لفوخس) نفسه فى ١٩٤٣ ولو أنها ستصيبه بقوة فى المستقبل • فى نفس الوقت كان فوخس يقابل المرأة الوسيطة كعادته (ولم يقبض عليها قط) ، وفى نهاية ١٩٤٣ أفادها بأنه أختير للذهاب الى الولايات المتحدة عضوا فى الفريق البريطانى الذى سيزاول العمل عن مشرعو نشر الغاز فى نيويورك •

أعطيت له عند ذلك تعليمات مختصرة بواسطة هذه المرأة كى يتصل ثانية بالروس فى نيويورك • فعليه أن يذهب الى ناصية الشارع فى الجانب الشرقى فى أحد أيام السبت حاملا كرة تنس فى يده ، وسوف يجد رجلا يحمل كتابا مجلدا تجليدا أخضر ويلبس قفازا ويحمل فى يده قفازا آخر ويعرف هذا الرجل باسم (ريموند) وهذا الرجل هو (هارى جولد) الذى قبض عليه فى ١٩٥٠ ويقضى اليوم حكم السجن ثلاثين عاما فى الولايات المتحدة • سيركب الرجلان بعد ذلك عربة أجرة (تاكس) الى مطعم فى الشارع الثالث ، وهناك يسلم فوخس المعلومات التى معه ثم يتفق الاثنان على المقابلة التالية •

وفى نوفمبر ١٩٤٣ سافر بالبحر كل من البروفيسور (بيرلس وفوخس) وغيرهما حيث قاما من ليفربول على سفينة نقل الجنود (آنديز) متجهين الى الولايات المتحدة •

الباب الثامن

كانت المعيشة فى وقت الحرب وفى انجلترا على مرتب ٢٧٥ جنيها فى العالم قاسية جدا لغلاء الأسعار فيها وقتذاك حتى على الرجل الأعزب والذى يعيش بوجهين ولذلك كان يبدو فوخس هزيلا كرجل جائع • وقد بدأ التغيير تدريجيا على أحواله بعد قيامه بالرحلة عبر الاطلنطى فى سفينة نقل الجنود آنديز ورجوعه • فبعد هاتين الرحلتين بدأ عليه الانشراح وأنه استمتع بالسفر وأصبح مرحا كما أصبحت روحه عالية ، فقد كان يرافقه فى هذه السفريات أصدقاءه وكان ممثلا للحكومة البريطانية (وكان قبل ذلك موظفا مؤقتا) وكان ذاهبا ليعمل فى العمل الذى أحبه وقد نال شهرة وسمعة طيبة وهو لا يزال فى الثانية والثلاثين من عمره ، وخاصة أخيرا فقد نال التهانى على تقرير كتبه عن التحكم فى نشر الغاز وهو أمر له قيمة كبيرة جدا للامريكيين • وكانت خيانته فى الجاسوسية لم تكشف أو يشك فيها بعد ، كما أن ضميره كان بلا شك راضيا عن نفسه وعمله •

نزل من السفينة هو (وبيرلس) ومن معهما فى أوائل ديسمبر وذهبوا مباشرة الى واشنطون ليوقعوا كالعادة على التعهد بمراعاة الامن مع الحكومة الأمريكية ولم يكن هناك داع للتحقيق من أى أوراق اعتماد عن (فوخس) فقد كان معتمدا من السلطات البريطانية وعضوا فى البعثة البريطانية وهكذا لم يجر معه أى تحقيق أو تحرى طوال العامين والنصف التى قضاها فى الولايات المتحدة •

سافر من واشنطون الى نيويورك حيث نزل فى فندق (طافت) وبعد ذلك انتقل الى (باربيزون بلازا) ثم الى شقة خاصة فى ١٢٨ بالشارع ٧٧ غرب ثم زار أخته (كريستال) فى كامبردج بماساتشوستس بعد وصوله بأيام قليلة وكانت تقيم فى ذاك الوقت مع زوجها وأطفالهما فى الولايات

المتحدة اقامة مستديمة استمر على اتصاله بهم طيلة اقامته فى الولايات المتحدة ، وقد قرروا يوما أن ينتقلوا (العائلة) الى نيويورك ليعيشوا معا ولكن لم ينفذ هذا القرار عندما عين فى لوس الاموس فى العام التالى ٠

كان (فوخس) جد مشغول منذ اللحظة التى وصل فيها الى نيويورك فبدأ فى ٧ ديسمبر ١٩٤٣ حضور سلسلة من الاجتماعات التى مكنت الفريقين الامريكي والبريطاني من مناقشة آرائهم عن مشروع نشر الغاز مع بعضهم البعض ثم وضع خطة العمليات المستقبلة معا ٠ وفى ذاك الوقت قسم العلماء الذين يعملون فى مشروعات الطاقة الذرية الى جماعتين : علماء جامعة كولومبيا الذين كانوا يشتغلون بصفة خاصة فى البحوث ، وعلماء جمعية كيلكس Kellex Carporation حيث أسس مصنع نشر الغاز الكبير ٠

وأدرك الجميع أن أحسن مجهود يمكن أن يشترك به البريطانيون هو بمساعدتهم فى مصنع التحكم على نشر الغاز وعلى ذلك كلف (فوخس) بالذات فى عمل الحسابات بالارقام لتخطيطه ٠ وفى نهاية اجتماعات ديسمبر رجع بعض الاعضاء البريطانيين الى بريطانيا وبقى (بيرلس وفوخس) وبعض الآخرين للتعاون مع الامريكيين ٠ ومنذ ذاك الوقت أصبح (فوخس) منهمكا فى العمل فى جامعة كولومبيا وجمعية كيلكس وكان مكتبه فى المركز البريطانى فى شارع وول كما كان زائرا مستديما لكلى المعملين ولا شغل له الا العمل باستمرار وفى كل أوقاته وكان الانسان يراه دائما راضيا عن هذا الجهد لان النتيجة بعد كل هذه التجارب والنظريات سوف تأتى فى اللحظة الحاسمة وقد وصلت أول سلسلة من رد الفعل فى واشنطون فى ٢ ديسمبر ١٩٤٢ حيث أصبح من الممكن انتاج انفجار نووى ولكن النتائج النهائية كانت لا تزال بعيدة فهى فى غيوم التخمين ومع ذلك فقد وصلوا على الاقل الى أول الطريق الصحيح أو الطرق الصحيحة التى سيسلكونها ٠

وكان اشتراك (فوخس) جوهريا وقد قرر أن يقوم بهذا الجهد لاجل الروس أيضا فمنذ ذاك الوقت أعطاهم كل ما يمكنه أن يعطيهم سواء كان ذلك من انتاجه نفسه أو من غير انتاجه ، وأجاب على اسئلتهم واخبرهم عن نجاح أو فشل التجارب وأعطاهم تفصيلات دقيقة عن الابعاد ٠ولم يكن هناك أى رجل فى العالم قد قام بعمل القنبلة الذرية فى ذاك الوقت ولم يعرف

(فوخس) الا القليل عن خطط الولايات المتحدة ولكنه كان يعلم تقريبا كل ما عرف عن مصنع نشر الغاز فى منطقة مانهاتان الهندسية ، وقد أوصل هذه المعلومات الى الروس ٠

وفى أثناء وجوده فى أمريكا كان له وسيط واحد وهو (هارى جولد) الملقب بريموند وهو الشاب اللين الكيمائى (فى الكيميا العضوية) والمولود فى سويسرا والتجنس بالجنسية الامريكية

وأما مالم يعرفه فهو أنه بواسطة (جولد) هذا قد دخل فى شبكة جاسوسية كانت تتجسس فى الولايات المتحدة منذ مدة طويلة ، ولم يراعى (فوخس) ولا الحونة الأمريكيون تعليمات الامن كلية وقد اثبتوا أن جميع موانع الاسلاك الشائكة ورجال الشرطة مالم تكن شديدة قاسية فهى عديمة القيمة أمام العقول اليقظة ٠ وعندما شرع فى تفجير القنبلة الذرية لم يكن (فوخس) وحده موجودا فى داخل سور الاسلاك الشائكة فى لوس الاموس بل كان معه خائن أمريكى آخر وقد قدما هذه المعلومات لوسيطهم (هارى جولد) الموجود فى خارج السور ٠

فى أول ١٩٤٤ تقدم (فوخس) وفى يده كرة التنس فى الميعاد الاول الذى عين له مع (جولد) فى المنطقة الشرقية من نيويورك ٠ تقابل الاثنان وركبا سيارة أجرة الى المطعم ثم حددا موعد المقابلة التالية وبدأ فوخس من هذه المرة يخطر جولد مقدما بما سوف يأتى به فى المقابلة التالية ، وكانت فى العادة رزمة من الورق كتبها بخط يده أو على الآلة الكاتبة بنفسه، وكان على استعداد دائما لان يجيب على أى أسئلة يقدمها اليه ٠ أما (جولد) فبعد أن يودع (فوخس) مباشرة يسلم الاوراق الى رئيسه فى الشبكة وهو نائب القنصل الروسى فى نيويورك (أنا طولى ا٠ كوفليف Anatoli A. Yakovlev) الذى كان ينتظره على ناصية الشارع التالى وهذا الشخص لا يعرفه (فوخس) بالطبع ٠ بعد ذلك يرجع (جولد) الى منزله وكانت حركاته ماكرة بحيث يقفز الى القطارات أو ينزل عنها فى آخر دقيقة حتى يتأكد من أنه غير مراقب ثم يكتب تقريره عن مقابلته مع (فوخس) وما دار بينهما ويسلم هذا التقرير الى (ياكوفليف) بعد ذلك فى موعد محدود من قبل ٠ وفى احدى هذه المرات تسلم (فوخس) ١٥٠٠ دولارا فأخذها الى مسكنه فى الحال ٠

تقابل (فوخس) مع (جولد) خمس مرات فى نيويورك وربما أكثر من خمس مرات ، وفى مارس ١٩٤٤ تقابل الاثنان فى (ماديسون افنيو) وبقيا معا مدة عشر دقائق على الاقل وهى مدة كافية لان يسلم (فوخس) ما معه من أوراق • وتقابلا ثانية فى منتصف يونية فى ووسايد كوين ووعد (فوخس) بأن يحضر فى المقابلة التالية معلومات عن الخطط العملية لتصميم قنبلة اليورانيوم • وفى نهاية نفس ذاك الشهر تقابلا بالقرب من (بورد هول فى بروكلين) ليسلم الخطط التى وعد بها ، فأخذها (جولد) بسرعة دون انتظار للمناقشة • وفى منتصف يولية اجتمعا ثانية فى شارع ٩٦ ومنتزه سنترال بارك غرب وفى هذه المرة تمشيا معا نحو ساعة ونصف فى ذاك المنتزه •

وبعد أعوام من هذه الحادثات عندما سئل (فوخس) لم يتذكر الا أن وسيطه (ريموند) كان رجلا له بعض العلم بالامور الفنية التى تناقشا فيها ويظن أنه ربما كان كيماويا • وأهم نقطة فى هذه القصة هى أن (فوخس) كان يسلم الأصول والمسودات التى بخط يده والتى كان مكتبه يظن أنه أعدمها بعد أن كتب الصور الرسمية الاصلية • وقيمة هذه المعلومات هى أنها كانت تحتوى على القواعـد الاصلية وبعض التفصيلات عن مصنع نشر الغاز فى (أوك ريدج) فى تنكاسى • واحتوت أيضا على البرنامج الامريكى وتوقيته •

وأمكن للروس أن يحسبوا من هذه الملاحظات التى أهداها لهم (فوخس) قواعد احدى الطرق التى اخترناها لتفتيت ذرات اليورانيوم وبذلك أمكنهم أن يوجهوا تجاربهم على هذا الاساس فى باقى العملية •

وفى اجتماع منتزه سنترال بارك تواعدا على المقابلة التالية فى متحف الفن فى بروكلين وعلى الموعد التبادلى ـ وكانا دائما يختاران موعدا تبادليا فى تاريخ أبعد خشية الا يتمكن أحدهما من الحضور فى الموعد الاول وكان الموعد التبادلى فى هذه المرة فى منتزه السنترال بارك أيضا •

لم يتمكن (فوخس) من حضور أى من الموعدين • وكان فى هذا التغيب ما يزعج الشبكة فان الجاسوس اذا ما اختفى بهذه الكيفية فهناك اذن احتمال كبير بأنه قبض عليه أو أنه قرر عدم التعاون معهم أى تحول الى خائن لهؤلاء الخونة • كانت حركات (جولد) كالحشرة المضطربة التى تاهت عن طريقها فجأة فقد كال انتظاره فى محل الموعدين بلا جدوى ثم ذهب لشقة فوخس فى شارع ٧٧ ولكن البواب لم يفده الا بأن (فوخس) خرج ولا يعرف شيئا

غير هذا وقد تمكن (ياكوفليف) من معرفة عنوان أخت فوخس (كريستال) فأرسل (جولد) الى كامبردج لمقابلتها فذهب وقابلها وأفادها بأنه صديق لفوخس وأنه يريد أن يراه بصفة عاجلة . ولم تذكر (كريستال) عن فوخس الا أنه ذهب الى مكان لا تعرفه في الجنوب الغربي وأنه وعدها بأن يقضي معها ليلة عيد الميلاد (الكريستماس) الآتي اذا أمكنه ذلك . فطلب (جولد) منها أن تكلف أخاها بأن يحدثه تليفونيا عندما تراه ، أعطاها نمرته في نيويورك ووضعها لها في ظرف .رجع الى رئيسه (ياكوفليف) وأبلغه كل هذا ثم انتظر النتيجة .

وما حدث هو أن (فوخس) أرسل الى لوس الأموس في نيومكسيكو فقد ذهب البروفيسور (بيرلس) وعائلته اليها أيضا بضعة أيام قبل أن يتركوا (فوخس) ليدير مكتب نيويورك وكان (فوخس) نفسه مطلوبا ليساعد في عملية تركيب القنبلة وكانت احدى الاعيب عقلية (فوخس) أنه يجب مراعاة الامن بأقصى حد ! ، وكما نرى .. الى أن يختار بنفسه الوقت الذي يهدم فيه هذا الامن بنفسه : فقد كانت لوس الاموس مكانا سريا جدا ، وكان المدير وهو الدكتور (روبرت ر. أوبنهايمر) يجمع فيها جماعة من أعظم العلماء الممتازين الذين لم يسبق أن اجتمعوا يوما في مكان واحد ولم ينو (فوخس) أن يبوح للروس بهذه المعلومات أو حتى يخطرهم بسفره هذا فقد كان كل هذا سرا حتى هذه اللحظة ـ هكذا كان يراعي الامن ! .

وصل الى لوس الأموس وأعطيت له حجرة في مبنى الاعزاب وتمتع في هذه الايام بأحسن أيام حياته فقد عاش في مكان عال بين أشجار الصنوبر وفي الجو الصحراوي الجاف وبدأ يتدرب في رياضة بدنية بحالة لم يمارسها من قبل وكان يقضي العطلة في صعود الجبال ، وفي الشتاء كان يمارس التزحلق على الجليد . وكان الناس في ضوء الشمس وعلى الثلج يبدون أحسن مما يظهرون عادة ولكن الصور الفوتوغرافية التي أخذت (لفوخس) في ملابس الزحلقة على الجليد في ذاك الوقت تظهر اختلافا شديدا فهو يبدو رشيقا وثابتا وحسن المنظر . كانت هناك حفلات تقيمها العائلات في لوس الاموس من وقت لآخر وكان فوخس يدعي اليها فيتعشى ويرقص . كان المال في يده أكثر من أي وقت آخر ولو أن المال لم يكن يهمه كثيرا فعرف كيف يصرفه بسخاء وكرم .

وبما أنه كان يحب سواقة العربات فقد أوعزت اليه (المسز بيرلس) بأن يذهب الى (سانتافي) ليشترى عربة له ـ بويك مستعملة وهكذا كان لينا الى الحد الذى يتوقعه له أصدقاءه .

لم تكن تعليمات (قوانين) الامن ثقيلة وللغرابة أن الانسان يحس بأن (فوخس) لا اعتراض له اذا ما كانت ثقيلة ، ففي أول الامر أرادت السلطات العسكرية أن تجند العلماء فتلبسهم الملابس العسكرية وتمنحهم رتباً عسكرية فيكونون اذن خاضعين للاحكام العسكرية والضبط والربط العسكريين ولكن العلماء اعترضوا على هذا ونجحوا فى اعتراضهم ٠ومع ذلك نجح العسكريون أيضا فى أن أحاطوهم بسور من الاسلاك الشائكة وخصص مدخل واحد للدخول الى المساكن ومدخل آخر لدخول المعامل والمكاتب وكلف الحراس على البوابة بأن يكونوا فى غاية من اليقظة والحرص ٠ وما دام العلماء فى داخل هذا المعسكر فلهم حرية التحدث مع زملائهم وعائلاتهم ولكن نظام بطاقة المرور كان مريعا ولم يدر النـاس فى (سـانتافى) بما يحدث فى هذا المعسكر الموجود فى أعلا التل ٠ وقد قال (هارى جولد) أمام المحكمة أخيرا بأن الاهالى يعتقدون أنهم يضيعون الوقت والجهـد فى أعمال لا قيمة لها وأن الغرض من وجودهم هو ايجاد عمل لبعض العاطلين ٠ وكثيرا ما منح العلماء تصاريح للذهاب الى (سانتافى) فى أجازات ٠

وفى أوائل ١٩٤٥ أى بعد ستة أشهر فى هذه الحياة العملية فى هذا الجو المنعش ، ذهب (فوخس) الى الشمال لقضاء أجازة قصيرة عند أخته (كريستال هاينمان) وعائلتها فى كامبروج قريبا من بوسطون ٠ وهناك ظهر الصديق الوفى (هارى جولد) فقد ذهب أولا الى فيلا هاينمان وسأل (فوخس) عن عمله فى لوس الاموس ووافقه (فوخس) على أن يخط له بيده كل ما يعرفه ثم سلمه هذا التقرير فى مقابلة ثانية فى أحد شوارع بوسطون بعد ذلك بأيام قلائل ٠

وفى هـذا الوقت كان فوخس قادرا على أن يكشـف له عن كثير من المعلومات وقد كتب فى مذكرته تفصيلات كثيرة عن قنبلة البلوتونيوم (وهى خلاف قنبلة اليورانيوم) وتصميمها وطريقة صنعها والمعروف أن البلاتونيوم انتج فى المجموعات الذرية فى هانفورد بولاية واشنطون ٠ وقد أعطى بصفة خاصة وصف جهـاز الانفجـار الداخلى (وهو ينفجر داخليـا) الذى كان يستخدم فى تفجير قنبلة البلوتونيوم ٠ وقد اهتم الروس بعد ذلك اهتماما كبيرا بهذا الجهاز (للتفجير الداخلى) فقد ضغطوا على (جولد) كى يعصر ذهنه للحصول على تفصيلات أكثر ، وربما كان (فوخس) قد سلمه هذه التفصيلات ٠ ففى النهاية نجح (جولد) فى الحصول على الرسوم الصحيحة لهذا الجهاز من خائن أمريكى آخر هو (دافيد جرينجلاص David Greenglass) وهو الآخر كان يعمل فى لوس الاموس ٠

وقبل أن يفترق فوخس وجولد في بوسطون اتفقا على موعد آخر فى الصيف على أن يكون هذا الموعد فى سانتافى ما دام من غير الممكن أن يسافر (فوخس) الى الشمال مرة أخرى ، ومكان المقابلة هو عند كوبرى ستيللو في سانتافي والوقت هو الساعة الرابعة من يوم السبت الاول من يونية ١٩٤٥ (وكان ٢ منه) أى بعد ستة أشهر ٠

ويتذكر أصدقاء (فوخس) الآن عن هذه الايام أنه رجع من بوسطون في آخر فبراير بعد أن قضى عشرة أيام فى ضيق ويأس ولم يفسر شيئا عن ذلك الا أنه كان مشغولا بأخته ٠

تمت مقابلة ٢ يونية ١٩٤٥ كالاتفاق تماما ٠ وقد حضر جولد بالقطار من نيويورك وكان حريصا كعادته فاحضر معه خريطة لسانتافي حتى يعرف كيف يصل الى كوبرى كاستيللو دون الحاجة لان يسأل أحدا من أهل المدينة عنه ثم ظهر (فوخس) بعد الساعة الرابعة بدقائق وهو فى عربته البويك وبقيا معا نصف ساعة سلم فيها فوخس رزمة أخرى من الاوراق وقال لزميله أن هناك تقدم مريع وأن الانفجار الذرى الاول سوف يحدث قطعا فى صحراء الاموجوردو فى الشهر التالى ٠

بعد ذلك اتفقا على الموعد التالى وذلك في الساعة السادسة مساء من ١٩ سبتمبر بالقرب من كنيسة على الطريق الذاهب الى (سانتافى) ٠ بعد ذلك رجع (فوخس) بعربته الى لوس الأموس وأخذ (جولد) سيارة الركوب الى البوكيرك وهي تبعد ستة أميال عن هـذا المكان حيث تقابل مع عميله الآخر فى لوس الاموس وهو (دافيد جرينجلاص) وقد سلمه (جرينجلاص) الرسوم الخاصة بجهاز الانفجـار الداخلى ٠ وبذلك كانت رحلة (جولد) أعظم رحلة مفيدة قام بها هو أو أى عميل روسى آخر ٠

عندما تقابل (ترومان) مع (ستالين) فى بوتسدام فى الشهر التالى وأخبره أن العلماء الامريكيين والبريطانيين قد استنبطوا قنبلة جديدة وهى أعظم سلاح مدمر أكثر من أى سلاح عرف من قبل وأنه سوف يقذف بها قال أنه يأمل أن تستعمل هذه القنبلة فعلا ولم يحاول أن يستفسر عنهـا بأكثر من هذا أو يستمر فى مناقشة موضوعها بأى طريقة ٠ الا أن مدير مخابراته فى موسكو كانت عنده فى ذاك الوقت المعلومات التى سلمهـا (فوخس وجرينجلاص ونان ماى) وغيرهم ٠ وهناك ما يثبت أن الروس فى ذاك الوقت لم يستفيدوا من هذه المعلومات التى جمعت بعد جهد كبير

فلديهم علماء أفذاذ ولكنهم كالكثيرين من العلماء في أوروبا كانوا لا يثقون بامكان خلق هـذا المشروع ، ولم يكونوا في ذاك الوقت قد استفادوا من العلماء النازيين الذين أسروهم يوم أن سقطت ألمانيا في مايو ويتعذر علينا أن نعتقد بأن هذا الفتور كان نتيجة لعدم المبالاة أو عدم الايمان بالنجاح • وبالنسبة لتوقعهم قيام حرب عالمية ثالثة قامت سلسلة التصادمات المريعة التي تنبأ بهـا (لينين Lenin) من قبل ، ولذلك من العسير علينـا أن نعتقد بأن المخابرات الروسية فشلت في ابلاغ المعلومات التي وصلتها الى الادارة السياسية ثم التأكيد لمن فيها بأهمية هذه المعلومات ، فأنا لانستبعد أن يكون هذا قد حدث • ومع ذلك لم يذكر أكثر من هذا الحديث العابر في بوتسدام (بين الرئيسين) في ذاك الوقت ثم أن حادث ارتداد جوزنكو عن السفارة الروسية في أتاوا والذي كشف عن كل شيء لم يحدث الا بعـد أسبوعين من ذاك التاريخ •

وفي نفس الوقت قد فجرت أول قنبلة ذرية في صحراء (الامونجوردو) وذلك في ١٦ يولية ١٩٤٥ وقدكتب كثيرا جدا عن الانفجار فلا داعي لتكراره في هذا الكتاب ولكننا سنتتبع فقط مغـامرات (فوخس) في هـذا اليوم الخطير فانه بالنسبة اليه نفسه وبالنسبة لكثير من غيره في لوس الأموس الذين عملوا في هذا المشروع الفريد مدة سنين عديدة وبأمل ضعيف في أول الأمر قد تملكهم الانفعال والجهد اللذان فاقا كل طاقة في ذاك اليوم •

ففي اليوم السابق ركب كل من البروفيسور (بيرلس) و (فوخس) وغيرهم افي احدى سيارات الركوب حيث ذهبوا لمشاهدة التجربة •

وبما أنهم كانوا علماء نظريين ولا دخل لهم بالعمل الفعلي لتفجير القنبلة فقد أخذوهم في جماعة الى موقع في أرض مرتفعة عن بعد نحو ٢٠ ميلا من البرج الذي نصبت عليه القنبلة • وقد وصلوا هذا المكان قبيل منتصف الليل وكان ميعاد تفجير القنبلة هو في الساعات الاولى من الصباح فكانت هناك فرصة أخذ صـور فوتوغرافية ليلية مع مراقبة ضوء الانفجـار على الأرضية الخلفية في الظلام وأعطيت لكل شخص نظارة سوداء وأمر الجميع بالرقود على الارض عنـد رؤية اللهب • وكان من الضروري الا يكون الجو ممطرا في ذاك الوقت وأن يهب الريح من الجهـة اليمنى حتى يزيح غبـار الراديو الذري نحو الصحراء الخالية •

وقد كانت هذه الشروط مستوفاة لحسن الحظ ، وقبيل ساعة الصفر بقليل صدرت تعليمات فى التليفون الميدانى بأن هنـاك عطلا فنيا ولذلك سيتأخر الموعد بعض الوقت • وطبعا لا يعنى هذا شيئا بالنسبة (لفوخس) او زملائه العلماء النظريين ـ الفيزيقيين ـ فقد أجروا حساباتهم وراجعوها مرارا وأثبتوا على الورق أنه اذا صنعت القنبلة على هذا الاعتبار ثم أطلقت فلابد أن تنفجر ، أما صنع القنبلة والتجربة العمليـة ثم حدوث أى أخطاء ميكانيكية فهى ليست من اختصاصهم •

أوشك النهار على الطلوع وكانوا على وشك الاستعداد للتأجيل حتى الليلة التالية ولكن فجأة ظهر اللهب في السماء وكان الضوء أبرق وأينع مما توقعه أى شـخص من الحاضرين ولكن شـكله ولونه كما توقعوا فقد ارتفع العمود الابيض وتحول الى كرة برتقالية اللون ثم ظهر الظل القرمزى فى كبد السماء وكان كل هذا هائلا مريعا وقد رمى بعض المتفرجين أنفسهم على الارض وبقى فوخس وغيره وقوفا ، هكـذا كانت نتيجة أعمال العـام بأكمله •

ولم تهب الرياح ولم يكن هناك صوت ما وكان هذا الهدوء غير طبيعى بل مخيفـا فقد ثبت الجميع فى محلاتهم حتى حـدثت أخيرا فرقعة صغيرة كأنها طلقة بندقية على مسافة بعيدة وكانت خفيفة بالنسبة الى الرهبة والى الضوء المنتشر الفظيع حتى أن أحد الزائرين من غير العلماء سأل وهو غير مصدق (ما هذا الصوت ؟) فان بعد هذا السـكوت الطويل كان المفهوم الا يحدث لهذا الانفجار أى صوت ما •

رجع الجميع فى سيارات الركوب فى اتجاه البوكيرك على بعد ساعتين ، وقد أجهد الجميع وكان من الطبيعى بعد كل هذا أن يفكر الجميع فى الفطور • ولكن فى البوكيرك قيل لهم أن الاوامر صدرت بألا يتوقف أحد فى المدينة حتى لا يلاحظ أهل المدينة ملامح الابتهاج على وجوههم •

فعبست الوجوه فقد كان عليهم أن يواصلوا السفر ثلاث ساعات أخريات حتى لوس الأموس ليلاقوا عائلاتهم ، وللغرابة أن جميع الناس كانوا على علم بكل ما جرى فى الليل ••• وقد قال أحد العلماء الذى لم يذهب الى محل التجربة لمرضه أنه رأى الوهج وهو فى فراشه فى مستشفى المعسكر الذى يبعد عن (الامونجوردو) بمسافة ١٥٠ ميلا •

كان انفجار (الامونجوردو) بداية ختام التعاون الانجليزى الامريكى عن القنبلة الذرية وقد ألقاها السلاح الجوى الامريكى على هيروشيما فى ٦ أغسطس ١٩٤٥ وعلى ناجازاكى فى ٩ أغسطس وبعد ذلك بستة أيام انتهت الحرب مع اليابان • بدأ العلماء البريطانيون تصفية أعمالهم فى الولايات المتحدة ، وفى سبتمبر أقيمت حفلة توديع كبرى لهذه المناسبة • لم يسبق أن بيعت مشروبات روحية فى معسكر لوس الاموس ولم يكن من المنتظر أن يؤتى بهذه المشروبات فيها ولكن ليس من الاصول تطبيق مثل هذا القانون الصارم اليوم ، وخاصة أن الحرب قد انتهت • ذهب فوخس الى (سانتافى) ليشترى الويسكى وقد تأخر عن موعده ساعات وظن أصدقاؤه أنه قد حدثت له حادثة أو أن المشروبات الروحية قد اكتشفت وهى فى العربة وأن الحراس صادروها • وأخيرا عندما وصل كان شبه أبكم فلم يتكلم بل اعتذر بكلمات قليلة بأنه تأخر ولم يفسر سبب هذا التأخير • قد طال تأخيره بالطبع ••• لاننا اليوم فى ٢٩ سبتمبر فهو بعد أن اشترى الويسكى شغل بمقابلة (هارى جولد) •

تقابلا حسب الموعد على الطريق المؤدى الى (سانتافى) وقد طالت المقابلة كثيرا لأن (فوخس) أخذ يكتب كل ما كان يعرفه قد ذكر حجم القنبلة ـ والاهم من هذا ـ ماذا احتوت عليه وكيف صنعت وكيف فجرت ، وقدم كل الحسابات التى قام بها بنفسه عن الابعاد الحقيقية للاجزاء ثم سلم كل هذا فى مظروف (لجولد) • وقد تكلم أيضا ، تكلم فى رهبة عن الانفجار والعجب الشديد الذى سببه وقد ظهر اللهيب عن بعد مايتى ميلا •

وقال ها قد كشف الآن سر معسكر لوس الاموس لاهل البلدة الذين اعتبروا هؤلاء العلماء أبطالا حقيقيين • ثم قال أنه قد أوقف التعاون من اليوم بين الامريكيين والبريطانيين وهو الذى كان حرا سهلا بينهما، وبدأت اجراءات أمن جديدة فى كل منهما وقد منع من دخول بعض المصالح الأمريكية من اليوم وأنهم أخطروه بضرورة سرعة رحيله الى المملكة المتحدة •

لقد قال أنه زعج لرجوعه فقد كان هناك احتمال بأن والده الذى عاش مدة الحرب فى ألمانيا سوف يزوره فى انجلترا وكان يخشى أن يتحدث والده الرجل المسن عن علاقة ابنه بالحزب الشيوعى فى ألمانيا فى عهد التلمذة ، كذلك كان يخشى أن يكون البريطانيون هم الذين سيحتلون كييل لا الروس فقد كان هناك ملف عند الجستابو باسمه فى كييل وسيكون من الممكن أن

يقع هذا الدوسيه في يد المخابرات البريطانية ، لان هذا الدوسيه سيكشف بأنه كان زعيما للطلبة الشيوعيين وأنه حارب قوات العاصمة النازية فى شوارع كييل ٠

ومع ذلك فقد كان معدا نفسه لاتمام جاسوسيته للروس ، وهذه هى الاجراءات التى اتفق عليها مع (جولد) لعمل الاتصال ثانية بعد رجوعه الى انجلترا :

تبدأ من السبت الأول فى كل شهر ـ بعد وصوله الى انجلترا ـ وسيتواجد (فوخس) عند مدخل شارع محطة المترو (بادنجتون كريسنت) فى لندن فى الساعة الثامنة مساء وعليه أن يحمل معه خمسة كتب مربوطة بدوبارة وعلى أن يحملها بصباعين من يد واحدة أما اليد الاخرى فسيحمل بها كتابين آخرين : أما الوسيط ، أى وسيط ، فسيحمل كتاب (نادنى اذا ما سمعتنى Stop Me if You Have Heard This) للمؤلف بينيت كيرف ٠

كان (فوخس) من أواخر العلماء البريطانيين الذين غادروا لوس الاموس ، فبعد أن سافر البروفيسور (بيرلس) استمر طويلا ـ باعتباره رئيس الفريق البريطانى ـ فى كتابة تقاريره عن العمل فى طول العامين الآخيرين فى أمريكا ٠ وقبل هذا كان قد عين رئيسا لفريق الفيزيقيين الكيمائيين فى مركز الطاقة الذرية البريطانى الجديد فىهارويل فى بيركشاير بأجر قدره ١٢٠٠ جنيها فى العام يزداد الى ١٨٠٠ جنيها فى العام وقد أوصى عليه من كل جهة بالنسبة لعمله الذى قام به فى الولايات المتحدة كما أن ادارة الامن كانت تمتدحه كثيرا بالنسبة لحذره واحتياطه وهكذا وصل الى الصف الامامى ٠

وفى الثمانية أشهر التى انقضت بين مقابلته مع هارى جولد فى سانتافى ـ وبين مغادرته لوس الاموس فى يونية ١٩٤٦ لم يحاول فوخس الاتصال بالروس كلية كما لم يحاولوا هم الاتصال به كذلك ٠ وحدث ارتداد (جوزنكو) فى أتاوا فى ٥ سبتمبر ١٩٤٥ ويبدو أن المخابرات السرية الروسية كانت فى فترة ركود فى جميع العالم وقتذاك ويظهر أن مديرها فى موسكو أمر بهذا الوقوف أو على الأقل بتخفيف العمليات حتى تتبين له حقيقة سير التحقيق فى كندا ٠ وكذلك الخونة كغيرهم من الناس كانوا يعانون من الشعور العام بالجهد الذى تبع الحرب ولم تكن هناك عجلة لاستمرار هذا الجهد ـ كما لم تكن هناك أى أسرار كثيرة ٠

وفى أواخر نوفمبر ١٩٤٥ زار (فوخس) منتريال وشيكاجو زيارة قصيرة لاعمال أميرية وفى هذه الرحلة أعلن بمنصبه الجديد فى هارويل ٠ وفى الشهر التالى أخذ عائلة (بيرلس) فى عربته فى عطلة الى المكسيك ولم يكن مهتما كعادته ـ بمناظر الرحلة ولكن (بيرلس) وزوجته لاحظا أن هناك أمرا غريبا فى أحواله فقد كان شاردا بخلاف العادة وربما كان فى المكسيك أحد مراكز تنظيم العملاء الشيوعيين وقد فكر فى الاستمرار معهم فى العمل من أجل روسيا ٠ أخيرا رجع الى الولايات المتحدة مع (بيرلس) وزوجته ، وفى ١٦ يونية من العام التالى غادر لوس الاموس للمرة الاخيرة ، فسافر أولا الى واشنطون ثم استمر فى سفره شمالا ليزور أخته للمرة الاخيرة فى كامبروج وذلك فى ٢١ يونيــة ٠ وفى ٢٨ يونيــة طار من مونتريال الى انجلترا ٠

الباب التاسع

ظهر كتاب جديد فى انجلترا عن هارويل ننقل منه الآتى :

مؤسسة البحوث الذرية فى هارويل هى تحفة الدولة الكبرى فيما بعد الحرب . وقد بنيت فى هذه المنطقة بأمر وزارة التموين التى أثارت بذلك اعتراضات الوزارات والهيئة المحليـة . فهى تستنزف العمال من القرى الزراعية المجاورة ، ثم أن عمالها الآتين من بعيد قد ابتلعوا البلدان القديمة (وانيتج ، أبنجدون) بشكل غير معقول وتنتشر مصانعها وورشها فى كل شهر أكثر من الذى قبله فوق البرارى وتعلو أبنيتها الى عنان السـماء . والخدمة التى أدتها الى بيركشاير هى أن العلماء الذين يعملون فيها يفتتون المادة التى صنع منها العالم والناس أجمعون .

(والقرية الاصلية هارويل هى مركز تنمية الكريز وفيها كنيسة قديمة منذ القرن الرابع عشر وبها تماثيل حجرية مضحكة ويمكن ملاحظة بعض الكسور بها . ويقول الكتاب الدليل عن مؤسسة البحوث أنها من حسن الحظ غير ظاهرة لهذه القرية الجذابة بل هى أقرب من شيلتون وتبعد نحو ميلين الى الجنوب الغربى منها) .

وقد كتب السير (جون كوك كروفت) أكبر العلماء وهو المسـئول الأول فيها أننا أعطينا هارويل فى أحد أيام فبراير ١٩٤٦ وكان الجو فيه قارس البرودة والريح شديدا وذلك فى زيارة خاطفة قمنا بها من كندا اليها . واستمرت البرقيات عبر الاطلنطى حول المحل الذى سنبنى فيه المساكن وكنا مضطرين لسرعة البدء فكان الحل الوحيد هو تجهيز الهياكل ثم اقامتها فى أماكنها حيث توجد المنافع والمجارى الموجودة حيث اضطررنا للحصول على أقل ما يمكن من التصديقات وما اليها .

(والنتيجة أننا وقعنا فى مشكلة مفاجئة فقد كانت المنطقة أسوأ من بركة من الطين يحوطها مانع من الاسلاك الشائكة ولها مدخنة عالية من الطوب مثل مصانع الصناديق أو ما أشبه ونرى الهياكل المنتشرة ومئات

الأوتوبيسات المنتظرة على منطقة واسعة من الأسفلت تبلغ فدادين عدة وهي تضم جميع البرارى (التى كان محظور فيها البناء من قبل) مساحتها عدة أميال ٠

ويصرح السير جون كوك كروفت (كان يجب أن نعمل شيئا) أحسن من هذا لو أنه كان لدينا متسع من الوقت للتفكير واذا لم توسع العمليات في المراحل الاولى ٠

(وفي احدى الليالى القمرية ظهرت أسقف الاكواخ الخشبية أو البلاط لبلدة هارويل القديمة ومزارعها ومروجها وظهرت بجانبها ورش مؤسسة البحوث الذرية بأضوائها الكهربية الزرقاء العصرية فكانت تباينا لطيفا بين الجيلين القديم والحديث) ٠

ونجد في مكان غير بعيد الحصان الابيض الشهير الموجود في (أوفنجتون) وهـو رسـم تخطيطى منزوع عن الارض الخضراء (النجيلـة) فى العصر الحديدى أى نحو عام ١٠٠ ق٠ م٠ وهو على النحو الذى يتبعه كهنة الوثنيين الانجليز القدامى ، وهو يرمز الى أن سنت جورج قد قتل التنين فى هذا المكان ٠

وكتاب الدليل الذى وضع لوصف هارويل لا ينصف هذه المدينة حقها حيث كتب وقت أن كانت المحطة لا تزال تحت الانشاء فبعد أن كتب تطورت المدينة كثيرا فانشئت الميادين والحدائق فجعلت المدينة أكثر انسجاما مع الارض المحيطة بها ويدخل الطوب الاحمر تدريجيا بين الالوان المحلية فى بيركشاير ٠

الا أن هناك بعض الامور التى تهدد الجو في هذا المكان ٠ فأنت تأتى الى هارويل على طريق ريفى من الدرجة الاولى من اكسفورد وأول ما تلاحظه هو سور الاسلاك الشائكة وعليه يفط التحذير المعلقة عليه ٠ وتجد على المدخل العام صورة من قانون الاسرار الحكومية وبجوارها حرس الشرطة ، (وعلى فكرة) فرجال الشرطة كثيرون جدا فى هارويل ٠

والمؤسسة مبنية على مطار حربى كان مطارا عاملا وقت الحرب وطالما طارت منه القوات المحملة على الطائرات جلايدرز يوم بدء العمليات فى ١٩٤٤ للاغارة على النرويج ولا توجد بيوت حول هذا المطار (المعسكر) وتقوم

العمارات منعزلة على هضبة منبسطة كبيرة ولا يرى من خلفها الا المتحدرات الخالية الخضراء لهذه البرارى • وتتكون المنطقة السكنية بعضها من منازل السلاح الجوى الملكى التى شيدت وقت الحرب • ويسكن (السير جون كوك كروفت) فى منزل مستطيل حجرى ومن ثلاثة طبقات وكان يسكنه قبل اليوم القائد الجوى للمحطة) ثم هناك مساكن للموظفين وقريتان حديثتان بيوتهما من الساج المعرج وهي تبدو كبيوت الارانب الكبيرة ، وتقع هاتان القريتان على جانبى المطار ، أما المبانى الاساسية والمعامل والمكاتب فهى تقع بين القريتين وتحيط بها الموانع السلكية للامن • وقام أخيرا عمال الحدائق بوزارة الاشغال بتنظيم الحدائق وزرعها وفى الصيف الاخير كان من المتعة أن تدخل فى المدخل العام (البوابة الامامية) وفى يدك تصريح المرور بالطبع ـ حتى ترى الميادين المنشأة على الطراز الانجليزى يحيط بها شجر الصفصاف وشجر الداليا والورود وزهرة الاراولة (الاقحوان) •

وقد استخدمت هناجر سلاح الطيران القديمة بأكثر ما يمكن وظل النموية الذى وضع عليها أيام الحرب كما هو على الحوائط ليخفيها • وتستخدم اليوم محطة المياه التى بناها السلاح الجوى الملكى كما كثرت المبانى الجديدة وأصبح المكان كله لا يفرق عن ستوديو سينما فى كاليفورنيا ولكنه يزيد عنه نظافة وأناقة وجدة • ويسير الانسان فى الداخل بين موانع الأسلاك وعلى الممرات الاسفلت المهجورة وقد تصدعت تدريجيا ببروز الحشائش فى شقوقها ومن خلفها ترى الابقار وهى ترعى الحشائش فى مراعيها •

أما القرية الجديدة بعششها فهى فى شكل حدوة الحصان فى أرض واطئة وعلى سفح منحدر أخضر تحف بها ميادين الالعاب أمام جميع المنازل وكل عشة لها سقف بمستوى مائل لونه أبيض رمادى ولها شبه حديقة صغيرة تزرع فيها بعض الخضروات وفى خلف المنزل منشر للغسيل وفى بعض من هذه الحدائق مرجيحة طفل فى الصدفة الامامية • وجميع هذه البيوت متشابهة ـ فكل منها يحتوى على غرفة معيشة وغرفتين للنوم ومطبخ وحمام ـ وهى صغيرة حتى أنه عندما يستخدم أحد دورة المياه يعلم به كل من بالمنزل ، وسكن (فوخس) فى المنزل رقم ١٧ فى أحد طرفى صف منها •

والمبنى الخاص بالادارة هو العمارة الاولى فى داخل السياج وهو مبنى غير مرتفع بل يتكون من دورين • وكان مكتب فوخس فى المدة الاخيرة مجاورا لمكاتب السير (جون كوك كروفت) وضباط الامن وهذه العمارة

خفيفة الظل وهواؤها لطيف تنيرها قباب زجاجية فى السقف ، وهى فى ساعات العمل لا تختلف عن أى مكاتب انجليزية أخرى فيمر السكرتيريون والشباب فى ممراتها يحملون فناجيل الشاى وملفات الاوراق • ولا يوجد على لوحات الاعلانات أكثر من التعليمات العـادية ثم بعض الاعلانات عن مشروعات الادخار الوطنية وربما بعض قصاصات من الجرائد عن نكت نشرت فيها عن القنبلة الذرية ، وعن اعلان بأن مسابقة قذف الكرة المعدنية سيقام فى صالة القرية فى مساء السبت وثمن التذكرة سبعة شـلنات ونصف ويمكن الحصول على هذه التذاكر من أى عضو فى هيئة هذه اللعبة •

وهذه الأمور كلها متعارضة مع المسألة الذرية فهى بالنسبة الى الرجل العادى من غير هذه المهنة أمرا غريباً حقا كغرابة التنين أو الطقوس السحرية التى كان يقوم بهـا الكهنة الوثنيون فى العصر الحديدى على تل الحصـان الأبيض • لا غبار ولا صوت ولا عجلة ولا خلل فى النظـام بل يطغى على الجميع هدوء كهدوء المستشفيات ، ومن الصعب فى أول زيارة مقاومة الشعور بالحذر الغير طبيعى مع الحرص كما يشـعر الانسـان عند دخوله كهفا لم يكتشف من قبل فقد يتوقع الانسان خروج حيوان مفترس منه فجأة كما قد يتوقع أن ينفجر المكان كله فجأة •

ويسير الناس على هـذه الارضية الخرسـانية النظيفة فى ذاك المبنى كالبحارة على ظهر السفينة وهنـاك كثير من يفط التحذيرات (خطر) ، (فضلات راديو فاعلة) ثم كلمات (مصيدة لاشعة نيوترون) وهى مكتوبة بالبوية على جوانب مكعبات خرسـانية مخصصة لسد ثقب أو منفس من التى تحدث أحيانا ، وفى أحد الاجنحة يوجد بعض الرجال يحزمون ثم يرسلون العبوات الملوثة بالعقارات التى تسـتخدم فى المستشفيات ، وآخرون يعملون فى أنابيب الهواء المضغوط التى تدفع عيدان اليورانيوم فى داخل أكداسها • وهناك أكوام من الجرافيت منظرها كأرغفة العيش الأسمر • وهناك ونشـات تأتى بالطرود من أعلا الى أسفل • وفى غرفة المراقبة قوس واسع من المزاول المضـاءة التى تذكر الانسـان بكابينة الطيار أو كابينة ربان السفينة فى هيئة مكبرة • وأهم من كل شىء فهناك أعلان بالاحمر وهو بمستوى أعلا من قمة الرأس مكتوب كالآتى : (ممنوع التدخين عند التشوين) وهو بمثابة قولك (ممنوع استعمال الكبريت عند فوهة البركان) •

بعد ذلك بقليل يتغلب الانسان على خوفه فسيشرح لك أحد المهندسين جميع التأمينات ضد الانفجار موضحا جميع ملاحظاته على نموذج شفاف لشونة التخزين وستصدقه بالطبع • بعد ذلك يمكنك أن تتقدم اذا أردت الى الشونة نفسها وتضع يديك عليها ، بل يمكنك أن تأخذ أحد قضبان اليورانيوم بيدك ، وسترى أن الملاحظة عن التدخين لا أهمية لها بعد ذلك بل سترى أن هذا التحذير انما وضع لمنع العمال من رمى أعقاب سجائرهم على الارض عند تشوين القضبان حيث من الضرورى أن تكون الارضية الجرافيتية نظيفة ما أمكن • وبكلمات أخرى ليس المقصود أن هناك خطورة من السجاير بل المقصود نظافة الارض فالوساخة هى المانع ، فلا تؤدى هذه العملية (رمى عقب السيجارة) الى أى حرارة عادية فى الارض بطريقة أو بأخرى •

والمعمل الساخن هو أغرب من الاكوام (الشحنات) نفسها ، لان الناس هنا يشتغلون كالغواصين فيلبسون الاخذية الكاوتش الطويلة والقفازات وعند خروجهم من العمل الى الهواء غير الملوث فهم يدخلون فى كبائن زجاجية لا تختلف عن كبائن التلفونات حيث يطهرون بحمض الستريك (الليمونيك) • ولا يمكنهم أن يمسوا أى أغراض فى داخل المعمل ، وعندما يتقدمون نحو الباب يقطعون أشعة كهربية فوتوغرافية ثم يفتح الباب أوتوماتيكيا أمامهم • والمبنى منشأ على نفس القواعد (ولو أنه على غير نفس الاناقة) كقصر (دوج Doge) فى مدينة البندقية مع جميع المبانى التى فى أعلاه والنوافذ فى أسفله • والدور الثانى بأكمله مملوء بالآلات الملونة بالالوان الزاهية لامتصاص الهواء المتأثر بالراديو الفعال من المعامل الموجودة فى الاسفل • وينقى الهواء قبل أن يقذف به فى المدخنة الطويلة فى سماء مقاطعة بيركشايار وهو غير ضار كلية • أما فى الخارج فهناك خزانات مياه بها أثار الراديو الفعال حيث تنقى أيضا قبل أن تعاد الى نهر التايمس والبحر • وأما فضلات التجارب فتجمع فى جرادل خرسانية متحركة وهى من وقت لآخر تفرغ فى المحيط •

والناس فى هارويل اعتادوا ورضوا منذ مدة طويلة بهذا التلوث الذى تحدثه المعامل والخطر الكامن منها ، كالفرد الذى ينشأ فى منطقة كلها ارتفاعات أو فى وسط الامراض التى تحويها مستشفى عاش فيها •

وكان عضو من هذه الهيئة يختبر بانتظام بواسطة أشعة × وكذلك اختبارا طبيا للتحقق من رد فعله للجو الذى يتخلله الراديو الفعال وتتخذ الاحتياطات حتى لا يضار أى فرد وبالفعل لم يضار أى أحد بعد ، الا أن الزائر العادى سوف يرتاب فى ضعف وسائل التأمين حيث سيجد أثناء وقوفه بجوار الشونة أن هناك أصواتا مفاجأة ـ عندما يرمى أحد الناس كمرة من الحديد أو عند وجود صفير من طلمبات الضغط ـ عند ذلك سيقفز جزعا وستهيىء له حينئذ تصوراته أن نهاية هذا العمل هى ابادة العالم ، ولن يطمئن حتى أن قيل له أن القنبلة الذرية انما هى جزء صغير من دراسة الانقسامات النووية التى تساعد كثيرا فى عمليات المستشفيات وأن الحرارة الكامنة التى تأتى بها الشون من القنابل ينتفع بهـا فى تدفئة المعامل فى هارويل فى فصل الشتاء ٠

ويعيش أعضاء وهيئة هارويل فى خارج عملهم عيشـة عادية كأعضاء أى هيئة هندسية فى بيركشايار فهم يسيرون بحرية داخل وخارج سـور الامن ويعيش كثيرون منهم فى (أبينجدون) أو بلاد أخرى على بعد بضعة أميال منهـا ، ولهم ميـادين للتنس ومدارس وعطلاتهم ومرمى قدف الجلة (الكرة المعدنية) وهم جميعا بعيدون عن المجتمع ٠ وبمـا أنهم وقعوا على احترام قانون الاسرار الحكومية فيجب أن يكونوا حريصين فى أحاديثهم ، وفى ذلك ضغط وتضييق لان أغلب الناس فى العادة لا يميلون الى كتمان السر أكثر من ميلهم الى الاحتفـاظ بنقودهم فى البنك دون صرفهـا فهم يفضلون صرفها بالطبع ٠

أن أحوال معيشتهم المنزلية غير مثيرة كما هى غير عادية ، فلهم كانتين فى هارويل ويتواجدون فيه يوميا ـ يدخله شـبان شاحبو اللون نحفـاء على وجوههم سيماء الدراسة والكد فيتناولون وجبة عبارة عن شـوربة ولحم وبعض الخضروات وقد يكون معها قطعة من الكيك عليهـا بعض الجلاتينة (جيلى) الملونة وهى الوجبة العادية فى الكانتين البريطانى وهى وجبة غير شهية للرجل الغريب ومع ذلك فهى غير كريهـة له ٠ أحاديثهم هى دائما أحاديث محلية ولا تختلف كثيرا عن الاحاديث العادية فى الكناتين فى كل انجلترا : فهى عن الجو ، كرة القدم ، الاخبار ، العطلات ، ـ واذا ما انفرد اثنان ـ فهى عن عملهما ٠ وبالاختصار لا تكون المناقشات ذات أهمية الا عند التحدث عن أعمالهم كعلماء أو مهندسـين وكيمائيين وذلك للاستفادة من آراء بعضهم البعض ولاهمية عملهم ٠وبقطع النظر عن النواحى المعنوية فلا يمكن أن يصبحوا خونة يوما ما لان ذلك يهدم حيـاتهم التى

يعيشونها وكذلك عملهم وكل معتقداتهم ٠ وقد أصبحت الآن هارولد عرفا عند العلماء لها تقليدها ، أبنية صلبة وولاء تام لها وهي منشأة قوية على أحدث نظم وتعليمات نشأت في القرن العشرين وفي أوروبا ٠

ولكن عندما وصل (فوخس) في يوليه ١٩٤٦ بعد أن نال نجاحه في أمريكا كان كل هـذا ـ في هارويل ـ في بدايتـه ٠ وقد بدأ العمل في العمارات الجديدة منذ ستة أشـهر فقط وكانت لا تزال هارويل يومذاك عبارة عن مطار في سطح تل عاصف ٠ واستدعى (فوخس) للاستعانة به في التخطيط الاولى وكان فرحا في اشتراكه في هذه الخطوات من أولهـا فشغل فرقته الخاصة من الفيزيقيين النظريين وأصدر أوامره بالعمل بل وعمل لهم برنامج العمل الى حد ما وهكذا أصبح هناك قسم خاص في هارويل من انشائه هو ٠

وسكن في أول الامر في قسم العزاب من المساكن وكان أجرة زهيدا ، ولما سمع أن هناك شعورا في هارويل بأن المساكن مطلوب حجزها للاعضاء الاحدث وذوى الدخل المحدود انتقل الى بانسيون في أبينجدون وهي تبعد من ٥ الى ٦ أميال وبقي في هذا المسكن طيلة العـامين ونصف العام أما المنازل التي أنشـئت من البدء فقـد كانت في أحـد الاركان وخصصت للمتزوجين ، وبما أن فوخس كان رئيس فريق فقـد أعطي له أحـد هذه المنازل فانتقل في ١٩٤٨ من أبينجدون الى المنزل رقم ١٧ ٠ وفي الحال تخلص من عربته المتهلكة الموريس قوة ٨ حصان واشترى من أحد زملائه عربة صالون رمادية GM ٠وكان بامكانه بمرتبه البـالغ ١٥٠٠ جنيهـا سنويا أن يعيش بأكثر بذخا عما كان من قبل فبدأ يرتبط بصـديقات مع الأعضاء الاقدم منه ومن أهمهم البروفيسور والمسز (و٠ هـ٠ ب٠ سكينار) وقائـد هيئـة الامن الوينج كوماندر (مقـدم جـوى) (هنرى أرنولد) وزوجته ٠

سافر للخارج مرة أو مرتين ٠ وقضى مرة عطلـة مع البروفيســور والمسز (بيرلز) في سويسرا وأخرى في جنوب فرنسا ثم عطلة أخرى على شاطىء البحر الابيض مع البروفيسور والمسز (سكينار) ٠ وعندما قضى الأجازة في سويسرا ذهب الى ســاس‌في بالقرب من زيرمات حيث أجر (بيرلز) وزوجته شقة خاصة ، وهناك تقابل مع (جرهاردت) أخيه الأكبر الذى أتى من (أتوس لمدة يومين من أجل هذه المقابلة ولم يسبق أن تقابلا

منذ أيام الحرب • و (جيرهاردت) هو غير أخيه (فوخس) كلية فقد أصبح ضخم الجثة جدا وتافها جدا وكانت حياته تختلف عن حياة أخيه اختلافا كليا • قضى الاخان وقتا طويلا فى همس وحدهما •

وفى نوفمبر ١٩٤٧ بعد أن قضى (فوخس) فى هارويل ثمانية عشر شهرا تقريبا طار الى واشنطون لحضور مؤتمر (تقييم المعلومات السرية) وحضر المؤتمر مندوبون من الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا ، وكان الغرض من الاجتماع هو اختبار المعلومات الذرية التى تشترك فيها الثلاث دول فى الحرب ثم أخذ القرار عما ينشر ومالا ينشر منهـا • ولم تناقش المعلومات التى حصلت عليها أى من هذه الدول بمفردها منذ الحرب • وعقد هذا المؤتمر فى واشنطون من ١٤ نوفمبر حتى ١٦ منه(أيام الجمعة والسبت والأحد) • كان (فوخس) عضوا فى اللجنة الفرعيـة التى كانت معنية بفترة لوس الاموس وهم يذكرون أنه كان متحفظا على عدم تسرب المعلومات (اشتغل بعد ذلك فى عمل خطة لتقييم المعلومات وربما وضعها على أساس أن المعلومات التى أعطاها للروس لم تعد سرية) •

عندما كان فى أمريكا فى تلك الرحلـة قام بزيارة قصيرة الى معمل أرحون فى شيكاجو لمناقشة التحاليل الطيفية الدقيقة ولكن ــ بناء عن تعليمات ادارة الامن فى الولايات المتحدة ــ لم يعرض عليه شيء من المواضيع السرية فى المعمل ولذلك انتهت زيارته بعد ساعة وعشر دقائق •

أما فى انجلترا فكثيرا ما ذهب (فوخس) الى لندن لحضور المؤتمرات فى وزارة التموين وكانت أحيانا خاصة بعلماء هارويل لتمكينهم من قضاء بضع ساعات فى مدينة لندن لقضاء حوائجهم من الاسواق ثم مشـاهدة السينما أو المسرح • لم يشترك (فوخس) معهم كليـة بل أنه لم يأخذ القطار المبكر معهم عند الرجوع الى هارويل بل كان يصل وحده فى قطار متأخر من بادنجتون ومعه بعض الهدايا البسيطة لزوجات أصدقائه فى هارويل • ولم تؤخذ مجاملاته لاصدقائه فى ذاك الوقت وكرمه نحوهم الا على أنها أمر عادى للتعبير عن مودته لهم ، ولم يغيروا هذا الرأى كلية • وطوال هذه السنوات ــ وهو فى العقد الرابع من عمره ــ لم يكن فوخس يوما رجلا اجتماعيا ولكن بعد ذلك تطور فاكتسب حيوية وبساطة فكان هذا أمرا جديدا • لم ينادم أو يضيف أحدا فى غير حد محدود ، وقد قالت خادمته بعد القبض عليه أنه كان يتناول وجبات طعامه فى نادى الهيئة وأن مسكنه لم يكن أكثر من مسكن أعزب وهى ترى أنه رجل فاضل •

لم يبدى أى رغبــة فى الزواج ولكن كانت له صــداقات مع زوجات العلماء الزملاء وقد تحدث معهن باشــتياق عن ابن أخته التى ســتحضر لتعيش معــه • وفي ١٩٤٧ ســلم الى المسز (بيرلس) شيكا على بياض لتشترى ملابس لوالده الذى سيزور انجلترا لاول مرة • ثم فى ١٩٤٩ ساعد الدكتور (فوخس) والده بمصاريف السفر لزيارة الولايات المتحدة ثم استضافه في ابينجدون عنــد رجوعه • ويتذكر أصدقاؤه (الاخوان) أنهم قابلوه فى نحو ذاك الوقت ـ صيف ١٩٤٩ ـ وسألوه هل لا يزال عند آرائه اليسارية فاجابهم أنه تحــول عن هذه الآراء نهائيــا • الا أن الروس طموحون شرسون والامل الوحيد الآن هو تحالفهم مع الديموقراطية الغربية •

وكان (فوخس) هــو الوحيــد بين علماء هارويل الذى لا يتكلم فى السياسة وعرفوه أنه رجل مندمج فى عمله فقط • وكان يجلس صامتا فى اللجان التى يحضرها فى معظم المناقشات وعندما كان يطلب منه بداية رأيه كان يعطى رأيه باختصار ووضوح كرجل فكر تفكيرا عميقا فى الامر ثم أعطى رأيه بتوكيد وعن يقين • كانت تنتابه أحيانا الامراض العرضية ، وكان يشترك فى جلسات الشراب • وكان يدخن أحيانا واما غير ذلك فلا شيء غير العمل • كان رئيسا للجنة الترفيه فى هارويل وكان يفخر برئاسته شئون المؤسسة كلها فى هذه الناحية واذا كان لهارويل أعلام أو رباط عنق خاص بها لكان أول من اقتناها •

هذه هى حياته الخارجية ، وفى غضون هذه الثلاث سنوات من ١٩٤٦ ـ ١٩٤٩ كانت حياته السرية جديدة وتتطور بشكل غير متوقع فهو لم يحضر المواعيد المتفق عليها فى محطة مترو (تحت الارض) مورنتجتون كريسفت ولا المواعيد التبادلية (الاحتياطية) الاخرى •

ومن ناحية أخرى لم يحاول الروس أن يتصلوا به أو يجددوا الاتصال به على أى وجه ـ والظاهر ـ ولو أن ذلك لا يفسر السر تماما ـ أن ذلك بسبب أن (جوزنكو) قد ارتد عن الروس فى سبتمبر ١٩٤٥ وان المخابرات السرية الروسية كانت هادئة حتى يروا نتيجة هذا الارتداد •

و (فوخس) مثله مثل (نان ماى) قد يكون قد أعد نفسه لرفع يده من هذه الخيانة بعد أن رجع من الولايات المتحدة • ومن المؤكــد أن الخطر

أصبح أشد اليوم بعد أن اكتشف (نان ماي) وكانت فرصة (فوخس) ضئيلـة وهـو في هارويل لكي يخبر الروس بشيء كمـا كان في لوس الاموس ٠

وعلى هذا استـمر عاما في انجلترا دون عمل أى حركة وفي أوائل ١٩٤٧ (وكان ذلك بعد أن تقابل مع أخيه الشيوعى (جرارد) فى سويسرا) كان مثله كمثل مدمن المخدرات الذى تغلب على جنونه فترة ثم رجع مرة واحدة الى دائه فقد ذهب ليبحث عن الشيوعى الذى كان الاصل فى تقديمه الى (سيمون كريمر) منذ ست أعوام ، ولكنه فشل فى العثور عليه ، الا أنه فى اثناء الاستعلام عنه وجـد امرأة وهى عضـو فى الحزب مسـتعدة لمساعدته فى الاتصال به ٠

وهى من هذا الصنف من العملاء السوفيت الغامضين المتعصبين للمذهب الشيوعى والذين خدموه بايمان بأن قدموا الخونة للمخابرات الروسية فى الظروف المناسبة ٠ فالمعروف أن كثيرا منهم من الذين ولدوا فى السنوات التى سبقت الحرب العالميـة الاولى مبـاشرة أى ما بين ١٩٠٩ ، ١٩١١ فى ألمانيا ، وعندما كان هتلر فى أوج عظمته فى عام ١٩٣٣ هربوا اما الى فرنسا وانجلترا واما الى تشيكوسلوفاكيا ٠ وبعد معاهدة مونيخ ١٩٣٨ وما تبع ذلك من غزو هتلر لبراج أضطر جماعة من التشكيين للقتال مرة ثانية ثم تالفوا مع اللاجئين الآخرين فى لندن وباريس وأحيانا مع اللاجئين الآخرين فى الولايات المتحدة ٠ فتركوا عائلاتهم مبعثرين أو قتلى وذهب كل ما لهم من متاع ثم اتجهوا غربا بدون متاع خلاف ايمانهم بالشيوعية ، وكان هذا هو كل ما بقى لهم فى حياتهم بعد أن فقـدوا كل شيء ٠ واسـتوطن أكثر المهاجرين فى الدول الديموقراطية لتحميهم أما الآخرون فلم يستتبوا نهائيا مثل (فوخس) ، بل استمروا فى نضالهم الفردى ضد النازية ، وكانت الشيوعية بالنسبة اليهم هى السلاح الذى ضربوا به الذين اضطهدووهم ٠

وهناك أسباب شخصية أخرى لسلوكهم هذا السلوك ـ وخاصة فى حالة (فوخس) ـ ولكن عندما نقوم بأى دراسة للخونة يجب أن نقـدر الأهمية الخاصة لسقوط جمهورية ويمر فى١٩٣٣ عندما أبيدت الديموقراطية من وسط أوروبا فيما عدا بضعة مناطق هنا أو هناك ٠ وكذلك اذا عدنا الى ماضى هؤلاء الخونة (وهم فى سـنى بين الاربعين والخمسـين اليوم) نوجدنا ثلاث مؤثرات هامة هى : الحرب العالمية الاولى فى سنى طفولتهم ،

أما فى شبابهم فكان ظهور هتلر وسقوط تشيكوسلوفاكيا بعد معاهدة ميونيخ ثم الحرب الداخلية الاسبانية فى ١٩٣٦ هى التى حولتهم نهائيا من الشيوعية الالمانية الى المعسكر الروسى ٠

قدمت الوسيطة الشيوعية الجديدة (فوخس) الى الروس فى لندن فبدأ الدواء يفعل مفعوله من جديد وسرعان ما تسلم التعليمات ليذهب الى مقهى معين فى شمال لندن وكان عليه أن يدخل صالون البار ومعه نسخة من الصحيفة الاسبوعية (تربيون) ثم يجلس الى طاولة معينة وسيحمل وسيطه كتابا أحمر ٠

ذهب فوخس وقابل الرجل وبدأت المقابلة ببرود ، فقد نهر الرجل (فوخس) لاتصاله بعضو معروف من الحزب الشيوعى (المرأة) مع أنه كان عليه أن يتخلى كلية عن جميع الشيوعيين ٠ وربما كان هذا الزجر هو أيضا لشعورهم بأنه هجر الروس مدة طويلة دون اتصال وانذارا له بما يجب عليه أن يتبعه فى المستقبل ٠ قبل فى هذه المقابلة منحة مائة جنيها من الأوراق المالية ، وكان قبل اليوم يرفض أى نقود خلاف مبالغ بسيطة (وخاصة من هارى جولد عندما كان فى الولايات المتحدة) لتغطية مصاريف الانتقال من محل عمله الى محل المقابلة ٠ ولكن مبلغ المائة جنيهات كان شيئا آخر بالمرة فهو كثير بالنسبة لمصاريف انتقاله من هارويل الى لندن كما أنه لا يتعادل مع قيمة الخيانة أو للقيام بالجاسوسية التى يقوم بها ٠

ويقول (فوخس) نفسه أنه أخذ المبلغ كقيمة رمزية وعملية شكلية ليربط نفسه بالمبدأ الذى يدين به ، وهكذا انتهى أمره اليوم فقد تسلم مالا وأصبح مذنبا الى الابد ٠ وهذا هو تفسيره نفسه ، وما دام هو الشاهد الوحيد على نفسه فلنصدقه اذن ٠ لم يأخذ من الروس أى نقود بعد هذه المرة ٠

بدأت الآن فى ١٩٤٧ سلسلة جديدة من الاجتماعات بلغت ثمانية فى طوال العامين التاليين وكانت بينها فترات من شهرين أو ثلاثة أشهر وكانت كلها مع نفس الوسيط ٠ وكانت المقابلات فى لندن فى أحد مقهيين عامين أحدهما فى (هاى ستريت) والآخر فى (وود جرين) واذا لم يتمكن أحد الزميلين من الحضور بسبب ما فالمفهوم اذن أن المقابلة التالية يجب أن تكون بعد أسبوع واحد وفى نفس المكان ، واذا لم تتم المقابلة الثانية فتكون الثالثة اذن فى المقهى الآخر وبعد مضى شهر ٠

واذا لم تتم كذلك هذه المقابلة بسبب ما فتكون فى ذاك المقهى الأخير وبعد أسبوع ٠

وعمل ترتيب آخر فى ١٩٤٨ فى حالة عدم التوفيق فى حدوث المقابلات كلها وهو كالآتى : يذهب (فوخس) الى مقهى عام آخر فى ريتشموند وقد أشير له عليه فى احدى زياراته للندن ثم يقذف بمجلة أسبوعية على السور على أن يكون قد كتب رسالة على الصحيفة رقم ١٠ من المجلة ٠

وكان هناك ترتيب آخر اذا أراد أحدهما أن يبلغ زميله مقدما بأنه لن يتمكن من الحضور فى الموعد وهو رسم صليب بالطباشير فى مكان متفق عليه بالقرب من محطة سكة حديد (كيوجاردنز) ٠

ومع ذلك فقد تمت المقابلات كلهـا بنجـاح ، فحضر (فوخس) من هارويل (وربما كان ذلك فى أيام انعقاد اللجان الرسمية التى كان يحضر اليها فى وزارة التموين فى (شل ميكس هاوس) وزاغ منها الى موعده فى أول الليل ٠ ولم يعمل هو ولا وسيطه أى اشارات تعارف عند المقابلة فى البار بل كانا يمشيان فى الطريق فرادى ثم يدخلان معا فى وقت واحد وفى نفس الوقت يسلم (فوخس) أوراقه للوسيط ٠ وكان الوسـيط أحيانا يترك (فوخس) واقفا فى الطريق لنحو عشرة دقائق ثم يرجع ليستأنف سـؤاله من جـديد ، اذن فهنـاك رجل ثالث لا يراه (فوخس) يستشيره الوسيط ٠

لا يمكن أن يكون (فوخس) قد سلم الروس معلومات كثيرة فى تلك الفترة فقد انقطعت عنه تقريبـا كل البحوث السرية الامريكية التى كانت لا تزال مستمرة بعد الحرب ٠ كمـا أن هارويل كانت لا تزال فى المراحل الأولى ٠ ومع ذلك فقـد أعطاهم تفاصيل مختلفـة عن أكداس اليوتونيوم البريطانية فى وندسكيل فى كمبرلاند وقد أعطاهم أرقاما عن انتـاجات أمريكا حتى الوقت الذى ترك فيه لوس الاموس ٠ وفى هـذا الوقت ألح الروس عليه كى يأتيهم بمعلومات عن القنبلة الهيدروجينية ولكن (فوخس) لم يمكنه أن يأتيهم بأكثر من القواعـد الاولى التى سـبق أن نوقشت فى لوس الاموس ٠

وكان الروس فى ذلك الوقت يقومون بصنع قنبلتهم الخاصـة ولذلك كانوا تواقين لاى معلومات خارجية أخرى ٠ وفى مرة تعجلوا (فوخس) كى

يذهب الى باريس ويتصل فيهـا مع بعض العملاء في عنوان خاص وكان لهؤلاء العملاء دراية فنية بالعمل الذى يقوم به في انجلترا ولكنه رفض هذا الاقتراح وكان ذلك في أواخر ١٩٤٨ ، وكان ضميره الضال قد بدأ في اتخاذ قرار خطير على حساب البشرية فقد بدأ يرتاب في الروس ، والاسوأ من هذا أنه بدأ يشعر بضعف جديد في نفسه وهو التعلق بهارويل ونفوره من الاستمرار في خيانة أصدقائه فيها الى الابد • وفى هذه المرحلة الجديدة التى لم يتيقظ فيها ضميره بعد تماما فيرشده الى الطريق القويم وجد نفسه في ارتباك خطير وهى حيرة لم تنتابه يوما من أيام لوس الاموس عنـدما كان ناجحا في تمثيل حياته المزدوجة وكان كل أمر اما أبيض ناصعا أو أسود فاقعـا • قرر أن لا يقطع علاقته مع الروس دفعـة بل بالتدريج فيعطيهم معلومات أقل فاقل بينما يناضل ضميره بين الامرين حتى يعطيه الحل الاخير فاما هذا الطريق أو ذاك الطريق •

وقد فسر فوخس كل هذا بنفسه فقال :

(فى أثناء هذا العمل كنت بالطبع أعقد صداقات شخصية مع الموجودين معى وكنت مضطرا لان أخفى عنهم أفكارى الباطنية • واستخدمت الفلسفة الماركسية لاوجد في رأسى شعبتين مختلفتين سمحت لنفسى فى أحديهما أن أعقد الصداقات وأقيم العلاقات الشخصية وأن أساعد الناس وأن أكون فى حياتي الشخصية ذلك الرجل الذى أردت أن أكونه ، الرجل الذى كنته مع أصدقائي فى الحزب الشيوعى أو عندما كنت ميالا الى الحزب الشيوعى ولم أنضم اليه •كنت حرا وسعيدا مع كل النـاس دون خشية أن أفضح نفسى لانى كنت موقنا أن الشعبة الاخرى في رأسى قد تخطو فتتخذ اجراءا اذا ما وصلت الى النقطة الخطرة • أمكننى أن أنسى هذه الشعبة الثانية كلية وكنت لا أزال أعتمد عليها • وبدا لى فى ذلك الوقت أنى أصبحت (رجلا حرا) لانى نجحت فى الادارة الاخرى فى تكوين نفسى تكوينا مستقلا عن القوى المحيطة بى فى المجتمع • وعندما أرجع الآن اليها فاحسن طريقة ممكنة لتفسيرها هى تسميتها (جنون المراهقة المكبوت) وفى فترة ما بعد الحرب بدأت شكوكى ثانية ضد السياسة الروسـية ومن المستحيل على أن آتى بنقط معينة لان الرقابة الآلية تحكمت مرة أخرى على فى ابعادى عن الحقائق التى لم يمكننى أن أراها رؤيا العين ولكنها تدخلت وأخيرا وصلت الى النقطة التى عرفت منها أنى لم استسغ حركات كثيرة بدت من الحكومة الروسية والحزب الشيوعى ولو أنى لم أزل أعتقد أنهم سوف يبنون عالما جديدا وانى

فى يوم ما سأشترك معهم فى هذا البنـاء وأنه فى ذاك اليوم على أن أقف وأقول لهم أن هناك أمورا يخطئون فيها • وفى هذا الوقت كنت متأكدا من أنه يمكننى أعطاؤهم كل المعلومات التى فى جعبتى • ومع ذلك فقد أصبح من الواضح أكثر وأكثر بأن الوقت الذى سوف تنشر فيه روسيا نفوذها على أوروبا لا يزال بعيدا جدا وأنه على ذلك على أن أقرر لنفسى هل يمكننى أن أستمر سنين طويلة فى تسليمهم المعلومات دون التأكد ـ بين نفسى ـ هل أنا على حق فى هذا العمل لذلك قررت أنه من المستحيل أن أظل على هذا الحال ، فلم أذهب للموعد لانى كنت مريضا فى ذاك الوقت كما قررت الا اذهب فى الموعد التالى كذلك •

كانت هناك عوارض الاختلال العقلى (والجنون البسيط) على جميع أفراد عائلة (فوخس) فيما عدا والده وولدته • وحالة هذا الارتباك الذى تعرض له (فوخس) ليس جنونا تماما ولكنه هوس فمن ذلك قوله : (لقد قررت لنفسى ••• وقررت ••• وقررت •••) فهو لم يقرر لنفسه فقط بل للجماعة أى للناس كذلك ، فهو القاضى الذى يقرر وهو المدعى والشاهد والمنفذ كل هؤلاء فى شخص واحد • ثم أن هناك افتخار بأنه (الرجل الحر) ـ والرجل الكامل وهو فوق قوانين البشر وهو الذى يقوم بواجباته بغاية من الدقة التى لا تحتمل أى نقد وقد جعل كلبا حارسا آمينا جدا على ماضى حياته وهذا الحارس موثوق به ومعتمد عليه كثيرا ، وهو (الكلب الحارس) سوف يأتى اليوم الذى يرير فيه وجهه فينهشه •

أنه لخلط عجيب : ولكنه غير مجهول فى المستشفيات العقلية • وفى بعض الاحوال تكون الحالات الموجودة فى هذه المستشفيات أبسط كثيرا من حالة (كلاوس فوخس) • فهذا البائس الذى يظن أنه (نابليون) أو الذى يقذف بحجر من النافذة عمدا ليرى الناس أنه جرىء على مثل هذه الفعلة ، عنده انفصام عقلى غير متحكم فيه فهو بكل بساطة لا يمكنه التحكم على نفسه فيأتى بأى حركة يمكنه آداؤها ثم عندما يأتى بهذه الحركة ويرجع الى ثوابه ويرى الاصول التى يسير عليها الناس لا يقدر ولا يفهم السبب الذى هاج من أجله هذا الغرور وهذا الخبل ثم يخجل من نفسه أخيرا •

أما (فوخس) فهو حتى فى أهدأ أحواله لم يخجل بتاتا ـ أو على الاقل لم يخجل فى ١٩٤٨ • وهو لم يعترف لوجود هذا الحارس أو بأى قوة رقيبة على نفسه • فكل شىء جاء منه نفسه ـ كلاوس فوخس ـ فهو الذى قرر •

وقطعا لم تقم تعاليم ماركس ولا الروس بمراقبته ثم الايعاز اليه بشيء لانه بدأ يقول اليوم أنه سيقف في مواجهة الروس ويقول لهم أنهم كانوا مخطئين ٠

كان كذلك الدكتور اميل فوخس ـ والده ـ شجاعا فوقف في مواجهة الناس وقال لهم أنهم أخطأوا الا أن الدكتور (فوخس) قد اعترف بوجود قوة أكبر منه وهو الله وقد كان مطيعا لله وللتعاليم المسيحية التى لم تكن من عندياته ٠ أما (كلاوس فوخس) فلم يكن له مثل هذا الايمان لغير نفسه فهو لم يكن مطيعا لكارل ماركس أو لاى أحد آخر ٠

قد تكون هناك أصناف من هذه العقلية وهي عادية عند أغلب الناس ولكنها لفترات من حياتهم فقط ، فتبدو عند الرغبة في وجود الصراط المستقيم ويحلمون أحلام المراهقين في وجود عالم طاهر نقى ثم بروز شخصيته فيه كبطل لامع ٠ كذلك هناك لحظات فشل أو شجاعة ظاهرية (ولكنها في الحقيقة فشل) لا يشعر فيها بعض الناس بالجرأة كي يقذفوا حجرا من النافذة ليثبتوا للعالم أنهم ليسوا (هلافيت) وأنهم ليسوا من الناس الذين يهمل شأنهم فهم ليسوا جبناء كلية ٠ فان من خاصية فوخس أن هذه الصفات لازمته في أيام مراهقته ، وبما أن له هذه العقلية الرياضية الجبارة فقد وجد تحت يده هذا الحجر الضخم الذى يمكنه أن يقذف به من هذه النافذة الكبيرة ٠ أن معرفته بأمر القنبلة الذرية جعلته في لحظة ملكا في يده مصير البشرية كلها ، ولابد أن كل أمور الجاسوسية التى مارسها مع وسطائه من حمل كور التنس وترقيم الصلبان بالطباشير والمقابلات في القهاوى ، قد جعلت من هذه المأساة مهزلة صبيانية ٠

أما الآن ، في عام ١٩٤٨ أى بعد مضى عشرة سنوات فالامر الذى لم يقامر به (فوخس) قد بدأ يحدث بالفعل ٠ بدأ يشعر باضطراب صداقاته مع الناس الذين يعيش بينهم ـ وهي أمور حدثت كأنها أمور طبيعية نتيجة للزمان والسياسة والجغرافية ـ فهناك أصدقاء له في هارويل ثم الاخوان و (ارنولد) وصديقاه البروفيسور (بيرلس) وزوجته ٠ بدأ يفكر أنه يدين لهم بواجب عليه ولو أن هذا الواجب قد يتعارض على خطته الكبرى في خلق عالم أفضل من هذا العالم ٠

ثم أن هناك شقته فى هارويل التى لا يزال عليه أن يتم فيها عملياته ٠ وقد تكون عليه مطالبات أخرى ٠ وربما دعاه هذا العالم الذى يعيش فيه الى الولاء له وعلى ذلك يجب أن يرجع الى الناس الذين أولوه ثقتهم فى الاعوام الأخيرة ٠ بدأ يشعر أنه فى حاجة الى هذا العطف منهم ، وأخيرا ربما كان هناك حق عليه لانجلترا نفسها فهى التى منحته ضيافتها مدة طويلة وقد اعتمدت عليه اعتمادا كبيرا ٠

أن نمو الانسان من فترة المراهقة الى الرجولة ليس سهلا أبدا وكان هذا بالنسبة الى (فوخس) بالذات صعبا ٠ وقد حدثت له حادثة فى ذاك الوقت ـ أغسطس ١٩٤٨ عندما كان يعد المعلومات التى سيسلمها الى الروس وكان يشرح لهم المصاعب التى يعيش فيها ، ولم يفكر أبدا فى هذا الحادث لبساطته ولكنه ذكره اليوم لاهميته فقد كان المستر (س٠ م٠ ديوك) من هارويل حاضرا فى اجتماع فى شركة الكهرباء العامة فى ومبلى خارج لندن وكان (فوخس) موجودا فى ذاك الاجتماع ومعهما عضوان آخران ٠ وعند انتهاء الاجتماع سأل المستر (ديوك) عما اذا كان لاحد الاعضاء رغبة فى أن يأخذه معه الى هارويل فى عربته ٠ فقبل (فوخس) وجلس بجواره فى العربة وبدأت الرحلة نهارا حول الخامسة بعد الظهر ثم وصلا الى نقطة على طريق اكسفورد بين (جراردز كروس وبيكونزفيلد) واذا بشىء يصطدم مع الزجاج فجأة مع صوت حاد فتفتت الزجاج الى ذرات صغيرة فأصبح معتما ٠ كانت العربة تسير بسرعة ٤٠ ميلا فى الساعة ولم يعد (ديوك) يرى الطريق الذى يسير فيه وقد صدم هذا الزجاج الامامى بيديه عندما أعمل الفرملة ليوقف العربة بأقوى ما يمكن ٠

أما (فوخس) فقد انسحب عن مقعده على أرضية العربة تحت التبلوه وظهر على وجهه فزع شديد وهو فى هذا الوضع كأنه قد قبض عليه فى هجوم مفاجىء ٠

وعندما وقفت العربة بقى فوخس كما هو فى الارض أما (ديوك) فقد نزل عن العربة وبدأ يجمع فضلات الزجاج المكسور قائلا أنه لابد أن زلطة قد تناثرت من الطريق وصدمت الزجاج ولكن (فوخس) لم يصدق

هذا أبدا وقال بل أن الطريق خال من الزلط وهو بالاسفلت الناعم ولا يمكن لاى عربة أخرى أن تقذفهم بزلطة حيث لم تصادفهم عربة ما ، وكان يتحدث منفعلا فقد كان منزعجا جدا ولم يقم من مكانه حتى أتى اليهم بعض الناس ومهم جندى مدفعى من المدفعية المضادة للطائرات ٠

وعرف أخيرا من تتبع الزجاج المكسور أنه لابد أن سكترمه (شظية) من رصاص عيار ٢٢ و ٠ من البوصة أطلقت من بندقية أو غدارة وأصابت الزجاج ٠ وبما أن (ديوك) لم يسمع صوت العبوة فهو يرجح أنها رصاصة أطلقت من مكان بعيد أو ربما كانت سكترمه من بندقية ما لصياد يصيد الأرانب البرية ، أو قد تكون رصاصة قذف بها ولد من مقلاعه (نبلة) ٠ ومع ذلك فلم يصدق (فوخس) أيا من هـذه الاحتمـالات ثم سـارا فى طريقهما وهو لا يزال قلقا وزاد المطر المنهار عليهما من ضيقه وقلقه حتى وصلا هارويل ٠

لم يكن من المعقول أن يحاول أحد قتل (فوخس) فى مثل ذلك اليوم لانه لم يكن مسافرا فى عربته هو وقد قبل الركوب مع (ديوك) مصادفة ولم يعلم أحد بهذه المصادفة من قبل ثم أن هذا الطريق ليس هو الوحيد بين ومبلى وهارويل ٠

ولكنه ظن فى ذاك الوقت أنه ضرب بالرصاص ، وهاقد خانتـه ثقته بنفسه التى كان يفخر بها زمنا طويلا ٠

بعد ذلك مرض وسـافر الى شـاطىء البحر الابيض فى أجازة له مع (الاخوان) وذلك فى ربيع ١٩٤٩ وكان فى صحة جيدة جدا طوال هذه الرحلة ولكنها ساءت جدا عندما رجع حتى أن رئته أصيبت ببقعة ويقول أنه نسى أحد مواعيده مع وسيطه فى لندن ٠ وقد مرضته المسز (سكينار) فى منزلها بهارويل وهذه هى احدى المرات التى رقد فيها الى ظهره على الحائط دون تناول أى طعام أو حدث بل صمم على البقاء فى فراشه بعـد ابلاله من مرضه وبعدما لم يصبح هناك أى داعى بالمرة لبقائه فى المنزل ٠ وهذه هى الساعات التى حدث فيها النضال بين الولاءين المتباينين وكان يحاول أن يجد فى رأسه الحل الصحيح ، فهل كانت حقيقة الازمة هى فى وجود (فوخس) أو فاجعـة موت فى حيـاته الخاصـة كمـا هى فى الامر الواقع ؟ ٠

وعندما قام أخيرا من فراشه قرر أن يقطع علاقته مع الروس ومع ذلك فلن يعترف للانجليز بماضيه مع الروس فقد يجلب هذا له عواقب مخيفة ، ولكنه صمم من اليوم فصاعدا على أن يعيش بوجه واحد بدلا من وجهين كما عاش سابقا وسيمنح ولاءه واخلاصه لهارويل ولعمله ولاصدقائه ، وعلى روسيا اذن أن تجتهد فى أن تحصل لنفسها على ما تريد بنفسها ٠

أنه لم يندم على مافات فقد عمل كل ما عمل وهو بكامل وعيه وأما عن المستقبل فقد عزم على أن يعيش حياة أسهل حيث هو ٠

وقد تكون هناك ظروف خدمها (فوخس) بقراره هذا ، فربما قام بارتداده هذا عن الروس ثم مات يوما ما دون أن يدرك أحد أنه كان خائنا فى يوم ما ثم ارتد ولكن بعد أن اتخم الروس بالمعلومات ٠

بدىء التحقيق معه فى صيف ١٩٤٩ وفى أول سبتمبر أصدر المستر ترومان فى واشنطون بيانا مفاده أن الخونة ولا غير لن يهدأ بالهم ولن يناموا فى فراشهم فى أمان الى أمد بعيد وربما الى الابد ، فقد فجرت روسيا أول قنبلة ذرية ٠



وليام سكاردن والوينج كوماندر أرنولد

الباب العاشر

تطورت أجهزة الامن فى انجلترا تطورا حثيثا على مر السنين والقرون تبعا لمقتضيات الاحوال ، ومع ذلك فلا توجد فى العالم أى ادارة مركزية وقد اكتسحت جميع الادارات المماثلة كادارة المباحث الجنائية (ا٠ م٠ ج٠ F. B. I.) فى الولايات المتحدة واما فى انجلترا فبدلا عن هذه الادارة فلها تشكيلة من ادارات الامن ٠

ففى انجلترا لا يوجد الحماس الشديد للاكتار من رجال الامن كما لا توجد العقيدة القوية فى كفاءة التحريات عن مقدار الاخلاص والولاء ٠ ومن ناحية أخرى لا يشك أحد فى وجود الخيانات ٠ فمنذ ثلاثماية عام مضت قامت الحرب الداخلية وتوالت حكومات وسادت العقيدة بوجود الولاء ثابتا لا على أساس تحظيرات الشرطة بل على أسس التقاليد التى نعتنقها ٠ولاشك أن مسألة الامن عندما كانت أسهل باعتبار أن بريطانيا جزيرة مأهولة بسكان متجانسين ، وبما أننا جميعا جزائريون (منعزلون) فقد تواجد الاخلاص فى نفوس الناس بسبب هذه العزلة ٠

الا أن الفترة بين الحربين العالميتين الاخيرتين تسببت فى عامل جديد ، فقد تطورت عزلة هذه الدولة بسبب تطور المواصلات مع الخارج فقربتها من العالم ٠ فهناك سيل المهاجرين الذين سبقوا الى انجلترا أمام الدكتاتورية الفاشستية فى أوروبا ، وربما كانت أكبر دفعة من المهاجرين من الاجانب هى التى وصلت بعد غزو عام ١٠٦٦ ٠ ثم بعد ذلك انتشار الشيوعية الدولية وقد كان (كارل ماركس) مثله مثل (فوخس) مهاجر ألمانى فى انجلترا ٠

كان لكل هذا تأثير جديد ، ولكن ما دام أن المهاجرين والشيوعيين الانجليز والمشايعين لهم لم يكن لهم نشاط يذكر - لاغلبهم على الاقل - لذلك لم تتخذ ضدهم احتياطات أمن جدية فى الحقبة الخامسة من القرن الحالى (بين ١٩٤٠ و ١٩٥٠) ثم أتى بعد ذلك الاهتمام بأمور الامن بمراقبة

عملاء العدو والنازيين والفاشستيين • وكان أغلب جهد ادارات الامن عن هذه الامور مبتدئا من يوم اتفاقية ميونخ وما بعدها • وفي الحقيقة لم يفلت من أيدينا أى عميل للعدو طيلة ست أعوام الحرب ، ولم ينجح أحدهم فترة طويلة فقد قبض على الجميع بسرعة •

ثم بعد الحرب كان على ادارات الامن تغيير الدفة ، وأمر رجال مقاومة الجاسوسية الذين كانوا يعملون ضد ألمانيا وايطاليا واليابان بأن يتحولوا الى تركيز اهتمامهم نحو روسيا السوفيتية وجهازها الاساسي وهو الحزب الشيوعي فقد كان هناك دائما شيوعيون في انجلترا بالطبع ولكن لم تتمكن ادارات الامن أن تحول جهودها كلها نحوهم حتى عام ١٩٤٦ وربما بعد ذلك •

كان هذا من أسباب أن (فوخس) بل وكثيرين من الشيوعيين الآخرين الخونة في الدول الاخرى تمكنوا من التسلل خلال شبكة الامن في أثناء الحرب ، كذلك هناك أسباب أخرى في كل حالة على حدة ولكن هذا السبب هو الأساسي • ومنذ ١٩٤٦ وما بعدها عندما نفذ الخونة خططهم تراءت لنا نتائج تراخي سلطات الامن •

وعندما قامت مؤسسة الطاقة الذرية في هارويل في ذاك العام تقرر الحاق ضابط أمن خاص على قوة الشرطة فيها وكان هذا الضابط هو الوينج كوماندر (مقدم جوى) (هنرى ارنولد) وقد وصل الى هارويل بعد وصول (فوخس) من أمريكا بأسابيع قليلة وقد كتب في أحد تقاريره الأولى الى المكتب الخامس من المخابرات الحربية بلفت نظرهم الى وجود (فوخس) ضمن هذه الهيئة وبأنه ألماني واكتسب الجنسية البريطانية في أيام الحرب •

بدأ في الحال عملية التحرى واستمرت هذه التحريات دون أن يعرف فوخس عنها شيئا ولمدة خمسة أشهر ولم يكن هناك ضده غير تقرير القنصل الألماني في بريستول ـ الذى كتبه منذ اثنى عشر عاما ـ والذى قال فيه أن هذا العالم الممتاز والمحترم كان في شبابه شيوعيا •

كان التحرى في الحقيقة اجراءا احتياطيا ولم يكن له تأثير عكسي بالمرة • لم يقم (فوخس) بحضور اجتماعات ما ولم يتفوه بكلمة ما كما لم يسافر الى جهة ما وبذلك لم تثر نحوه أى شكوك • وبالطبع أجريت التحريات عن

المدة التى تلت رجوعه من أمريكا وقد كان فوخس فيها ساكنا فلم يقم بجاسوسية ما كما لم يقم بأى اتصالات مع الروس مرة أخرى الا بعد أن كانت التحريات قد وقفت عند هذا الحد فكان ذلك من مجرد سوء حظنا ، فلو أن التحريات بدأت بعد موعدها بشهر أو شهرين لكان من المحتمل جدا أن يقبض عليه قبل الموعد الذى قبض عليه فيه بنحو ثلاثة أعوام تقريبا ٠

وفى صيف ١٩٤٩ أى قبل تفجير القنبلة الذرية الروسية الاولى ، ظهرت صدفة شواهد فى الولايات المتحدة على أن الروس تأتيهم المعلومات عن القنبلة الذرية من شخص آخر غير (نان ماى) ولم تكن القرائن قوية ولم تتعد الظنون وكان المفهوم أن الجاسوس ليس أمريكيا بل هو عالم بريطانى ٠ أرسلت تفصيلات هذه المعلومات الى لندن بواسطة ادارة المباحث الجنائية ولم يكن فوخس هو العالم البريطانى الوحيد الذى كان فى الولايات المتحدة ولكن من المحتمل جدا أن التهمة قد تلبسه ٠ على ذلك بدأت التحريات والتحقيقات مرة أخرى ٠

كان لابد من الحذر ، فالمعلومات كانت بسيطة جدا ولا تمكن سلطات الأمن من القبض على المتهم ، وكان هناك شك كبير عن شخصية المتهم فمن غير المعقول مجابهة (فوخس) بالاتهام مباشرة ، فاذا ما أنكر ، وبالطبع سوف ينكر ، فسيبادر باتخاذ احتياطاته ، لذلك لم تتمكن سلطات الامن من عمل أى خطوات ما ٠

كان هناك أيضا احتمال بأن يقوم بتنبيه وسطائه ثم يسافر الى الخارج ولا يمكن منعه كلية قانونا (بالقانون الانجليزى) حيث لا توجد ضده أى قرائن تدينه ٠ يجب اذن اتخاذ كل الاحتياطات لمنع اثارة شكوكه وهو تحت الملاحظة ٠ وفى نفس الوقت كان من الضرورى سؤاله ٠٠ وقد جاء الحل أخيرا عن طريق فوخس نفسه ٠

ففى شهر أكتوبر أتى بنفسه الى الوينج كوماندر (أرنولد) وقال له أنه يريد أن يستشيره فى أمر خاص يقلق باله ، فقد وصلته رسالة من ألمانيا بأن والده الذى يعيش فى فرانكفورت ـ أم ـ ماين فى المنطقة الامريكية قبل وظيفة أستاذ لعلم اللاهوت فى جامعة ليبزج فى المنطقة الروسية ٠ وهو سؤال يتضمن أمرا من أمور الامن وفى اختصاصه ٠ ثم قال فوخس عن موقفه ككبير العلماء فى هارويل ، أنه اذا وقع والده فى أى اشكال مع

الروس فهل يضطر الى أن يستقيل من هارويل ؟ أجابه (أرنولد) أنه لا يمكنه أن ينصحه بشيء وعما اذا كان من الصواب الاستقالة أو عدم الاستقالة فذلك أمر يتعلق بالسلطات الادارية ٠

كان السؤال هو هكذا : ماذا يعمل (فوخس) اذا ضغط عليه الروس بواسطة والده ؟ فأجاب (فوخس) بأنه لا يعرف كيف يتصرف ولا ما تأتي به الظروف ٠

تقابل الرجلان ثانية بعد بضعة أيام - أى فى ٢٠ أكتوبر - وكرر (فوخس) أنه متردد فيما يعمله لو أن الروس قبضوا على أبيه ٠

كانت هناك بضعة أمور عجيبة فى هذه المشكلة فالدكتور (فوخس) زار ابنه فى انجلترا حديثا جدا وقد وصفوه بأنه رجل فى السبعين من عمره قصير نشيط ومحترم الهيئة ذو وجه وردى اللون وشعر أبيض ولم يحدث بينهما وقتذاك حديث عن موضوع ذهابه الى المنطقة الروسية من ألمانيا ثم أن ايمانه القوى بالدين المسيحى وبفعل الخير معروفان عنه جدا (ولو أن بعض الناس يرى أنه رجل كبير السن ثرثار ويشكون فى اخلاصه) وهو الذى أحضر حفيده من ابنته المتوفاة - وهو الولد الذى كان على فوخس أن يتولى مسألة تعليمه فى انجلترا - وقد رجع من الولايات المتحدة بعد أن قضى فيها مدة طويلة وكان يتحدث صراحة أمام جماعة (الاخوان) ٠ وقد عرف كذلك أن ابنه الثانى (جرهاردت) وهو أكبر من (كلاوس فوخس) بعامين اثنين لا يزال فى سويسرا حيث كان يداوى التدرن الذى فى صدره فى ديفوس ، ولا يزال (جرهاردت) شيوعيا ٠

فهل من الممكن أن الروس قد ادخلوا الرجل العجوز فى منطقتهم ليضغطوا على ابنه ؟ أو كل هذا من اختراع (فوخس) نفسه ؟ ٠

وحتى بعد ذلك ، وعندما عرف أغلب الناس حقيقة فوخس لم يعرفوا حقيقة هذه النقطة بالذات ٠ ولم يرد الروس أن يجبروا (فوخس) على أن يواليهم بالمعلومات بواسطة الضغط عن طريق والده فهم لم يفعلوا هذا كلية ومنذ اللحظة التى قطع (فوخس) فيها اتصاله معهم فى أوائل ١٩٤٩ حتى لحظة أن قبض عليه لم يتصل به أحد العملاء بتاتا ٠ ومن ناحية أخرى من المحتمل أن (فوخس) كان يحاول أن يعمل مناورة ليضع نفسه فى موقف ليعترف فيه وذلك بجذب انتباه سلطات الامن اليه ٠ وقد قرر رأيه فى هذه

المرة على أن يخرج من هارويل قبل أن يكتشف أمره وبالطبع اذا حدث هذا فسيدعو سلطات الامن لان يعلنوا أنه كان خطيرا جدا على الامن ، وكلا هذين الامرين دهائي ولكن ليس لدرجة كبيرة بالنسبة للحالة العقلية المعقدة التي أوجد (فوخس) نفسه فيها ٠

وهذه هي نفس اعترافاته التي اعترف بها بعد ذلك بمدة قصيرة (بعد اتصاله الاخير مع الروس) أخبرني والدى أنه قد يدخل المنطقة الشرقية من ألمانيا ٠ وفي هذا الوقت ضاق ذهني الى أضيق حيز في حياتي لانه (والدى) أعتقد أيضا أن الروس سينشئون عالما جديدا ٠ أنه لم يصدق أمورا كثيرة بل كان يعتقد بصحة رأيه فقط ، وكان يعرف أنه اذا ذهب الى هناك فسيقول لهم على رأيه وما يعتقد هو بصحته وقد ظن أنه باعتراضه هذا سيساعدهم على أن يدركوا أنه من المستحيل أن يبنوا عالما جديدا اذا استمروا في تدمير بعض الدعائم الخلقية في السلوك الشخصي ٠ (لم يمكنني أن أجرؤ على منع والدى من الذهاب الى هناك ومع ذلك جعلني هذا أواجه بعض الصعاب فقد شعرت بأني بعد ذهاب والدى الى المنطقة الشرقية ستحرجني خطاباته الآتية من تلك المنطقة واني غير واثق اذا ما كنت سأرجع ثانية (وهو يقصد ألمانيا) أم لا ٠ وأنا أعرف أنه ليست لي الشجاعة الكافية لامنع هذا وعلى ذلك التمست قوة خارجية أخرى فأخطرت ادارة الامن بأن والدى متوجه الى ألمانيا الشرقية ٠ وبعد مضى بضعة أشهر أحسست بأني مضطر لان أترك هارويل) ٠

هذه انما هي لغة (عطيل) ،رجل تعلق بضميره بدون عقل ولكنه حب قوي وهو الآن في غاية من الحيرة ٠ لقد وقعت جريمة الخيانة مع سوء النية ، ولم يكن هناك أي داع لارتكابها بالمرة ، فالى أي اتجاه يسير ؟ واذا زار اليوم صديقه (هنرى ارنولد) ضابط الامن لعرف أن الامر خرج من يده وليس في مقدره عمل شيء من أجله ٠

ولا يزال متعلقا بشيء رقيق من المنطق في هذه المشكلة ، فمنذ ست عشرة عاما عندما كان (فوخس) شابا في الحادية والعشرين غادر ألمانيا وهو ينوي الاستمرار في الدراسة في الخارج حتي يمكنه أن يرجع يوما عندما يسقط هتلر فيساعد اذن في اعادة وطنه دولة شيوعية ،وها قد ذهب هتلر فبدأ (فوخس) متحيرا هل يرجع الى ولائه لوطنه من جديد ؟ الا يكون الأفضل لو أنه رجع الى ألمانيا ؟ اذا كتب والده اليه وحبب اليه الحياة في

المنطقة السوفييتية أفلا يغويه هذا ؟ وكيف اذن يمكنه أن يبقى فى هارويل فى تلك الظروف ؟ ٠

الى هذا الحد لم يشعر فوخس بأى تأنيب للضمير للخيانة ضد هارويل ولكن الآن ابتدأ ضميره يتطور ٠ وأحيانا تصبح هذه الحياة المزدوجة غير محتملة كلية ويجب أن يتخلص منها فيكون اما (جيكيل أو هايد) ـ يقصد شخصية واحدة لا كالدكتور هايد والمستر جيكيل ـ فلن تمكنه الظروف بعد اليوم من أن يمثل الشخصيتين معا ٠

أما بالنسبة (لارنولد) واختصاصه في هذه المشكلة فقد كان قليل الحيلة وقد بدا له أمر واحد وهو : يجب ابعاد (فوخس) من هارويل بطريقة معقولة طيلة أيام التحقيق ولا يجب تركه في عمله حتي لا يطلع على أسرار الدولة ما دام أصبح فى موضع الاتهام ٠ وهنا بدت عقدة ، عندما أعلنت أخبار القنبلة الذرية الروسية كان من الطبيعى فى هارويل أن يؤخذ رأى (فوخس) فى هذا الامر فهو رجل بارز فى هذه الناحية ولابد من أخذ رأيه عن حجم وطبيعة القنبلة الروسية ٠ لذلك دعى لحضور اجتماعين ابتدائيين عن هذا الموضوع ، ولكن بعد ما حدث لا يمكن من اليوم اطلاعه على الاسرار الحيوية فالافضل أن يغادر هارويل بأسرع وقت ٠

لم يتوقع بالطبع احد أن ذلك الابعـاد سهل حيث أعتبر (فوخس) نفسه أنه (لب) هارويل وقلبها وقدم المسئولون عدة اقتراحات لايجـاد منصب جامعي له بعيدا عن هارويل ٠ وعندما كانت المجادلات فى هذا الامر وصلت معلومات جديدة من الولايات المتحدة تؤكد أن (فوخس) هو الرجل الذى يبحثون عنه ٠

ثم ظهرت قرائن صغيرة مختلفة ، فمثلا ، منذ مدة وعندما كان الدكتور (أميل فوخس) يزور ابنه فى هارويل ، دعى الضيف وابنه للعشاء عند أحد الزملاء ، وكان (ارنولد) أحد الحاضرين فى العشاء ٠ مر العشاء دون حدوث أى شىء ، ولكن الآن بعد مضى أشهر ، تذكر أرنولد أن (فوخس) بدأ عليه الارتباك عندما وجد أن (أرنولد) كان مدعوا فى الحفل هو الآخر، فقد خشى فوخس أن يبوح أبوه بشىء عن الايام التى انضـم هو فيهـا الى الشـيوعية فى جامعـة كييل ـ وهـو نفس الخوف الذى أعرب عنـه الى (هارى جولد) فى سانتافى منذ مدة طويلة ٠

في النصف الثاني من ديسمبر تقرر سؤال (فوخس) فورا بحجة أن (فوخس) نفسه قد طلب المشورة عن موضوع تعيين والده في منصب في ليبزج • واختير للقيام بهذا التحقيق رجل اسمه (وليام جيمس سكاردون) ولم يكن (سكاردون) هذا عالما ولكنه أحد أكفاء المحققين في انجلترا ، فمنذ أيام الحرب قام بتحقيق قضية (وليام جويس) وخونة آخرين ، وهو رجل له طبع هادىء وحب انكار الذات وليس من المبالغة أن نتمثل فيه شخصية أحد رجال روايات (هـ ج ويلز) مثلا المستر كيبس ، فله باع طويل في طول الاناة وحسن الذوق والصلابة ، وجميع هذه الصفات كنا في حاجة اليها كلها في قضية (كلاوس فوخس) كي نعرف الحقيقة بأكملها •

وفي ٢١ ديسمبر ذهب (سكاردون) الى هارويل واستأذن في مقابلة (فوخس) في مكتب (هنري أرنولد) •كان جو المقابلة عاديا وكانت روتينية وخاصة بأمور الامن بين أحد كبار رجال هارويل وضابط الامن فيها وبعد المقدمة انسحب (ارنولد) وبدأ (سكاردون) بالتلميح الى المعلومات التي ذكرها (فوخس) عن والده وطلب تفصيلات أكثر عنه •

استمر (فوخس) في الساعة والربع التالية يتحدث عن ماضي عائلته بكل بساطة وأكد أن أختا تسكن في ٩٤ شارع ليك نيو بكامبردج بمساتشوسيتس بأمريكا وأخا في دافوس بسويسرا ثم اعترف أنه في كييل عام ١٩٣٢ في انتخابات الحزب الشيوعي الديموقراطي لترشيح نائب الرئيس انتخب هو العضو الشيوعي ضد الاشتراكي ثم قال أنه لهذا الامر طرد من الحزب وبذلك انضم الى المعسكر الشيوعي ثم تذكر اسم وعنوان عائلة (الاخوان) الذين آووه وأكرموه عندما وصل الى انجلترا في أول مرة في ١٩٣٣ وقد تقدم اليهم عن طريق خطيب لابنة عمه وأنه نزل عندهم مرارا في عناوين مختلفة في جنوب انجلترا حتى ١٩٣٧ • وتذكر أيضا أنه في بريستول انضم الى لجنة للدفاع عن الديموقراطية الاسبانية أيام الحرب الداخلية فيها •

ثم تحدث عن السنوات التي قضاها مع البروفيسور (بورن) في أدنبرة والست أشهر التي قضاها في معسكر العمل في شيربروك وكويبيك حيث تقابل مع (هانز كاهل) ـ وأنه رأى (كاهل) مرة واحدة بعد ذلك في منظمة شباب المانية حرة في لندن ثم تحدث عن عمله من أجل (مسابك

الانابيب) في برمنجهام وعن رحلته في الولايات المتحدة في ١٩٤٣ وعن كيفية زيارته لاخيه في ماساتشوستس في ذاك الكريستماس ثم في الربيع التالي ·

كل هذا تحدث عنه (فوخس) بهدوء وتلقائيا ، ثم قال له سكاردون (ألم تكن متصلا مع أحد السوفيتيين أو أي مندوب سوفيتي وقت أن كنت في نيويورك ؟ والم تسلمهم معلومات عن عملك ؟) ·

فتح (فوخس) فماه فجأة ثم ابتسم ابتسامة باهتة وقال (لا أظن أن ذلك حصل) ·

فرجع سكاردون وقال (أن لدى معلومات صحيحة تثبت لي أنك متهم بالجاسوسية لحساب الاتحاد السوفيتي · فمثلا عنـدما كنت في نيويورك أعطيتهم معلومات عن عملك) وعندما هز (فوخس) رأسه ثانية قائلا أنه لا يعتقد هذا قال (سكاردون) أن الموضوع خطير وأن اجابته هذه فيهـا غموض فأجاب فوخس (أنا لا أفهم : فقل لي ما هي القرائن التي تتحدث عنها ، فاني لم ارتكب هذا الجرم) ثم استمر في انكاره معرفة هذا الامر وأضاف أنه كان من رأيه دائما منع الروس من الحصول على أي معلومات عن القنبلة الذرية · اتجه (سكاردون) بعد ذلك الى أسئلة أخرى منها ـ ألم يسمع (فوخس) أبـدا عن البروفيسير (هالبرين) ؟ فأجاب بنعم وقد اعتاد هالبرين أن يرسل اليه مجلات عندما كان معتقلا في كندا ولكنه لم يره أبدا ثم تذكر فوخس أنه (فوخس) قام بزيارة مونتريال مرة في الفترة التي قضاها في نيويورك ·

وفي الساعة الواحدة والنصف أخذ الجميع اسـتراحة وذهب فوخس لتناول غذائه وحده وعندما اجتمعا ثانية بعـد الساعة الثانية بقليل وجه (سكاردون) الى (فوخس) تهمة الجاسوسية ولكن (فوخس) استمر في انكاره قائلا أنه لا توجد أي قرائن ضده وقال أنه ازاء الاتهام الموجه اليه مضطر للاستقالة من هارويل · وانتهى الاجتماع بمناقشة أخرى عن حركات والده في ألمانيا ·

ظل الرجلان معا طيلة أربع ساعات ولم تبدو من (فوخس) أي بادرة بالاعتراف فرجع (سكاردون) الى لندن ·

ومع ذلك كان لهـذا التحقيق نتيجـة ولو أنهـا ضئيلة وهي اعتراف (فوخس) بحركاته كلها في أيام شبابه ثم الرد الغير واضح الذى ردده وهو (لا أظن هذا) ، وقد ذكر تفصيلات قليلة عن تنتقلاته وعن معارفه · هذا كل شيء ولكنه لم يكف للقبض عليه ، وبما أنه قد يحدث كثيرا أن يتهم برىء لذلك لم يقطع باتهامه ·

الآن أنذر (فوخس) بعد أن وجه بالاتهام فما هى الخطوة التالية ؟ اذا كان مذنبا فمن المحتمل جدا أن يحاول الخروج من انجلترا ويحتمل أن يحاول الانتحار · وكان هناك من يحبذ فكرة اعتقاله فى الحال خشية حدوث احدى هاتين المحاولتين وقبل أن تضيع الفرصة اما (سـكاردون) فكان من رأيه التأنى لانتهاز الفرصة فلم يكن مقتنعا تماما أن (فوخس) هو المذنب الحقيقى ومن وجهة أخرى قد خرج من هارويل مقتنعا بأن (فوخس) كان يصارع مشكلة عقلية في رأسه ، فاذا كان لديه الوقت ، واذا عنى بمسـألته تماما فهناك آمال كبيرة بأن يتكلم ويعترف تلقائيا (من نفسه) فى آخر الامر · والجميع يعتمدون على اعترافه فبدونه لا يمكنهم اقامة الدعوى عليه · ولا توجد لدى (سكاردون) أية حيلة لاتهام فوخس فلابد له من بعض الوقت بعـد أجازة عيد الميلاد للتفكير في الامر · ولم يعتقد (سكاردون) بأن (فوخس) سوف يغادر هارويل ـ وكان هذا مجرد تخمين ـ وقد شعور بأنه قد مكن بينه وبين فوخس شبه تفاهم وفى النهاية ذهب وأرجأ الامر ·

وفى ٣٠ ديسمبر وهـو عيـد ميـلاد فوخس الثـامن والثلاثين ذهب (سكاردون) الى هارويل مرة ثانية فوجده هادئا ولا يزال منكرا التهم التى وجهت اليه ، وطالت المناقشة حول تحركاته في الولايات المتحدة فى عام ١٩٤٤ ولكن ذلك لم يأت بجديد · وفى نهاية التحقيق لاحظ (سكاردون) أن شفتى (فوخس) جافتين مع ذلك قد يكون هذا الجفاف فى حالة اذنابه كما يكون فى حالة براءته ·

وفى ١٠ يناير ١٩٥٠ أرسل اليه السير (جون كوك كروفت) يخبره بأنه بمناسبة سفر أبيه الى ليبزج فالاصوب لو أن (فوخس)استقال من هارويل وقبل منصبا جامعيا بدلا منها ·

وفى ١٣ يناير (حضر سكاردون) الى هارويل للمرة الثالثة لاستئناف التحقيق فى مكتب (أرنولد) وترك الاثنان منفردين · هل تذكر (فوخس) عنوان شقته فى نيويورك عام ١٩٤٤ ؟ لقد مضت سنوات على الاقل ولم

بعد يذكره بعد هذه المرة ولكنه بمساعدة الخريطة عين المكان وكان شارع رقم ٧٧ غرب بالقرب من المنتزه العمومى فى وسط عمارة بين شارع كولمبس وشارع امستردام ٠

وعندما أخبره (سكاردون) أن رجال الامن يلحون فى معرفة تفاصيل أكثر عن هذه الشقة وأمور أخرى فى نيويورك أظهر (فوخس) عدم اهتمامه واستمر فى انكاره كل التهم ومع ذلك قال انه أدرك الآن أن يجب أن يغادر هارويل وليس من الصعب عليه أن يجد منصبا فى أى جامعة ولكن يجب قبل هذا أن يقوم بأجازة ٠

الى هذا الحد انتهت الثلاث جلسات فى التحقيق وكل ما أمكن لسكاردون أن يغرى به (فوخس) هو أن الامن ليس من شأنه أن يسأله فقط فيجيب بل لابد أن يقر بأى أمر حدث منه فى نيويورك مدة الحرب والافضل له أن يكشف كل ورقة بنفسه ٠ أن (فوخس) رجل له قيمته فى هارويل وكان من الافضل لو أن اجراءا ما قد تم بحيث تنتهى هذه المشكلة بأى وسيلة حتى يمكنه أن يستمر فى عمله من جديد ، ولكن يبدو اليوم أن المشكلة أثقل وأعقد من أن يتحملها أحد ٠

ويعلم (فوخس) نفسه جيدا أن ادارة الامن لا تعلم حتى هذه اللحظة مدى الخيانة التى قام بها ولذلكقد ضيع وقتها ومر أسبوعان من يناير وكان لا يزال يسأل نفسه : (هل اعترف لهم ببعض الجرم لو أنهم وعدوا بأن أبقى فى هارويل ؟ ولكن اذا بقيت فى هارويل فهل يمكننى أن أثق بنفسى بأنى لن أعود الى الخيانة مرة أخرى ؟) ٠

لقد كشف عن كل هذا فى اعترافاته عندما قال (كنت وقتئذ أواجه الحقيقة بأن هناك بينة ضدى بأنى بدأت اسلم المعلومات عندما كنت فى نيويورك ، وكانت عندى الفرصة للاعتراف بذلك ثم ابقى فى هارويل أو اعتزلها كلية ٠ لم أكن متأكدا جدا من أنى قد أبقى فى هارويل ولذلك أنكرت كل شىء وقررت أن أترك هارويل ٠

(ومع ذلك أصبح من الواضح لى أنى عندما أترك هارويل فى هذه الظروف كنت سأتسبب فى أمرين ، ستضرب هارويل ضربة قاصمة وكذلك كل العمل الذى أحببته ،ثم سيوجه الاتهامضد أناس أحببتهم وهم أصدقائى وقد اعتقدوا أنى صديق لهم) ٠

(كان يجب أن أواجه الحقيقة بأنه من الممكن لى فى نصف رأسى أن أكون صديقا للناس بل وصديقا أمينا وفى نفس الوقت أخدعهم وأكون مصدر خطر عليهم · يجب أن أقدر أن (جهاز الضبط) قد حذرنى من الخطر على نفسى ولكن هذا أيضا منعنى من تقدير ما أنا فاعل للناس المتصلين بى ·

(عند ذلك رأيت أن مزج الثلاث آراء التى أوجدتنى فى هذا الموقف كان خاطئا : بل أن كل واحدة منها كانت خاطئة ، بل أن هناك مستويات معينة فى السلوك المعنوى عند كل انسان لا يمكنه أن يتخلى عنها ، فيجب أن تعلم فى ذهنك هل افعالك صحيحة أم خاطئة كذلك قبل أن تقبل سلطة أى فرد عليك ، يجب أن تتمكن من تقدير ظروفك وشكوكك وأن تحاول أن تحلها · وقد وجدت الظروف هى التى خلقتنى ثم صدتنى الى هذه النهاية)·

أن موضوع (فوخس) معقد ولكننا نخرج منه بعدة نتائج ، فانه لم يخشع بعد فلا يزال يعتبر نفسه هاما وضروريا لهارويل وبأنه اذا تركها فسيحدث فراغا كبيرا بل وسيميتها ، أخيرا أحس بشعور أصدقائه نحوه فسيؤذون لان الاتهام والشك سيقعان عليهم ، ولم يفكر فى هذا الامر من قبل لان (جهاز الضبط) منعه من التفكير فى الامور التافهة : كالمخلوقات البشرية الذين يعمل معهم والذين خدعهم ! لقد كانوا ضحاياه فى خطته الكبرى لاصلاح العالم · ولكنه أخيرا أدرك أنه ليس من حقه أن يؤذيهم ، وفى هذا تطور كبير فى آرائه · الا أن (فوخس) لا يزال بعيدا عن تقدير حقيقة فظاعة ما عمل فهو لم ير بعد أن أهمية الجرم الذى عمله ليس هو نحو شعور أصدقائه بل أنهم مع كل فرد آخر فى العالم قد ينسفون نتيجة لخيانته هذه فلم يبدو أن هذه النقطة قد مرت على خياله أبدا لا الآن ولا قبل الآن فقد كان سابحا بأفكاره فى نفسه وفيما حوله فقط ·

بعد اجتماع ١٣ يناير كان (سكاردون) فى مركز أقوى فى هذه القضية ولو بمقدار طفيف · لم يحدث أمر قاطع الا أنه قد خلق جوا من الثقة مع (فوخس) وأصبح متأكدا أن (فوخس) لن يأت بحركة حتى يستأذنه ، ودخل الرجلان (الصياد والطريدة) فى تحقيق جنائى عجيب ودقيق حيث تمتنع العداءات الشخصية بل يثق كل رجل بالآخر ولو أنهما عرفا من قبل أنه لابد أن يتم تدمير أى منهما ·

وهذا نوع غريب من التحقيق وهو يشبه الصبر المرير الذى ينفذ به العنكب احاطة الذبابة بخيوطه ليمسك الذبابة أولا ثم ينقض عليها فلابد لكليهما من هذا الصبر المرير ٠

لم يكن فوخس قد استعد بعد للاعتراف وبقي ساكتا واستمر فى عمله كعادته ولم يستأمن أحدا كما لم يعلم أصدقاؤه فى هارويل شيئا عن هذا التحقيق ولم يلحظوا عليه أى شيء ولكن حدث الآتى :

حدث أمر فاضح بين أعضاء هيئة مكتب (فوخس) وكان عبارة عن فضيحة غرامية قذرة وهى حادثة تجرى فى كل ثكنة ولكنها تعتبر اليوم حادثة مشينة بالنسبة للالفة الموجودة فى حياة الثكنة وقد اذى هذا الفصل شعور (فوخس) الى حد ما ـ وقد قصد عمدا زيارة المرأة المجنى عليها فى المستشفى ـ وهيىء له أن هذه بادرة أخرى عن تبدل الحياة فى هارويل التى عرفها وأحبها ووجد أنهـا بدأت تتهـايل من حوله ٠٠٠ فهذا الحادث قد اضطره الى أن يقر قراره النهائى ، ففى يوم الاحد ٢٢ يناير طلب فوخس (أرنولد) تلفونيا وقال له أنه يريد أن يحادثه محادثة خاصة فتواعدا على الغذاء فى فندق السكة الحديد القديمة فى ستيفنتون فى اليوم التالى ٠ وفى أثناء تناول الغذاء تحدثا عن الامور السياسية ثم قال (فوخس) أنه يعارض الشـيوعية القائمة فى روسـيا الآن ، وقال أيضا أنه يود ولو أن يقابل (سكاردون) مرة أخرى فلديه أمور هامة يود أن يحدثه فيها فاتفقا على أن تكون المقابلة فى مسكن فوخس فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى ، الثلاثاء ٢٤ يناير ٠

تقابل أرنولد مع سكاردون فى محطة سكة حديد ديدكوت ثم ركبا معا العربة حيث نزل سكاردون عند المسكن رقم ١٧ وحده ٠ كانت هذه المقابلة بعد عشرة أيام من أول مقابلة لهما والتغيير الذى حدث لفوخس فى هـذه المدة كان تغييرا كليا ٠ بدأ وجهه اليوم شاحبا ورآه (سكاردون) اليوم فى حالة شديدة من القلق ٠ وعندما سأله سكاردون (طلبتنى وها أنا ذاك) رد (فوخس) فى الحال نعم ٠ أنه دورى الآن أن أطلبك) ٠

ولكن بعد أن فاه بهذا النصف اعتراف سكت كان أحدا آخر دفعه عن هذا الحديث ٠ وبينما كان (سكاردون) فى انتظاره بقي (فوخس) يحوم فى فصول حياته واستمر يستعرض فى ذهنه التفاصيل التى تحدثا فيها

من قبل وماضيه فى برلين وعن أبيه (الذى سافر الى ليبزج اليوم) وعن أصدقائه في هارويل وأهمية عمله فى هارويل وحاجتهم آليه فيها . ثم تكلم عن تاريخ خدمته من أولها ولم يأت بجديد كان واضعا رأسه بين كفيه ووجهه زائغ .

وبعد ساعتين تكلم (سكاردون) فقال (لقد قصصت على قصة طويلة مقدما لى مشروعك فى الاعمال ولكنك لم تخبرنى عن الاعمال ذاتها) .

لم لم ينهار (فوخس) نهائيا ؟ لم لم يعترف وينتهى الامر ؟ لقد كان يعذب نفسه . أنه لو بدأ لامكن لسكاردون أن يعاونه .

تمهل (فوخس) قليلا ثم رد بثبات (لن تقنعنى بأن أتكلم) فقال سكاردون (اذن فلنتناول الغذاء) .

وكانت هناك عربة بوفيه تمر حول هارويل تبيع السمك والبطاطس والسجق ألخ فأوقفها (سكاردون) وهى مارة على المنزل وقال (ألك فى بعض السمك والبطاطس لنتغذى سويا ؟) فأجاب فوخس (لا . فلنذهب الى ابينجدون) .

وركب الاثنان عربة (فوخس) الصالون الرمادية وساق (فوخس) العربية وبعد أن سارا فى ابينجدون خمسة أميال كان فيها مسرعا ويسوق بدون حرص وبدون عقل وقد دار فى الملفات فى مخالفات كما مر فى التقاطعات مخالفا اشارات المرور واستمر يسابق الناس فى شوارع أبينجدون حتى وصلا الى باب الفندق الرئيسى فى البلدة . ومثل هذا المحل العام الانجليزى فى فترة بعد ظهر أحد أيام الشتاء وفى مثل هذا الجو الممطر لا يصلح مكانا تدور فيه مناقشات خطيرة ، فقد كان هناك ضيوف غرباء كثيرون فى صالة المطعم . أكل (سكاردون) و (فوخس) أكلة خفيفة وتحدثا فى أثناء ذلك عن القيل والقال فى هارويل وعن الشخصيات المختلفة فيها وهكذا تحدثوا عن كل أمر ماعدا الخيانة ، فكان حديثا مصدعا غير مرتب .

بعد ذلك ذهبا الى البهو لتناول القهوة وبدأ (سكاردون) الحديث عن مغادرة البروفيسور (سكينار) لهارويل فسأل (فوخس) من يا ترى الذى سيحل محله فأجاب هذا بأنه لم يعرف . ثم قال (سكاردون) .

(ولكنك الثالث في الترتيب أليس كذلك ؟ لذلك ربما لن يلحقك الدور في هذه المرة ؟) ٠

فرد فوخس (ربما) وهز (سكاردون) رأسه هزا خفيفا ، فلن يمكن التفكير في فوخس قبل أن يعترف اعترافا كليا ٠

وفجأة قفز فوخس وقال (فلنرجع) ٠

رجعا الى هارويل في بطء ممل لانهما كانا في أغلب الوقت يسيران خلف عربة لورى تسير بسرعة نحو ١٠ أميال في الساعة فقط ولم يجسر (فوخس) على أن يسبقه ٠ وعندما وصلا الى المسكن تركا العربة ثم دخلا٠ عند ذلك أعلن (فوخس) عن قراره فقد قرر أن يعترف ، أنه في تمام وعيه ولكنه متحير من ناحية أصدقائه في هارويل وماذا سوف يظنون به ٠

سأله سكاردون (متى بدأت ؟) ٠

فاجاب فوخس (حول منتصف ١٩٤٢ واستمر ذلك حتى عام مضى) أى أنه استمر سبع سنوات أى طوال مدة عمل القنبلة الذرية ومن بدء التفكير فيها وعملها وتفجيرها ، وهي تشمل طول مدة وجوده في كل انجلترا ونيويورك ولوس الاموس ٠ كانت هذه هي أول صدمة لسكاردون في هذا اليوم وهي أول بلاغ بلغ اليه أو لاى شخص آخر عن ما كان يجرى ليس فقط عن تسرب بعض المعلومات أو الارقام بل عن خيانة على مدى واسع ولمدة طويلة جدا ٠ واليوم ما دام قد بدأ يشعر بضرورة الاعتراف فقد أسرع دون هوادة واعترف بأمور تكاد لا تصدق ٠ وكان أول ما قال أنه كانت هناك اجتماعات متوالية غير منتظمة وكان اتصاله الأول مع وسيط مهد له الى أول تعارف ، وبعد ذلك كانت كل مقابلة طوال السبع سنوات يمهد لها مقدما بموعد أصلي وموعد آخر ٠

وقد أبلغ (فوخس) الروس في أول الامر عن العمليات التى كان يقوم بها بنفسه ولكن بمضى الوقت تطور ذلك الى أمر آخر هو تسليمهم كل شيء عرفه وكان وسطاؤه روسا أو من جنسيات أخرى ٠ وكان يعلم أنه يحمل رأسه على كفيه وقد تعلم كل هذا في أيام كان يعمل فيها سرا ــ في ألمانيا ــ لصالحهم أيضا ٠ ثم تحدث عن مقابلاته في نيويورك ولوس الاموس وأخيرا في لندن حتى يوم أن لم يتمكن من حضور الموعد المضروب له في

فبراير ١٩٤٩ ، ومن ذاك اليوم لم يتصل الروس به بعد وكانت جميع المقابلات تتم فى دقائق كان يسلم فيها الوثائق ثم يضرب الموعد الثانى ثم يفترق عن الوسيط فى الحال وأحيانا كان يسأله الوسيط أسئلة ولكنها لم تكن أسئلة الوسيط نفسه بل لشخص آخر ذى علم بالامور الفنية ٠

كل هذا تم فى حديث سريع ولم تكن هناك فرصة ليكتب فيها (سكاردون) ملاحظاته أو الاستفهام عن أمر ما ، وعندما واتته أول فرصة سأله : عما هو نوع المعلومات التى سلمها للروس فعلا ؟ فرد عليه الرد الذى كان له صدمة قوية وهى ثانى صدمة أصيب بها (سكاردون) فى ذاك اليوم ٠

قال (فوخس) أنه يظن أن أسوأ شيء اقترفه هو أنه أخبر الروس طريقة عمل القنبلة الذرية ٠٠٠

والآن جاءت الحقيقة ، وكانت حقيقة مرة بالفعل وهى أنه لا يعقل أن يظل (فوخس) فى هارويل أو فى مكان آخر غير السجن وكل ما يمكن عمله الآن هو استنطاقه بكل ما حدث واستدراجه حتى يستمر فى الحديث إلى أن لا يبقى لديه شيء لم يقله ٠

ثم جاء وقت الراحة وكان (سكاردون) قد تثبت من أن (فوخس) قد كشف نفسه ولا مناص من ذلك وكان (سكاردون) متشوقا لانهاء هذه المقابلة بأسرع ما يمكن حتى يستشير زملاءه ثم يحصل على كل هذه الاعترافات كتابة ٠

الا أن فوخس أراد أن يستمر ، وفسر بالتفصيل أنه كان من المستحيل عليه أن يخبر الروس أكثر من القواعد التى تم عليها عمل القنبلة أما الاجهزة الصناعية فعليهم هم انتاجها بأنفسهم وقد دهش لنجاحهم فى عمل وتفجير القنبلة بهذه السرعة ففى أغسطس الماضى كان يعرف (فوخس) أنهم متقدمون فعلا فى الوجهة العملية ولكنه لم يعتقد أنهم تطوروا بهذه السرعة فنيا وصناعيا ٠

أما المعلومات التى كان يقدمها لهم فقد كان يخفف منها تدريجيا فى العامين الماضيين لانه بدأ يتشكك فى خطأ ما يأتيه ، ولو أنه كان لا يزال شيوعيا كما يقول ولكن ليس للدرجة الموجودة فى روسيا اليوم ــ وهى

الشيوعية التى يجب أن نهاجمهـا • لقد صمم على أن المكان الوحيد الذى يجب أن يعيش فيه هو انجلترا ، ثم رجع الى حديثه عن أصـدقائه وماذا سيظنون به وبسلوكه وخاصة (هنرى أرنولد) وهو الشخص الذى خدعه أكثر من غيره ؟ وأكد أن أخته (كريستال) الموجودة فى الولايات المتحدة لا تعرف شيئا عن اتصالاته مع الروس وأنها اذا كانت لاحظت أى اشتباه فيه فربما تظن أن ذلك كان ضمن حركاته الخفية لحساب الحزب الشيوعى الألمانى •

وقبل أن ينهى (سكاردون) الاستجواب أتى ببضع نقط أخرى ضمن هذه المعلومات فقال أن أحد الامكنة التى تقابل فيها مع الوسيط فى لندن هو (مورننجتون كريسينت) ، وأن الروس لم يعطوه اسما كوديا بل عرف باسم (فوخس) ، وأنه لا يمكنه أن يتذكر اليوم جميع صيغ التعارف بينه وبين الوسطاء فى كل مرة ، وأنه يتذكر فى مرة أخذ مبلغ١٠٠ جنيه كقيمة رمزية لخدماته للمذهب الشيوعى •

كان فوخس اليوم أكثر هدوءا وارتياحا ووافق على تأجيل الاجتماع لوقت آخر فقد تعب الاثنان وكان هذا الاجتماع قد دام ساعة بعد الغذاء • سـأله (سـكاردون) عن الموعـد التالى فتذكر (فوخس) أن لديه لجنـة سيحضرها فى اليوم التالى اذن فلا يمكن مقابلته فى ذاك اليوم ولكنه سيكون خاليا فى اليوم الذى يليه •

عند هذا افترق (سكاردون) عن (فوخس) عند الباب وركب عربته عائدا الى لندن ومعه أخطر تقرير يمكن لانسان أن ينقله • ومما يثير العجب أن (فوخس) وقد ألقى عن عاتقه هذا الحمل بالاعتراف به فلا يزال يعتقد أن كل شىء انتهى وأصبح الامر عاديا وأنهم لا يزالون يحتاجون الى خدماته فى هارويل ، وقد قال فى اعترافه أنه لهذا السبب دعا (سكاردون) الى هارويل واعترف له • لقد كان جاسوسا روسيا ، وارتكب غلطة ثم اعترف بها وتنحى عن هذه الفعلة فلن يصبح جاسوسا روسيا بعد اليوم ، فعلى (سكاردون) أن يفسر هذا للمسئولين وينهى أى اجراءات شكلية رسمية بأسرع ما يمكن حتى يمكن (لفوخس) أن يستمر فى عمله من جديد وعلى ذلك رأى ألا داعى لان يقبل وظيفة علمية فى الجامعة خارج هارويل بعد هذا آ لقد اعترف وانتهى كل شىء ، والاجر الذى يجب أن يدفعه (سكاردون) نظير هذا الاعتراف هو أن يضمن (لفوخس) الا ينقل من هارويل ! والحقيقة هى كما أكد (فوخس) أخيرا أنه قرر الاعتراف من نفسه دون أى ضغط

عليه • أو بمعنى آخر كان (فوخس) لا يزال بعيدا بمقدار ألف ميل عن فهم الموقف ومع ذلك فقد كان هذا الغباء السـخيف منه في صالح رجال الأمن ، فما دام لا يزال يفكر بهذا الاسلوب فليس هناك أى احتمال لهروبه أو انتحاره بل بالاحرى سينالون منه كل معاونة فكان لابد اذن من عـدم تنبيهه فلا داعى لاحاطته برجال الشرطة أو قطع احلامه التى لا تزال فى أوجها •

استؤنف الاجتماع فى صباح اليوم التالى ٢٦ ينـاير فى هارويل • ويبدو أن فوخس قد رجع الى أقواله التى ذكرها فى اليومين السابقين وكان معدا نفسه لان يبوح بتفصيلات كثيرة عن اجتماعاته مع وسطائه فى لندن وبوسـطون ونيويورك وسـانتافى وفكر فى أنه كان يجب أن يتقابل مع (ارنولد) فى الفترة بين هذه الاجتماعات وبين يوم أن قرر الاعتراف وقد حدث فى ذاك الاجتماع المؤلم أمر أغرب من كل هذا وهو أن فوخس أعرب عن قلقه من أن (سكاردون) ربما لن يقدر أهمية وخطورة الموضوع فهو مهتم بصفة خاصة بالاجتماع التالى مع الامريكيين وهو الاجتماع الذى كان (فوخس) أحد ممثلى بريطانياً فيه • فهل يقدر (سكاردون) ضرورة وجود (فوخس) فيه أم لا ؟ فانه اذا لم يتواجد فسوف يتساءل الناس عن سبب غيابه وسوف تثار الشكوك وتقوم الاشاعات وهو أمر ضار بهارويل فهل أدرك (سكاردون) هذا ؟ أكد (ارنولد) لفوخس بأنه سيثير هذا الامر فى الاجتماع التالى مع (سكاردون) •

والآن ـ ونحن فى ٢٦ يناير ، استعجل فوخس سكاردون بأن ينهى الموضوع بأسرع ما يمكن لانه شغوف بأن يستبين الموقف بسرعة •

وضع (سكاردون) ثلاث حلول أمامه : اما أن يكتب فوخس اعترافاته بخط يده أو يمليها الى سكرتير أو يمليها الى (سكاردون) نفسه فاختار فى الحال الرأى الاخير واتفق على أن يتقابلا فى احدى حجر وزارة الحربية فى لندن فى اليوم التالى • كان التفاهم بين الاثنين تاما ووقعت الذبابة فى خيوط العنكب وكانت فى حصار خيوط عنكب غير مرئية لها • تواجدا فى قاعدة (كريستيان ينم) وقد تبادلا المجالات الشكلية كل للآخر ، وكان هـذا بالنسبة الى (فوخس) معنـاه أنهم يمثلون دورهم فى روتين شكلى ومتى انتهت الشكليات فسيذهب كل الى عمله وترجع الامور الى مجراها الطبيعى، فبعد ثمانى سنوات قضاها فوخس فى حياة مزدوجة ولم يثق بأى أحد طيلة

هذه المدة لابد أنه شعر بارتياح كبير اذ ينظر الى هاتين الحياتين العجيبتين بمنظار مكبر ليراها قصة واحدة ويرويها لاول مرة الى شخص يعطف عليه ويفهمه ، فالذى أدركه أخيرا هو أن الانسان يجب أن يكون صادقا وصريحا •

بعد أن سافر (سكاردون) تحدث فوخس الى (ارنولد) وأجابه عن أسئلة بخصوص ماهية المعلومات التى أبلغها الى الروس •

وفي اليوم التالى ــ ٢٧ يناير ــ قام ليتم خطته فى الادلاء بالاعترافات فحضر الى لندن دون أى رقابة عليه من الشرطة وقابله (سكاردون) فى محطة بادنجتون وأخذه فى العربة الى وزارة الحربية فى هوايت هول، وجلسا وعندما أعطاه (سكاردون) التخدير الرسمي المعتاد سأله عما اذا كان مستعدا للاعتراف أجاب فوخس (نعم انى أدرك تماما ما أقول وأرجوك أن تستأنف الكتابة) •

كتب (سكاردون) الاعتراف بيده وكان نصه :

(أنا نائب كبير موظفى مؤسسة بحوث الطاقة الذرية بهارويل

Deputy Chief Scientific Officer at Atomic Energy Research Establishment, Harwell.)

ولدت فى راسيزهايم فى ٢٩ ديسمبر ١٩١١ (كان والدى قسيسا وكنت سعيدا فى طفولتي سعادة لا حد لها وأظن أن الامر الوحيد البارز في هذه الفترة هي أن والدى كان ينفذ كل ما يراه هو أنه صواب ولذلك كان يسمح لنا دائما بأن نأتي ما نراه صوابا ولو أنه لا يوافق عليه هو • كان لذلك يتشاجر كثيرا مع الناس لانه كان يأتي أمورا ترضى ضميره ولكنها تتعارض مع آرائهم ، ومثال ذلك أنه كان أول قسيس ينضم الى الحزب الاشتراكى الديموقراطى) •

وهكذا استمرت القصة كلها وعند الاقتراب من نهايتها قال فوخس لأول مرة أنه يريد أن يقول شيئا عن ندمه فقال (انى أعرف أنه لن يمكنني أن أعاود هذا العمل (الذى أتاه من قبل) وأعرف أن كل ما يمكنني أن أعمله هو أن أحاول أن أصلح ما أفسدته فالامر الاول هو التأكد من أن هارويل لن تخسر الا أقل ما يمكن وانه يجب أن أوفر على أصدقائي فيها هذا الجهد بقدر ما يمكن فقد كان ذاك الجهد والعمل هو الرابطة الحية لدوام صداقتنا معا •

وهذه الفكرة فى هذا الوقت تشغلنى جدا وارى من الصعب على أن أفكر فى أى أمر آخر ٠

(ومع ذلك فانى أرى أنه يجب على أن أذكر مدى المعلومات التى أبلغتها اليهم وانى يجب بأسرع ما يمكن - لارضى ضميرى - أن أمنع أى اناس آخرين ممن يقومون بالعمل الذى قمت به ولكنى ولو أنى لا أعرف أحدا بالاسم ممن يجمعون المعلومات ليسلمونها الى السلطات الروسية ٠ وهناك أناس أعرفهم شكلا كنت أثق بهم طول حياتى وكذلك كانوا هم يثقون بى ولا أعرف اذا كنت أقدر عمل طريقة توقع بهم ٠ هم ليسوا معنا فى المشروع ولكنهم وسطاء بينى وبين الحكومة الروسية ٠

(فى أول الامر فكرت فى أن كل ما سأعمله هو أن أخطر السلطات الروسية أن العمل فى القنبلة الذرية لا يزال جاريا ٠ وقد ركزت فكرة فى أول الامر على نتيجة أعمالى أنا فقط وخاصة فى (لوس الاموس) وقد عملت أسوأ عمل ارتكبته فى حياتى وخاصة تسليمهم المعلومات عن قواعد تخطيط القنبلة البلوتونيوم ٠ وأخيرا فى هارويل بدأت أعنى بالمعلومات التى أعملها بنفسى فسلمتها ولكن من الصعب أن أقول تماما متى وكيف عملت هذا لانها كانت عملية دامت بين المد والجذر فى نضالى مع نفسى ٠

وآخر مرة سلمت فيهـا المعلومات كانت فى فبراير أو مارس ١٩٤٦ (وقبل أن أنضم الى المشروع (يقصد هارويل) كان معظم الانجليز الذين اتصلت بهم يساريين وكانوا متأثرين لهذا الجانب بطريقة أو بأخرى بآراء فلسفية ٠ ومنذ يوم أن أتيت الى هارويل تقابلت مع انجليز من كل الانواع بل ولاحظت فى كثيرين منهم ثبـاتا عميقا يمكنهم من أن يعيشوا عيشـة معتدلة ٠

ولا أدرى كيف يتأتى لهم ذلك ولا أظنهم أنفسهم يدرون ولكنه الواقع (قرأت هذا الاعتراف وأقر بصحته) ٠

ثم وقع عليه (كلاوس فوخس) ثم كتب (سكاردون) حاشية فى الآخر أن (فوخس) قرأ الاعتراف وأجرى التصحيحات التى ارتآها وكتب اسمه بالاحرف الاولى على كل صحيفة ٠

احتفظ فوخس لنفسه بأمر احتياطي وهو أمر يدل على حيرته النفسية التى كانت تختلج فى رأسه • أنه لم يخبر (سكاردون) بالتفصيلات الفنية لعمل القنبلة الذرية التى سلمها الى الروس لان (سكاردون) ليس من الأشخاص الذين يسمح لهم بالاطلاع على هذه الاسرار ، ولكنه وافق على الاباحة بها لشخص من المسموح لهم بهذا الاطلاع وهو المستر (ميشيل بيرين) الذى كان يعرفه منذ ١٩٤٢ عندما كان هذا مساعدا للسير (والاس آكرز) فى مسابك الانابيب والذى بقى فى العمل مع فرقة الطاقة الذرية فى وزارة التموين ،

لذلك اتفق على موعد فى ٣٠ يناير بلندن وقال (فوخس) أنه يود لو أخذ راحة فى نهاية الاسبوع حتى يمكنه أن يستجمع أفكاره ثم كرر أنه يود أن يطمئن على مستقبله ولا يريد أن يضيع الوقت سدى • بعد ذلك رجع وحده الى هارويل بالسكة الحديدية •

وفى نفس الليلة حدث أمر غريب ، فقد علم (أرنولد) أن النور مضاء فى مكتب فوخس فذهب فى الحال الى الادارة ودخلها بهدوء ورأى بالفعل النور فى حجرة (فوخس) وسمع أصواتا تدل عن وجود أشخاص فى غرفته •

استخدم أرنولد مفتاحه السرى ودخل الغرفة المقابلة لغرفة (فوخس) مباشرة وفى نفس الطرقة ، وللحوائط بين الغرف وبعضها فى هذه العمارة شراعات من الزجاج تعلو عن الارض بثمان أقدام وهى قريبة من السقف • فطلع (أرنولد) على الدولاب وأمكنه عندئذ أن يرى من الشراعات — وعبر الطرقة — ما بدآخل حجرة (فوخس) وقد رأى فوخس جالسا الى مكتبه يقرأ أوراقه وكانت أدراجه مفتوحة ويدخن وهو يقرأ • أما باقى العمارة فكانت فى ظلام وسكون •

استمر (ارنولد) يرقبه مدة طويلة وكان المتوقع فى ذلك الوقت حدوث عدة أمور ، فكان هناك احتمال بأن ينتحر (فوخس) واحتمال آخر بأنه سيأتى بأوراق أخرى من الدولاب ثم يضعها فوق بعضها على المكتب • وفى

نحو الساعة الحادية عشر قام تاركا الاوراق على المكتب والنور مضاءا ثم خرج وقفل الباب من خلفه ٠ وأدرك (أرنولد) أن (فوخس) لابد راجع ولو ليطفيء النور على الاقل فظل كما هو فى الظلام فوق أعلا الدولاب ٠ ولم يرجع (فوخسن) الا بعد ساعة وقد قارب الوقت منتصف الليلل ، دخل وجلس الى مكتبه وظل يقرأ أوراقه كما كان يقرأها أولا وذلك لمدة نصف ساعة أو أكثر بينما (أرنولد) يرقب وينتظر النتيجة ٠ وأخيرا فى نحو الساعة ٣٠ ٠٠ صباحا قام فوخس وقفل باب المكتب وأطفأ النور ثم ركب عربته وذهب ٠ عند ذلك دخل (ارنولد) الحجرة فوجد أن الاوراق التى كان (فوخس) يقرأ فيهـا خاصة بأمور روتينية وليسـت ذات أهمية ٠ وظلت الحجرة بالاوراق المنتشرة على المكتب كمـا هى دون أن تمس حتى فتشت بعد أن تم القبض على فوخس ٠

أخذ (فوخس) قطار الصباح فى يوم الاثنين ٣٠ ينـاير الى لندن ، ووصل الى بانجتون فى الساعة ١٠٤٥ صباحا واحضره (سكاردون) الى وزارة الحربية حيث كان (برين) موجودا فى الانتظار ٠ وبينما كانا فى اجتماعهما قال (فوخس) أنه تذكر أمرا أو أمرين قد يكونان ذى فائدة للارشاد عن وسطائه ، وقال أنه متأكد أن هناك علماء آخرين غيره كانوا يعملون مع الروس كذلك تذكر الآن محل آخر المواعيد وهو الذى لم يذهب اليه فقد كان فى (سبوتيدروج فى بوتنى) والموعد التبادلى له هو محل عام (قهوة) بالقرب من محطة المترو فى (دور جرين) ٠

افتتح (سكاردون) الحديث مع (بيرين) بقوله أن (فوخس) قرر أن يبوح بكل شيء فأجاب (بيرين) أن معه دفاتر كثيرة ومستعد لكتابة كل شيء ثم جلسا وبدءا بكتابة كل ما تم فى بحر السبع سـنوات بالترتيب الزمنى لها مع ذكر ما كان يسلمه فوخس للروس بالضبط فى كل تاريخ وكل مكان : فأولا ذكر تقاريره الشهرية عنـدما كان يعمل فى مسـابك الأنابيب فى برمنجهام عام ١٩٤٢ ، ثم أنه فى نيويورك سلمهم تفاصيل عملية تفتيت الغاز ، وسلمهم فى سانتافى أصول القنبلة البلاتونيمية ، وأخيرا فى هارويل سـلمهم معلومات عن تقـدم المشروع البريطانى لبعد الحرب ٠

أخذ كل هذا اجراءا طويلا ، وبعد ساعتين قام الثلاثة لفسحة الغذاء فذهبوا الى فندق خلف وزارة الحربية في هوايتهول بالقرب من سكوتلانديارد (ادارة المباحث الجنائية في لنـدن) ولكنهم وجـدوا أن جميع الطاولات مشغولة فذهبوا الى بار وأخذوا وجبة سريعة ، وهذه عادة تحدث كثيرا في لندن في مثل هذه الايام ، ثم ذهبوا ليستأنفوا العمل من جديد ·

كرر (فوخس) لبرين أنه متأكد من أن علماء آخرين غيره يعملون من أجل الروس ما كان يقوم به هو نفسه طول الوقت · وضرب مثلا لذلك بأنه في الايام الاولى لعمله في الجاسـوسية ـ وبينما كان لا يزال في انجلترا طلبوا منه أن يعطيهم تفصيلات عن جهاز تفتيت النظائر المغناطية الكهربائية في (بيركيلي بكاليفورنيا) وكان هذا أمرا لم يعلم به أي عالم بريطاني في ذاك الوقت ·

وأتت السـاعة الرابعة عصرا ولم ينته الاعتراف ، فرجع (فوخس) وحده الى هارويل بينما أخذ (بيرين) مذكراته لتكتب على الآلة الكاتبـة فقد كانت طويلة واشتملت على صحائف كثيرة · وأخيرا قنعت السلطات بهذا ففيه الكفاية ، لقد كانت هناك عدة تفصيلات يراد أخذها من فوخس ولكنهم الآن حصلوا على أسواء ما يريدون ، على ذلك فقد آن وقت القبض عليه ·

كانت الايام أيام انتخابات البرلمان ، ونجح العمال بأغلبية صغيرة في ١٩٥٠ في الرجوع الى الحكم وكانت الاجراءات الشكلية القانونية معقدة : فأولا يجب أن يعلم رئيس الوزراء (المستر أتلى) بهذا الاعتراف ثم المدعى العام (والسير هارتلي شوكروس) يجب أن يكون موجودا وقد كان مسافرا في شمال انجلترا ·

رجع (شوكروس) الى لندن وقرأ القضية وهو بالقطار ، وفي لندن أخذ القسم الخصوصي من اسكوتلانديارد وغيره يعدون صيغة الاتهام وكل هذه الاجراءات أخذت يومي ٣١ ينـاير وأول فبراير وفي ٢ فبراير كان الجميع مستعدين لاتخاذ الخطوة التالية ·

وفضل رجال الامن عدم اتمام القبض على المتهم فى نفس هارويل فلم يكن فيها أحد يعلم شيئاً عن هذا التحقيق ، بل رأوا أن يأتوا بفوخس الى لندن بهدوء وكانت أفضل طريقة لتنفيذ هذا هى أن يدعوه (بيرين) تليفونيا ويطلب منه أن يقابله لاستيفاء بعض الامور ثم يتم القبض على فوخس فى مكتب (بيرين) فى شل ماكس هاوس ٠ وافق (بيرين) على هذا وبما أنه من غير رجال الشرطة فهو فى حاجة الى حماية رجال الامن عند تنفيذ هذه الخطة ٠

وكان اشتراطه الوحيد هو أنه اذا كان سيقبض على (فوخس) فى مكتبه فيجب ألا يكون (بيرين) موجودا فى تلك اللحظة ٠

اتصل على ذلك (بيرين) بفوخس تليفونيا فى صباح ٢ فبراير وقال له (أيمكنك أن تحضر بعد ظهر اليوم مرة أخرى ؟) وافق (فوخس) فقال أنه سيركب القطار من (ديدكوت) فيصل بادنجتون حول الثانية والنصف ظهرا وكانت المسافة تأخذ أكثر من ساعة بقليل ٠

تم الاتفاق اذن على أن يتواجد الكوماندر (مقدم ليونارد بيرت) من اسكوتلانديارد فى مكتب (بيرين) فى الساعة الثانية والنصف مع صحيفة الأدعاء وأمر القبض على (فوخس) ٠ كان (بيرين) قلقا الى حد ما وهو جالس الى مكتبه فى الساعة الثانية والنصف وبقى وحده مدة نصف ساعة فى طريقه اليه ٠ وفى الساعة الثالثة تلفن سكرتير (بيرين) اليه بأن (فوخس) قد وصل فرد عليه (بيرين) بأن يبقيه فى المكتب الخارجى حتى يصل (بيرت) ثم استعجل ادارة الامن فى نفس الوقت لتأخر (بيرت) ٠

وأخيرا وصل (بيرت) فى الساعة الثالثة والدقيقة العشرين ومعه مفتش شرطة وأدخلا مكتب (بيرين) مباشرة وقالا أن التأخير كان بسبب تغيير صيغة الادعاء فى آخر لحظة ٠

عند ذلك أرسلوا فى طلب (فوخس) الذى كان منتظرا طول هذه المدة فى الغرفة المجاورة ٠ قدمه (بيرين) بسرعة الى (بيرت) ثم انسحب الى

غرفة أخرى . عند ذلك أخذ (بيرت) يتلو عليه فى الحال الادعاء المقام عليه ثم قال له أنه قد ألقى القبض عليه . لم يبدى (فوخس) أى اعتراض ثم جلس على كرسى (بيرين) وطلب أن يرى (بيرين) شخصيا .

وافق (بيرت) ودعا (بيرين) للدخول فدخل وأصبح أمام (فوخس) وجها لوجه وفى الحال امتقع لون وجهه . وهكذا انقشـع الحلم الذى كان يحلم به (فوخس) ثم نظر الى (بيرين) لآخر مرة وفى أسى وقال له (أنت تعلم ما معنى هذا لهارويل) ! .

أثبت الضابطان هذا ثم أخذاه الى مركز شرطة شارع باو .

الباب الحادى عشر

كانت الثلاث جلسـات التى ظهر فيها (فوخس) فى المحكمة هامة بالنسبة لقصرها وايجازهالان الاقوال الشفاهية والاعتراف الكتابى احتويا على كل شيء وكذلك الملخص الذى قـدم للمحكمة · لم يسـمح له كلية بالضمان المالى ، وقد تم فى بحر شـهر من يوم القبض عليـه ، عمل كل الاجراءات والدفع الى السجن · ولم يتكلم عن نفسه غير مرة أو مرتين وتكلم باختصار ولم يبدى شيئا فى الدفاع عن نفسه ·

كان ظهوره فى أول مرة أمام المدعى العام (السير لورنس ضان) فى محكمة باوستريت فى ٣ فبراير وهو اليوم التالى للقبض عليه وكان هذا اجراءا شكليا ابتدائيا · وكان الكوماندر (باط) هو الشاهد الوحيد وقد ذكر الظروف التى تم فيها القبض عليه · وقال فوخس أنه ليس لديه أى أسئلة يسألها (لباط) فقال له المدعى العام (هل هناك شيء تطلبه منى بخصوص هيئة الدفاع فأجاب فوخس (أنا لا أعرف أحدا هنا) فسـأله المدعى العام اذا كان موسرا فرد المدعى المستر (كريستماس همفريز) · (نعم ، من المؤكد أنه يمكنه أن يدفع أجر هيئة الدفاع فمرتبه كبير) ·

أمر المدعى العام بأن ترد للمسـجون نظارته والادوات الاخرى التى أخذت منه وقت القبض عليـه ثم أجلت القضية مـدة أسـبوع حتى يعين المحامون لفوخس وتعد هيئة النيابة مذكرتها وبقى (فوخس) فى سجن بركستون ·

وفى الجلسـة الثـانية فى باو ستريت وفى ١٠ فبراير أدلى كل من (ارنولد وسكاردون وبيرين) بأقوالهم ولكن الاعتراف لم يقرأ فى المحكمة وقال المدعى المستر (همفريز) ما يلى :

(قد يكون ذهن فوخس منظما وقد يخلق للعالم نظرية فلسفية جديدة، فالواضح من أقواله أن لنا نصف عقله وهو لا يكاد يصل بنا الى الحقائق التى يراها ، أما النصف الآخر فقـد عاش بين علاقاته العـادية وصداقته بين زملائه واخلاصه للانسانية · وهذه الشخصية المزدوجة نراها الآن موجودة بيننا ، فقد قسـم عقله الى عقلين وقد وصف هـذا بأنه الانفصـام العقلى

(أو جنون المراهقة) وهو مسيطر عليه • لقد وضع نفسه فى المثل الكلاسيكى وهو الشخصية المزدوجة الخالدة فى الادب الانجليزى (جايكل والدكتور هايد) •

لم يقل فوخس شيئا بعد كل هذا وعلى ذلك قدم للمحاكمة فى أولد بايلى • ومضت بعد ذلك ثلاثة أسابيع بقى فيها فوخس فى سجن بركستون وفى أول مارس مثل أمام رئيس المحكمة العليا (اللورد جودارد) فى نفس المحكمة التى حوكم فيها (الان نان ماى) منذ أربعة سنوات حيث حكم عليه فيها بالسجن أربع سنوات •

اجتذبت القضية اهتماما كبيرا من الصحافة فكتبوا وصفا مطولا لمظهر رئيس المحكمة فى الرداء القرمزى خلف حامل السيف وحامل الصولجان وهما فى ملابس العصور الوسطى وسكوت الجمع الكبير الموجود فى المحكمة اجلالا للموقف ثم جلس القاضى فى مكانه تحت سيف العدل •

وكذلك كتبوا عن حضور دوقة كنت وعدد آخر من الاشراف فى هذه المحكمة ، وأن المس (جيزلر وانجر) وهى ابنة عم المسجون والوحيدة من أهله فى انجلترا كانت الاخرى موجودة فى المحكمة • وقد لاحظوا أن (فوخس) كان يرعاه طبيب فى أثناء المحاكمة وأن وجهه شاحب وأن عينيه طوال الوقت كانتا مثبتتين على طاولة رئيس المحكمة ولم تبدو منه أية حركة من أى نوع •

ولم يحدث فى ذاك اليوم أى مأساة أو أى أمر ذى حساسية خلا أن طبيعة القضية نفسها كانت غير عادية •

انتهت القضية فى ساعة ونصف الساعة وكان (سكاردون) هو الشاهد الوحيد ، ومع ذلك فهذه التسعون دقيقة لابد أنها كانت بالنسبة الى فوخس أغرب حالة خيبة ويأس تحدث لانسان فقد علم عندما حضر أمام المحكمة أنه لن يحكم عليه بالموت ثم زاره رئيس هيئة الدفاع عنه فى سجنه قبل سماع الحكم مباشرة وقال له ألا أمل فى نجاته ، فقد قام الدفاع بكل ما يمكنه ولكن لا توجد فرصة للخلاص ولابد أن يقبل أقصى جزاء فقال فوخس (نعم لقد فهمت) •

سأله (كورتيس بينيت) ـ أتعرف ما هو أقصى جزاء ؟ فأجابه فوخس (نعم أعرفه هو الاعدام) فقد اعتقد طوال مدة وجوده فى السجن أنه سوف يموت قريبا •

فأجاب (كورتيس بينيت) ـ لا · أنه السجن أربعة عشر عاما · عند ذلك لم يبد (فوخس) أى حركة او شعور بالحزن أو المفاجأة وذهب الى المحكمة في هدوء وتتبع جميع الاجراءات تتبعا دقيقاً ثم تحدث بوضوح وتوكيد فى نهاية المحاكمة ·

لقد أتهم بأنه اتصل باشخاص مجهولين وسلمهم معلومات قد تكون ذات فائدة للعدو وذلك في أربع مناسبات مختلفة : فى برمنجهام فى ١٩٤٣ ، وفي نيويورك بين ديسمبر ١٩٤٣ وأغسطس ١٩٤٤ ، وفي بوسطون فى فبراير ١٩٤٥ ، وفى بركشاير بانجلترا فى ١٩٤٧ · أقر فوخس بأنه مذنب فى جميع الادعاءات المقامة عليه ·

افتتح المدعى العام السير (هارتلى شاوكروس) الجلسة باسم التاج وقال (المسجون شيوعى وهذا هو التفسير المباشر وأن ذلك لمأساة هذه القضية · وبخلاف الضرر الكبير الذى سببه المسجون لهذه الدولة التى لجأ اليها والتى آوته فالمأساة هى أن رجلا فى هذه الثقافة العالية لهذا المسجون قد دعا ذكاءه لان يضل لولائه للشيوعية كما يقول هو نفسه قد أصبح فى حالة انفصام عقلى ولكنه مسيطر عليه ·

فالنصف المسلط عليه من رأسه يوعز اليه بأن يأتى أمورا يعتبرها النصف الآخر من رأسه أنها أمورا خاطئة · وفعلا يا سيدى الرئيس ان حالته (كما أمكننا أن نختبرها قد وجدناها كما ذكرها) هى الدرس الصحيح الذى يفسر معنى الشيوعية · وقبل أن أقول أى كلمة عن الحقائق أرجو أن تسمحوا لى أن أضيف الآتى لانه يتعلق مباشرة بهذه القضية :

(أن عدد الشيوعيين في هذه الدولة قليل جدا لحسن الحظ ثم أن عددا كبيرا من الذين يعطفون على الحركة الشيوعية ـ وكما أعتقد أن المسجون كان أحدهم فى وقت ما ـ مخدوعون بأن الحركة الشيوعية تهدف الى أن تبنى عالما جديدا ، وأما ما لم يدركوا حقيقته فهو أنها تدعو الى أن يخضع العالم لقوة واحدة جبارة وأن الموالين للحزب الشيوعى والمنتمين اليه

فعلا والذين تشربوا بالعقيدة الشيوعية يجب أن يصبحوا خونة لوطنهم وذلك من أجل مصالح حركة الشيوعية الدولية ، أو هى الامور التى أوعز اليهم بأنها مصالح عالمية ·

(سيدى الرئيس ، أنه من أجل هذه المبادىء طغى الوهم والامل الكاذب على هذا العالم الشاب النابه فجلب عليه العار فأوقع نفسه ووطنه فى هذا المركز المشين) ٠

ثم تحدث (السير هارتلى) عن تاريخ (فوخس) وأغلب ما قاله هو مستخرج من اعترافات (فوخس) نفسه وركز حديثه على أن الاعتراف كان بمحض ارادة واختيار المتهم نفسه وبدون أى ضغط عليه وفى وقت قصير أى لم يحدث أى جو مؤثر عليه ٠ وأيد (سكاردون) هذا وهو فى موقف الشهادة وأضاف اليه أن (فوخس) من يوم أن قبض عليه عمل كل جهد لمساعدة المسئولين فى هذه القضية ٠

استهل (كورتيس بينيث) حديثه عن الضغط السياسى الذى نال من فوخس فى وقت شبابه فى ألمانيا فقال :

(ثم كان الاضطراب الذى اشتعل فى فبراير ١٩٣٣ عندما أشعل أحد الثائرين النار فى مجلس الريشستاغ (البرلمان) الالمانى وكان هذا المبنى بجوار منزل المجلس نفسه ، وكان التحامل فى ألمانيا وقتئذ موجهـا ضد الشيوعية ٠ قرأ هذا العالم هذا الخبر فى الصحف وهو فى قطار الصباح بعد حدوث الحريق فاختفى محاولا انقاذ حياته وحضر الينا فى بريطانيا فى ١٩٣٣ بامل اتمام دراساته العلمية ليؤهل نفسه ليكون عالما فيمكنه يوما أن يعمل فى اعادة بناء ألمانيا الشيوعية لا أن يلقى قنابل ذرية على أى أحد، حضر ليتلقى علوم الفيزيقيا (الطبيعة) ٠

(تعلم درس الطبيعة النظرية فى جامعة كييل وجامعة ليبزج وجامعة بريستول وجامعة أدنبرة ٠ أتم هذه الدروس الســلمية قبل أن تشتعل نيران الحرب ولذلك قد يكون هناك أمل بأن يرشح لجائزة نوبل للسلم أو أى عضوية فى الجمعية الملكية بدلا من السجن الذى هو فيه اليوم) ٠

وقال المستر (كورتيس بينيث) أن (فوخس) لم يحاول أن يهدف الى أى شىء فى انجلترا الا أن يكون شيوعيا ٠

عندئذ قال اللورد (جودارد) (هل تقصد أن ذلك كان معروفا لدى السلطات) ٠

فرد المستر كورتيس بينيت (لا أدرى ٠ مع ذلك فهو لم يكتم أمرا بل اعترف بكل شىء) ٠

فقال اللورد (جودارد) (لا أظن أنه كشف عن ميوله الشيوعية عند ما اكتسب صفة المواطن أو عندما عين في هارويل أو عندما ذهب الى أمريكا) فرد كورتيس بينيت (اذا كنت أخطأت فليصحح لى المدعى العام فان فى ملفاته فى وزارة الداخلية ما يدل على أنه كان عضوا فى الحزب الشيوعى الألمانى) ٠

فرد السير (هارتلى شوكروس) : لقد كان مفهوما عندما اختبر فى محكمة الفارين من دول الاعداء فى أول الحرب أنه كان مهاجرا وفارا من اضطهاد النازى لانه كان شيوعيا فى ألمانيا ٠ وكل التحريات وقتئذ حتى ذاك اليوم لم تظهر أنه يوما ما قد تعاون مع أى عضو من الحزب الشيوعى البربطانى ٠٠) ٠

وقال بعدئذ (كورتيس بينيت) أن كل ما يريد ان يقوله هو (أن أى شخص قرأ نظرية (ماركس) يجب أن يعرف أن أى رجل ينتمى الى الشيوعية سواء فى ألمانيا أو تمبكتو ـ يجب أن يتصرف تماما كما تصرف (فوخس) اذا ما وقعت فى يديه أية معلومات ، ويجب دائما وبصفة آلية (لسوء الحظ) أن يقدم وفاءه للشيوعيين أولا ٠٠٠ لقد كان فى رأسه نوع من التردد بخصوص المعلومات فهل يسلمها لهم أولا يسلمها اليهم ٠ وفى المرة الاولى فى ١٩٤٣ ٠٠٠) ٠

قاطعه اللورد (جودارد) قائلا (لقد قرأت الاقوال بعناية تامة وأكثر من مرة ولا يمكننى أن أعى هذه الفلسفة العقلية أو سمها كما شئت بل يعنينى أن هذا الرجل قد أساء التصرف فى أسرار فى غاية من الاهمية عن هذه الدولة وهو يبدو أمامى كرجل طاهر ويعتمد على أنه مريض بالانفصام العقلى أو ما أشبه) فقال (كورتيس بينيت) عند ذلك (اذا لم تر سيادتكم أن حالة عقل رجل يعمل ٠٠٠)

فقاطعه اللورد جودارد (أن رجلا فى مثل هذه الحالة العقلية هو من أخطر الناس لهذه الدولة من اقصاها الى اقصاها) رد المستر كورتيس بينيت (يجب أن أوضح لسيادتكم أن هذا الرجل بحالته هذه يتوقع أنكم لن تكونوا قساة عليه بل حكم عدل وفى صالح هذه الدولة وفى صالحه كذلك٠وانى لاأريد أكثر من أن أشرح لسيادتكم النقط التى قلتم الآن أنكم لا تعوها ٠ وقد أفشل فى الوصول الى غرضى فى النهاية عند ذلك لن ألح فى التفصيل ، ولكن على العموم أن من واجبى أن أفسر الامر ٠ لقد شرد ذهنه وتردد فى أول مرة هل يسلمهم النتائج التى وصل اليها بنفسه ؟ ٠

أنه عالم ورجل قلم وقرطاس وأنه لمن حسن الحظ أن نستمع من المدعى العالم وهو يقول أنه ليس في مقدوره أن يعمل قنبلة ذرية ثم يسلمها الى الروس ـ أي لا يمكنه أن يسلمهم مثل هذا السر الخطير ، وفي ١٩٤٣ سلمهم معلومات كانت من حساباته هو ٠ انى لا أريد أن أعقد الامور فاذكر اصطلاحات طبية مطولة ، انه ليس مجنونا بل أنه عاقل ولكنه بشر ، وهذا هو ما أريد أن أفسره) ٠

ثم شرح (كورتيس بينيت) كيف أن (النقص) والتردد الذى في رأس (فوخس) قد ازداد حتى سلم الروس كل ما كان يعلم وأخيرا عندما كان عائدا الى انجلترا بطل هذا التردد ورجع الى حالته ٠ سلم الروس المعلومات في الاول لان روسيا كانت حليفة وبعد أن قامت الحرب وجد أنه من المنطق أن يواصل هذا التسليم لهم ثم قال :

(أن عالما فيمركزه ـ تعلم أو هو علم نفسه أو أدرك أن ا + ب = ج فاذا علم باكر أن ا − ب = ج فلن يصدق هذا ، ولكن المواطن العاقل أو السياسى الذى يعمل فى شئون هذا العالم سوف يوافق طبعا على النظريتين المتناقضتين في يومين متتاليين بل يجب أن يصدقهما لان هذا هو العالم ٠ ولكن تغيير السياسة الدولية ليس من شئون العلماء لان العلماء ليسوا دائما ذوى عقول سياسية بل أن عقولهم تسير في خطوط مستقيمة لا مرونة فيها وهى غير عقول غيرهم من الناس) ٠

وأخيرا قال (كورتيس بينيت) أن (فوخس) قد ندم وتاب الى رشده (فها أنتم ترون أن هذا الرجل منطقى ، وفى رأيي بعد أن صمم على أن يعترف بكل شيء فقد أقر فعلا بكل شيء ولو أن ذلك وضعه فى موضع سيء ووضع أدلة الاتهام ضد نفسه أمام المحكمة ٠ والمحكمة لم تستدل عليه بأى بينة ضده فى هذه القضية غير الاعترافات التى اعترف بها شفاها ثم كتابة للمستر (سكاردون) فى ديسمبر أو يناير الماضيين) ٠

لم تذكر أى قرائن أو شهادات أخرى وقال اللورد (جودارد) لفوخس أنه أدين فهل لديه ما يقوله ٠ ولكن فوخس لم يقل أى أقوال أخرى منذ أن قبض عليه ، وأخيرا قال :

(سيدى الرئيس ، لقد ارتكبت بعض جرائم فأرجو أن توجهوا الى الاتهام بها ، وانى متوقع السجن ، لقد ارتكبت بضعة جرائم أخرى وهى ليست جرائم فى أعين القانون بل أنها جرائم ضد أصدقائى ، ولكنى أريد أن أرضى ضميرى طوال مدة السجن وأكفر عن جرائمى الاخرى ٠

(انى أشكركم على حسن معاملتكم لى فى هذه المحاكمة كما أشكر هيئة الدفاع عنى • كذلك أود أن أشكر محافظ وهيئة سجن بركستون للمعاملة الطيبة التى أولونى اياها) •

وفيما يلى التلخيص الذى ذكره (اللورد جودارد) •

(فى ١٩٣٣ أنت هربت من الاضطهاد السياسى فى ألمانيا ونلت حق الالتجاء فنعمت بميزة الالتجاء التى كانت هذه الدولة دائما تفخر بأنها توليه الى الناس الذين اضطهدوا فى أوطانهم بسبب آرائهم السياسية • ولكنك خنت هذا الكرم والحماية اللتين قدمتهما الدولة لك بأفظع خيانة •

(ففي ١٩٤٢ منحت الجنسية البريطانية فى مقابل تعهدك بأن تخدم هذه الدولة كما منحت أعظم منحة علمية فى العلوم •ومن تلك اللحظة بدأت الخيانة بفضح الاسرار الهامة ـ حانثا بيمينك الذى أقسمته ـ وذلك بتشيعك بآراء سياسية مخالفة لآراء الاغلبية العظمى فى هذه الدولة وكان غرضك من ذلك هو تقوية هذا الاتجاه السياسى الذى تعرف أنه معادى لكل الدول التى تحب الحرية ،

(انى أرى أربع أمور هى أبشع عوامل فى جريمتك : فالامر الاول هو تصرفك الذى أعطاك حق الالتجاء الذى منحته الدولة لك فهل نجرؤ بعدذلك أن نستقبل لاجئين سياسيين قد يكونون منتمين الى مبادىء هدامة ولكنهم متسترون ثم يقومون بعد ذلك بالخيانة فيعضون اليد التى أطعمتهم ؟ •

والأمر الثانى لقد خنت ليس فقط النظريات والاختراعات التى فى ذهنك والتى كانت هذه الدولة تدفع لك ثمنها وتسهل لك حياة مريحة فى مقابل تعهدك بحفظ سرها ، بل أنك أيضا خنت أسرار الآخرين الذين يعملون فى ميدان العلم ليس فقط فى هذه الدولة بل وفى الولايات المتحدة أيضا ، وعلى ذلك تكون قد تسببت فى اثارة الشك المؤلم ضد هؤلاء الناس الذين عاملتهم كأصدقائك ولكنك كنت تخدعهم فوثقوا بك •

(والأمر الثالثهو أنك ربما تسببت فى احداث النفور بينهذه الدولة وبين الجمهورية الامريكية وهى الدولة المتحالفة مع جلالة الملك •

والأمر الرابع أنك قد تسببت فى ضرر بليغ لهذه الدولة وللولايات المتحدة وقد قمت بهذا الجرم وأنت فى كامل عقلك ـ كما هو واضح من

أقوالك ـ وكان الداعي هو لضمان مستقبلك السياسى ، اذا فرضنا أنك لم تأت بهذا الجرم من أجل المال ٠

واعترافاتك التى قرأناها تثبت لى عذر نقصك النفسانى وهو النقص الذى يقع فيه أمثالك ٠ فجرمك لا يقل عن الخيانة العظمى الا بأوهى مقدار ٠ ونحن فى هذه الدولة نطبق القانون تطبيقا حرفيا وبما أن الخيانة ليست هى الخيانة العظمى فلن نحكم عليك بجزاء تلك الجناية ٠

(والآن سأحكم بالجزاء القانونى ، وليس هذا الجزاء صارما لان الجزاء قد لا تكون له أهمية لرجل له عقليتك ٠

(ومن واجبى أن أحمى هـذه الدولة فكيف أضمن أن رجـلا له هذه العقلية التى قرأنا عنها فى هذه الاقوال التى قدمتها سوف لا يقوم بأعمال غريبة فى أى دقيقة ما وتدفعه الى خيانة الاسرار الحيوية جدا لهذه الدولة مرة أخرى ؟ ٠

(أن أقصى عقوبة قررها البرلمان لمثل هذه الجناية هى السـجن لمـدة اربعة عشر عاما وهى العقوبة التى حكمت بها عليك) (يوقع حكم الاعدام فى بريطانيا على الخيانة العظمى اذا سلم المتهم الاسرار للعدو ولكن فوخس سلمها لدولة صديقة) ٠

لم يبد (فوخس) أى حركة ولم يفه بكلمة عند سـماعه الحكم ولكنه غادر القفص فى هدوء ٠

لم يقم هذه المرة أى أحد بالاحتجاج على هذا الحكم كما فعلوا فى قضية (الان نان ماى) ، بل بالعكس كان هناك شعور بالرضاء بأن ما حدث فى هذه المحكمة كان فوق طاقة أى محكمة ٠

لم يكن الامر المحير هو فقط أمر المسجون (فوخس) أو العقل الشيوعى ذى التيارين المختلفين بل أن الامر هو الامن فى بريطانيا وهل كان مراعى أم لا ، والى أى مدى تخلخل هذا الامن ؟ وكم (فوخس) آخرون لا يزالون يرتعون فى معامل بريطانيا والولايات المتحـدة ، وكم كان من الممكن أن يسير أى خائن بين أسوار الامن فى انجلترا وأمريكا لعدة سنوات دون أن يكشفه أحد ؟ ٠

توالت الاحداث بسرعة وفى ٣ مارس ١٩٥٠ اجتمع رئيس الوزراء المستر (اتلى) بالسير (بيرسى سيليتو) رئيس المخابرات الحربية ـ المكتب الخامس ـ فى دوانيخ ستريت (رئاسة الوزراء) وأرسلت ملفات القضية الى المستر (ترومان) وادارة المباحث الجنائية فى الولايات المتحدة وأعلن المستر (ترومان) فى فبراير أن الولايات ألمتحدة سوف تحث على الاسراع فى صنع القنبلة الذرية ، وكان هذا هو مجهود الولايات المتحدة وحدها لان تبادل المعلومات عن الاسلحة الذرية قد تم بين بريطانيا وبينها ثم أوقف منذ الحرب ٠

وفى ٦ مارس أعلن المستر (اتلى) عن قضية (فوخس) فى مجلس العموم وسوف نأتى على تفصيله فى الصحائف التالية ٠

وفى ٧ مارس نشرت (وكالة تاس) بيانا (بأن الحكومة السوفييتية لا تعرف (فوخس) وأنه لا يوجد لها أى عميل متصل به) ـ وهذا الادعاء باطل وكذبة صبيانية ولا يدرى الانسان ما الداعى لاصداره ٠

وفى ١٠ مارس اجتمعت اللجنة المشتركة لمؤتمر الطاقة الذرية فى واشطون وقدمت لها الوثيقتان الحيويتان وهما الاعتراف الاول أمام (سكاردون) والاعتراف الفنى أمام (بيرين) ، وقد قال رئيس اللجنة أن أعضاءه صعقوا عند قراءتهما ٠ بعد ذلك بدىء فى اقتفاء أثر وسطاء (فوخس) فى أمريكا وأوروبا فسألوا (فوخس) فى سجنه بكل ذوق وأروه مئات الصور الفوتوغرافية ولكنه لم يتعرف على أحدهم كما أنه لم يعرف أسماء الذين اتصلوا به ، ثم أنه فى السنوات التى مضت نسى تماما

أشكالهم ٠ وعندما عرضت عليه صورة (هارى جولد) قال أنه لم يره فى حياته كلية ومع ذلك فقد ركز رجال المباحث الجنائية بأمريكا اهتمامهم به (جولد) فأرسلوا رجلين هما (هيوكليج وروبرت لامفير) ليسألوا فوخس فى انجلترا بعد أن عملوا تحريات دقيقة عن مئات من الاشخاص الذين يشتبهون فيهم فى الولايات المتحدة كما سألوا (كريستال) أخت فوخس وأخيرا فى ٢٢ مايو عندما اقتنعوا بأن (جولد) لابد أن يكون هو الوسيط المطلوب أتوا به ليعترف ٠ وكانت (الفلتة) التى أخطأ فيها هى الخريطة التى اشتراها من سنتافى كى يعرف الطريق الى محل الموعد مع (فوخس) فى ١٩٤٥ ٠ فعندما فتشت المباحث الجنائية شقته ووجدت الخريطة أخذ (جولد) وبهت وأسقط فى يده ٠

وللمصادفة أنه في بحر ساعة من وقت القبض على (جولد) جاء الخبر من انجلترا بأن (فوخس) تعرف على (جولد) أخيرا من بعض صـــور حديثة له ٠

وأمكن أن يؤخذ من (جولد) اعتراف منه عن (دافيد جرينجلاس ثم روزنبرج وزوجته) وغيرهم من حلقة الجاسوسية الامريكية ٠ أما فى انجلترا فعنـدما وقفوا الى معرفة وسـطائه تبين أن أغلبهم قد رحلوا الى ألمانيـا السوفيتية ٠ وكذلك فى نحو هذا الوقت تقريبا نفى شقيق (فوخس) الأكبر (جرهاردت) من سويسرا وذهب الى المنطقة السوفيتية حيث مات ٠

كذلك (فوخس) نقل من سجن بركستون الى (ويرموود سكربس) وكانت امتيازاته الخاصة باعتباره مسجونا تحت المحاكمة قد أوقفت والبس ملابس المسجونين ، وبعد ثلاثة أشهر أى فى ٢٧ يونيه أرسل آلى (ستافورد جول فى ستافورد شاير) وبقى فيها ٠

لم يقدم استئنافا كلية مع حقه فيه ولم يحاول طلب عرض قضيته من جديد ٠ فمع هذا العرض القصير فى المحاكم وسرعة تطبيق القانون كانت القضية نموذجا فى هذه الوجهة كما أنه اختفى بسرعة منصالة المحكمة قبل أن يشبع الجمهور نظره منه وبذلك ترك جوا كبيرا من سوء الفهم والتأمل ٠

وربما عجز (فوخس) نفســه عن وصف التفاعل الذى حدث له فى ذهنه عند القبض عليه ، عنـدما كسر شوكة غروره بنفســه أخيرا ٠ أن الذين رأوه فى السجن بعد ذلك مباشرة فوجئوا بتحسن مظهره ، وقد

قضى الشهر بين أول مرة ظهر فيها أمام (محكمة باوستريت) ويوم أن نفذ عليه الحكم فى (أولد بيلى) فى عزلة وهى حالة تنتاب الرجل عندما يدرك أن الحياة التى اعتادها لن تعود ثانية وانه قد يموت فى وقت قريب ٠ وفى سجون انجلترا لا يسمح كلية لامثاله بالاجتماع مع آخرين لتنـاول الطعام أو فى أى (شلة) أخرى ، وكان هو يعلم هذا ٠

وعندما قابله (سكاردون) بعد الاستماع اليه فى محكمة باوستريت لم يعلق بأى كلمة عن مسألة القبض عليه بل أنه فى الاسابيع القليلة التى كان ينتظر فيها المحاكمة أرسل الى (سكاردون) أكثر من مرة ليدلى اليه بمعلومات أخرى ولم يكن وقتذاك متأكدا من أنه سوف يعترف على وسطائه

من أفراد المخابرات الروسية ولم تكن لديه ذاكرة جيدة عن الوجوه والتواريخ والاماكن • ومع ذلك فقد بذل جهده فأمكنه أن يساعد الشرطة بكل ما يمكنه •

أن في ذلك تكفير عن الجرائم الاخرى ـ فمما يشك فيه أن فوخس قد اعترف بنفسه عن كل الضرر الذى أصاب المجتمع بسببه أكثر مما اعترف به الالمان بالجرم الذى ارتكبوه بأشعالهم نار الحرب العالمية الثانية • أما الجرائم الاخرى التى خان بها أصدقاءه وخداعه لهم فقد أنبه ضميره عليها تأنيبا كبيرا وقد كتب اليهم خطابات مطولة من سجنه (ولا يسمح فى انجلترا للمساجين بحيازة أقلام الحبر ولكنه اجتهد فى الحصول على سن ريشة من أسنان ريش السجن وكتب به على ورق خشن فكانت كتابات رديئة فقد كتبها بخط رفيع واستخدم أجرومية واصطلاحات مختصرة) ولا شك فى انها كانت خطابات تنم عن اخلاص وكشفت عن أنه صادق فى نواياه ، وقد قال أنه بدأ أخيرا ـ وبعد فوات الاوان ـ يفهم ما هى المودة • فعندما كان صبيا فى ألمانيا كان يصادق كثيرا مع الطلبة الآخرين لان ميولهم السياسية جميعا كانت متفقة مع ميوله ـ وليس لانه كان يحبهم أو يعجب بهم لشخصياتهم ، وهكذا كان أصدقاؤه هم العامل الذى أدى الى هذه النهاية ، وقد بدأ اليوم يدرك أنه كان مخطئا وانه كان قاسيا ، ولم يكن من السهل عليه وهو فى سن الثلاثين أن يعرف ما عرفه أغلب الناس الآخرين عندما كانوا فى سن السادسة عشر • ثم قال أنه يعلم اليوم أن أصدقاءه لن يحبوا أن يسمعوا أخباره بعد اليوم •

ومع ذلك فلم ينكره أصدقاؤه فقد صدموا يوم أن قبض عليه واصيبوا بذهول شديد • أما الذين أصابهم الضرر بالذات كالبروفيسور (بيرلس) وهم الذين كانوا أصلا مهاجرين من وجه ألمانيا النازية ، والذين استوطنوا انجلترا بعد نضال مرير عدة سنوات وقد عرفوا بأنهم رجال ذو وهمة وذكاء فذ • أما العلماء البارزون كالبروفيسور (بيرلس) فلم يضاروا كثيرا ولكن كان من المستحيل تحاشى الشعور بالريبة التى سببها (فوخس) عليهم جميعا • وكما ظن اللورد (جودارد) من ذا الذى يثق فى الاجانب الموجودين فى انجلترا بعد اليوم ؟ •

ومع ذلك ذهب (بيرلس) الى (فوخس) فى سجنه بعد أن سمع الخبر فى أول الامر ومباشرة ليرى كيف يمكنه أن يصلح الامور من أجل هارويل، ومن أجل العلماء ، ومن أجل بريطانيا ،ومن أجل فوخس ومن أجل كل فرد وكان هناك زائرون آخرون وكل منهم قد أوذى من ناحية ما بهذه الخيانة ـ

وربما كانت هذه المقابلات المؤلمة أهم تعزية لفوخس لانهم اثبتوا له أن فى العالم أناس يواسونه وقت المصيبة وأنهم لا يزالون يعتزون بصداقته كرباط حتى بعد أن اعتزلهم وغدر بهم • وجدوه مضطربا ومستعدا لان يتقبل منهم السب والتحقير • لم يفقد روحه المعنوية ولكنه فقد وسيلة الدفاع عن نفسه ، فقد كان متوقعا أمرا واحدا هو الجزاء لذلك لم يشك لاحد ما يجرى نحوه • زارته احدى صديقاته فى سجن بركستون قبل المحاكمة ، وكان لا يزال فى تلك المرحلة يلبس ملابسه الخاصة وبامكانه أن يشترى السجاير ويتقبل الهدايا لذلك قد ارتاعت ولم تصدق أن يحكم عليه بالسجن كلية فسألته (أين تنام ، وماذا سوف تأكل ، ما صنفه ؟) فأجابها (لا بأس يا عزيزتى ، كان لابد لى أن أموت ألف مرة ومع ذلك فلا بأس) •

وبعد المحاكمة استمر يكتب لاصدقائه عندما وجد أنهم لم ينفروا منه وقال أنه شعر بأن (اللورد جودارد) قد أسمعه ما كان لابد له من سماعه وأن (كورتيس بينيث) وغيره قد تحدثوا اليه كثيرا عن العنجهية التى ملكته ولكن هل لا يوجد شىء بين الضعة والعنجهية ؟ الا يوجد شىء من احترام النفس يأمل فيه الآن بعد ما حدث ؟ يمكن لاى تلميذ أن يفيد (كلاوس فوخس) كثيرا عن موضوع احترام النفس والعنجهية ولكنه ليس أمرا يقال أو يدرس بسهولة ، كما رأى (فوخس) بنفسه وهو فى سن الثامنة والثلاثين ، بل أن الدراسة مستحيلة اذا بقى الشخص ثابت العقيدة بأن رغبته هى قانون وأن وعيه وحده يجب أن يكون مرشده مهما كان الضرر الذى سيلحقه الشخص بشخص آخر ، فقانون (فوخس) لا يقر بالحقيقة التى مؤداها أنه قد يكون وعى الشخص أو ضميره براقا ولكنه مع ذلك يخطىء فلا يعرف الخطأ من الصواب • لقد نجح فى خلط فلسفته (بولونيوس) التى تقول بأنك اذا كنت صادقا مع نفسك فانك دائما (ليلا أو نهارا) لن يمكنك أن تكون كاذبا مع أى رجل آخر) أما (فوخس) ففى اعتقاده أنه كان صادقا مع نفسه وانه انتهى من هذا الانغماس الطويل المدى فى الكذب • لقد خلق لنفسه حياة مليئة بالشكوك وكانت عبارة عن حياتين مختلفتين اختلافا بينا ومتناقضتين لقد كان من المستحيل أن يكون صادقا أمام نفسه فقد كانت له نفسان (شخصيتان) كل منهما ضد الاخرى ، فسقط الحق بين هاتين الشخصيتين ولا نزال نعجب هل ينجح (فوخس) فى تخليق (الحق) ثانية ؟ كلما ازددنا تأملا فى هذا الامر كلما ازداد الامر غموضا ولم نعرف هل تفيد ارادته المتحررة وتصبح عزيمته حرة •

اذا أردنا معرفة عقلية فوخس ، فلنقرأ (لنتعجب) اعترافات الدكتور (هنرى جايكل) في رواية روبرت لويس ستيفنسون (الدكتور جايكل والمستر هايد) لانها تعطينا تشابها عجيبا بينها وبين اعترافات فوخس. فالدكتور جايكل يقول (حدث انى أخفيت متعاتى وعندما وصلت الى سنين من الانعكاسات وبدأت أنظر فيما حولى لانال محصولا من نجاحى فى مركز لى فى هذا العالم وقفت فقد وقعت فى هوة عميقة من هذه الحياة . أن هناك رجالا كثيرين قد ارتكبوا نفس هذه الامور التى اتهمت بها ، ولكنى عندما نظرت اليها من ناحية اسمى أنكرتها وأخفيتها مع استحياء شديدفقد كانت اذن طبيعتى الحقيقية (الطموح) أكثر منهـا أى نقيصـة أخرى هى التى جعلتنى ذاك الشخص .

وقامت فى نفسى الانفعـالات الداخليـة التى تقسـم الرجل المزدوج الشخصية فتوفقه الى عمل الخير أو توقعه فى عمل الشر وبقوة أشد من أى رجل عادى آخر .

ولو أنى كنت متعمقا فى الشخصية المزدوجة الا أنى لم أكن متصنعا أبدا فقد كانت الطبيعتان فى خمود ميت ، ولم أكن أنا نفس الشخص عندما أفقد قوتى فى ضبط النفس وانغمس فى الفضيحة هو بعينه عندما أعمل فى وضح النهار وأنا بكامل وعيى أو عندما أشـعر بوخز الضمير والاسى والألم) .

قد تكون مثل هذه الآراء من القرائن التى استشهدت بها هيئة الدفاع عن فوخس لتثبت بها أن لكل رجل شـخصيتان وأن طبيعة الاجرام فى فوخس هى أنه قد مارس الشخصية الثانية فى ناحية الخيانة وبذلك انتهى أمره الى هذا المأزق الخطير ، ولا عجب اذن أنه بعد المحاكمة وبعد أن أمضى الأسابيع فى سجنه بدأ يبحث عن وسيلة ليخرج بها من ذهوله هذا فأخذ يدرس الفلسفة . قرأ الكثير من كتب الفلسفة مثله كمثل التلميذ الصغير عندما يستوعب كتاب روبيسون كروسو (وهى قصة رجل غرقت السفينة التى كان عليها ووجد نفسه وحيدا فى جزيرة يبتدع لنفسه وسائل حياته من الاشياء البدائية الموجودة فى الجزيرة وهى قصة مسلية Robinson Crusoe) بدأ يفكر فى أول الامر هل أحدثت اعترافاته أى أثر لجهة ما خلاف م ح ـ ٥ (المخابرات الحربية ـ المكتب الخامس) لقد تسـببت هذه الاعترافات فى هدم كيان مستقبله والاساءة الى علاقته مع أصدقائه ولـم يستعوض عن كل هذا بشىء . بعث يطلب كتاب فلسفة (كانت) وكتبا

كثيرة لفلاسفة آخرين يونان وألمان وفرنسيين وانجليز · قرأها باهتمام مصبوب في قالب ديني وبكثرة وهي أولى دراسات قرأها بعد أن قرأ (كارل ماركس) وهو طالب فأثر ذلك في حياته تأثيرا كبيرا ولو أنه لم يكن غير متوقع · أخذ يربط بين الفلسفة مع علم الطبيعة الذرية وخاصة فلسفة كنت ·

قرأ أيضا (ديكنز) وكتب في خطاب منه لاحد أصدقائه أنه قد انتكس عندما قرأ افتتاحية (قصة المدينتين A Tale of two cities) فهذه المقدمة تشرح المتناقضات العنيفة في الحياة في عام ١٧٧٥ ولابد أنها كانت تطبق أحوال الانفصام العقلي تطبيقا قويا فقد قرأ فيها (كانت أفضل أوقات بل كانت أسوأ أوقات ، كانت سن الحكمة كما كانت سن الجنون ، انها كانت حقبة العقيدة ثم أنها كانت حقبة الريبة ، كانت منتهى النور وفي نفس الوقت كانت منتهى الظلام ، كانت ربيع الامل كما كانت شتاء اليأس ، كان معنا كل شيء وكنا نفتقد معها كل شيء كنا جميعا ذاهبين مباشرة الى السماء كما كنا ذاهبين مباشرة الى الناحية الاخرى ــ وبالاختصار كان هذا الزمن مثل الزمن الحالي حتى أن بعض المسئولين صمموا على الحياة فيه بما فيه من خير ومن شر في أقصى درجة من النقيضين) ·

فالعالم الذي فيه كل شيء اما أسود واما أبيض ولا وسط بينهما ولا نهاية لاي شيء · هذا هو العالم في ١٩٥٠ ·

وفي ظلام السجن بدأ فوخس ينظم الشعر باللغة الانجليزية وفي اجادة وكتب كثيرا فيه وأرسل ما كتب الى أصدقائه ·

أما عن قضيته فكتب قليلا ثم أقل وأقل فليس عنده ما يقوله عنها · أما ما كتبه الى (هنري أرنولد) ضابط الامن في هارويل فكان : لا تلم نفسك لاني خدعتك بل لك أن تلوم ستالين ولينين وماركس وجميع الشيوعيين الآخرين · كنت أشعر بروح المودة في هارويل وكنت بدأت فعلا أغير آرائي لاني كنت أرى الاساس القوي المتين للانجليز وطريقة حياتهم السليمة وكنت سآتي اليك مهما حدث واقص عليك ماذا فعلت ·

من المحتمل أن يكون في هذا بعض الصدق لان فوخس يكن بكثير من الاحترام (لارنولد) وكانت العلاقة بين الرجلين مثلا عظيما للدراسة في شئون مقاومة الجاسوسية · فارنولد كانت عنده من أول يوم عقيدة عن

(فوخس) ولكنها لم ترق الى الشك فيه بل غاية الامن أنه شعر بأنه اذا كان هناك فرد ما فى هارويل يخون أسرار الدولة فالاشتباه عن (فوخس)
كان هناك فرد ما فى هارويل يخون أسرار الدولة فالاشتباه فى (فوخس)
وفى أول الامر لم يتجاوب معه تماما فكان (أرنولد) هو الذى أخذ يتصل به فى كل مرة ثم قليلا فقليلا بدأ فوخس يستجيب الى هذه الصداقة · وفى ١٩٤٩ كانت الالفة بين الاثنين قد ازدادت وكانت هذه الالفة من النوع الذى أحسن ما يطلق عليها ـ الثقة ـ بين خصمين يريان أنهما يخدعان بعضهما · ومثل هذه العلاقات يمكن أن تكون أكثر صفاء اذا كانت مؤسسة على احساسات عاطفية فيصبح العدو العادى أخيرا موثوقا به أكثر من الصديق العاطفى ·

وجد فوخس نفسه فى ١٩٥٠ فى مركز لا أمل فيه لانه فى ذاك الوقت عزم على ترك هذا النضال : أراد أن يستجيب الى صداقة (أرنولد) بكل قلبه وينحاز الى جانبه ولكنه لم يتمكن من أن يفاتح صديقه بالاعمال التى ارتكبها · هذه هى النقطة التى وصل اليها (أرنولد) فقد مهد لفوخس كى يدلى بأقواله واعترافاته ثم سلمه الى (سكاردون) ، ولا شك أن (فوخس) وجد أن الاسهل عليه كثيرا أن يعترف لرجل غريب لم يخدعه قبل اليوم ولمدة طويلة جدا كما خدع (أرنولد) ·

والآن وقد انتهى كل شىء (وفقع الدمل) أدرك فوخس أن (أرنولد) لا يحمل له حقدا فارنولد هو الذى سوى شئون (فوخس) الخاصة فى هارويل وباع له عربته الصالون الرمادية (التى كان قد اشتراها من البروفيسور سكينار) واختزن له عفشه وملابسه وكتبه فى المنزل ١٧ ثم سوى ديون فوخس وأودع له باسمه نحو ٤٠٠ جنيها كانت باقية لحسابه· بقى شىء واحد لم يتمكن (أرنولد) من أن يبيعه أو يحفظه وهى بدلة السجن ذات العلامة فى ظهرها وكان (فوخس) قد لبسها عندما كان تحت التحفظ فى كندا واحتفظ بها مدة ثلاث سنوات فى شنطة تحت سريره فكتب (أرنولد) لفوخس وهو فى سجنه يقول له أنه عزم على حرقها فوافق (فوخس) فقد رأى أنها احدى ذكريات الماضى الاليم فلتذهب بذكرياتها ·

رجعت قضية (فوخس) الى مسامع الجمهور مرة أخرى فى ديسمبر ١٩٥٠ عندما اجتمعت لجنة الحرمان من الجنسية للنظر فى أمر حرمانه أمام اللجنة ليمارس حقه فى ابداء رأيه كما لم يمثله أحد أمامها ولكنه أرسل اليها خطابا قال فيه أنه أصبح واضحا وبلا شك لمن هو ولاؤة اليوم ، فاذا

حرم من جنسيته البريطانية كعقاب له فليس لديه ما يقوله علما بأنه يقضى اقصى العقوبة على جرمه • ولكنه لا يظن أن هذا الحرمان هو عقاب آخر له ولا يمكنه أن يطلب الى وزير الدولة أن يقبل منه شخصيا ضمانا لولائه ولكنه طلب أخذ رأى المخابرات ـ المكتب الخامس والمدعى العام ، فقد اعترف بمطلق حريته بعد أن طلب اليه السير (جون كوك كروفت) أن يستقيل من هارويل بل أنه احتفظ به كمستشار له • لقد تعاون باخلاص مع المخابرات (المكتب الخامس) وادارة المباحث الجنائية بعد القبض عليه مباشرة ولم يقم بهذا على أثر تهديد أو وعد وعد به •

أراد فوخس بكل قلبه أن يحتفظ بجنسيته البريطانية فقد أصبح جليا أن ولاءه كان أخيرا لانجلترا فقط ، فعدم الثقة به الآن لا محل لها وهى غير الحقيقة • ومع ذلك لما سمع بأن أولى الشأن كانوا مضطرين بموجب القانون لان يحرموه من الجنسية البريطانية لم يلح في الامر ولكنه تضايق جدا وأخيرا صدر الامر ونشر فى غازتية لندن فى فبراير ١٩٥١ بهذا الحرمان •

كانت هناك اتصالات أخرى لفوخس من داخل السجن الى العالم فى خارجه ، فبين وقت وآخر كان يكتب تقارير عن بحوث كلف بها عن الطاقة الذرية ، وهناك أمر آخر ففى سجن ستافورد اشتهر (فوخس) بين زملائه المساجين بأنه يختلف عنهم بالنسبة للامتيازات والمعاملة الخاصة التى تمنح له • فهو يقوم بحياكة شنط البريد من القماش ثم يراسل أصدقاءه وقد قلت هذه المراسلات تدريجيا فاخذ يكتب هذه الخطابات عندما يسبح فىعالم لاحرية فيه حيث قد ضيق على شعوره وضميره بقضبان من الحديد • أحبه زملاؤه المساجين ، أما الذين غادروا السجن فتحدثوا عن هدوئه وعن كرمه معهم فى توزيع السجائر ، واذا حصل على تخفيض مدة السجن لحسن سلوكه ـ وهو المحتمل ـ فسيفرج عنه فى ١٩٦٠ •

والأمر العجيب أن جميع الناس تقريبا الذين اتصلوا بفوخس لاول مرة فى مدة القبض عليه ومحاكمته شعروا بالجاذبية اليه ولم يعتبروه معتوها سياسيا ولا (أو نطجى) أو مجرما فوضويا ولو أنه بالفعل قد يصح أن تطلق عليه كل هذه الصفات ، بل وجدوا أنه رجل عاقل • والذين لم يعرفوا عمله كعالم فيزيقى لا يزالون يحترمونه لذكائه الوقاد فى الامور الاخرى والبعض أحبه حبا شديدا • ومن الجائز جدا وجود بعض الفضائل فى الرجل البائس فلا موجب بعد اليوم للحقد عليه ، فنابليون

وهو منفي في جزيرة البا كان محل عطف أكثر منه عندما كان في استرليتز .
لم يكن (فوخس) ثقيل الدم أو مغرورا ولا جبانا الا أنه كان في حاجة الى نوع خاص من الشجاعة ليرشدنا عن جميع وسطائه فنقبض عليهم جميعا كما قبضنا على (نان ماى) . قد فكر في الانتحار في نفس الوقت الذى بدأنا التحقيق معه فيه ، ولكن هناك كثير من الظروف يصعب على الانسان فيها نبذ فكرة الانتحار أكثر من التصميم عليها ، وقد كانت هذه هى حالة (فوخس) . لقد كان فوخس دائما يحكم عقله لا عواطفه . ونحن نوافقه عندما يقول أنه أدرك أن الانتحار لا يحل أى مشكلة بالمرة لا مشكلته هو ولا مشكلة زملائه في هارويل ولا أى شخص آخر ولو أنه أمر لا بأس به من الوجهة السياسية .

وفى طيلة أيام المحاكمة وبعدها بمدة طويلة ، اهتم الناس بمشكلات (فوخس) عن حياته الخاصة وماذا سيكون حاله بعد أن قبض عليه فاثار بذلك تكهنات كثيرة بينهم ، ورأى الكثيرون أن الخيانة أصبحت أمرا أقرب لحياة الناس العاديين أكثر مما كانت من قبل ، أو كما قالت (ربيكاوست) بالنص (لقد فتحت ثغرة كبيرة فى السور فمن ذا الذى سوف نثق فيه بعد ذلك ثقة تامة ؟ أو بكلمات أخرى لقد ارتكب (فوخس) جريمة لن ينساها له المجتمع وقد اضطر المجتمع لأن يفقد ثقته فيه ولذلك كرهه) .



الدكتور برونو بونتكورفو

الباب الثاني عشر

أثارت قضية فوخس اضطرابا فى الجامعات والمعامل فى كل بريطانيا، فان كثيرين من العلماء يعرفون المتهم ومنهم الكثيرون ولدوا أجانب وكانت لهم عقائد يسارية فى وقت من الاوقات ومن بين هؤلاء موجودون فى هارويل أيضا منهم الدكتور (برونو بونتكورفو) وقد تقدم الى ضابط الامن (هنرى أرنولد) فى فبراير ١٩٥٠ بينما كانت قضية فوخس لا تزال فى مجراها ٠

فمن بين اجراءات الامن الروتينية فى هارويل أن أرسل الى بونتكورفو كشف يحتوى على بيانات خاصة بعائلته ـ أسمائهم وجنسياتهم وهكذا ٠ طلب (بونتكورفو) من (أرنولد) أن يتحدث معه على انفراد بخصوص هذه الاسئلة ، وعندما تقابل معه وفى أثناء الحديث أفاده بأن له شقيقا أصغر منه اسمه (جلبرتو) وهو شيوعى ٠ وليس لجبرتو هذا أى اتصال كلية بهارويل أو بالعالم بل كان مواطنا ايطاليا ولا يزال يعيش فى ايطاليا وقال بونتكورفو أنه ارتأى من واجبه اخطار رجال الامن بأمر هذا الأخ ٠

كان بونتكورفو ذا شخصية معروفة فى هارويل فقد وصل اليها منذ أقل من ثمانية عشر شهرا ثم عين فى مركز أقدم الموظفين الفنيين ولكنه فى ذاك الوقت كون لنفسه شخصية من الطف وأمرح الشخصيات فى المحطة٠ وكقاعدة عامة ليس علماء الذرة ـ بصفة خاصة ـ خفيفى الظل كلية ولكن (بونتكورفو) كان أبرزهم ، لهذا السبب فقد كان دائما مرحا وأطلق عليه زملاؤه القدامى (شبيه رامون نافارو) ٠ وهو أسمر متوسط الطول حسن المنظر له طبائع حيوية لطيفة ٠ لقد كان مرحا وبذلك أمكنه أن يتصادق مع الآخرين بسهولة ، وأحيانا ما تشبب بالنساء فى حفلات الشرب ، كذلك كان محدثا بارعا ٠ كان مفلسا وذلك بسبب كرمه الزائد واهماله فى التحفظ على نقوده وقال مرة أنه لم يحص قط نقوده التى فى الدرج ولذلك لا يبالى اذا كانت تسرق منه أو تبقى ٠ لقد عرف فى كل مكان من هارويل باسم (مونتى أوبرونو) ٠

والمهم فى الامر هو أنه عندما قبض على (نان ماى) و (فوخس) ودهش أصدقاؤهما فى أول الامر ثم استرجعوا ماضيهما تذكروا أمورا صغيرة كثيرة من الامور الغريبة فى أخلاقهما وفى النهاية اتفق الجميع على أنه من المحتمل جدا أنهما كانا بالفعل خائنين • ولكن فى حالة بونتكورفو لم يتنبه الناس الى أى شيء فقد استغفلهم استغفالا تاما • لقد كان بسيطا فى حركاته غير متكلف فيها فقد كانت كل حركاته ذهابا وايابا معروفة جدا للجميع سنوات عديدة ولم يرتب أصدقاؤه يوما فيه عندما كان يغيب عن نظرهم فقد كانوا يعرفون أنه اذا كان جاسوسا فلابد أن يتخفى ولكن هذا الشخص كان ماهرا ولم يروا فيه الا رجلا نشطا • وهم يرون الآن أن بونتكورفو لا يمكن أن يكون يوما جاسوسا ، واذا صدقنا هذا فلابد أن نصدق بالمثل أن (اينشتاين) كان سفاح أطفال متخفيا أو أن (ستالين) كان فى الحقيقة سيدا محترما (جنتلمان) يصيد الثعالب فى البرارى •

كان معروفا بكسله وحماسه وعدم تحمله مسئوليات أحيانا وقبل كل هذا اشتهر بلعب التنس الذى برع فيه كثيرا واشتهر باقتحامه الشبكة فى أثناء اللعب • وكان المعروف أنه فاز مرة ببطولة الفردى بايطاليا وقبل الحرب لعب ومعه أحد اخوته مع الملك (جوستاف) ملك السويد فى الريفيرا • وعرف عنه أيضا حبه للسواقة • وبعد وصوله الى هارويل مباشرة اشترى عربة جديدة (استاندارد فانجارد) وعمل بها رحلة فى كل بركشاير وحياه الناس أينما سار •

لم يشك أحد فى مقدرة بونتكورفو على خلق الجو المرح اللطيف كما كان كذلك محترما لانه عالم قدير وأحيانا كان أقدر من (فوخس) فى بعض النواحى فقد كان مخ فوخس آليا ــ فهو آلة دقيقة يمكنها أن تقوم بحسابات دقيقة دون خطأ ولكنه لم يفكر قط فى أن يأتى باكتشاف جديد فى علم الطبيعة • أما (بونتكورفو) فقد كان هناك شعور بأنه جاء ليخترع شيئا جديدا فى كل يوم • يقول الروس عادة أن فلانا هذا (لايمكن أن يخترع قردا) فالفرق بين (فوخس وبونتكورفو) هى أن فوخس لا يمكن أن يصبح مخترعا لقرد فى يوم من الايام بينما أن (بونتكورفو) يمكن أن يكون ذاك المخترع يوما ما • وفعلا حدث فى ١٩٣٥ عندما كان بونتكورفو فى الثانية والعشرين من عمره أن وقع باسمه هو وخمسة من العلماء الايطاليين الآخرين على وثيقة ظهرتضمن اجراءات الجمعية الملكية بلندن وكان عنوانها (حركة الراديو الغير طبيعية التى تحدثها القنابل النووية) وبقوة هذه

الوثيقة والعملية التى كشفت عنها أمكن لهؤلاء الستة أفراد المكتشفين أن يطالبوا الولايات المتحدة بعشرة ملايين دولارا فى مقابل استخدامها اكتشافاتهم فى أثناء الحرب وما بعدها كما أعطى لهم امتياز الاختراع فى ١٩٤٠ واذا ما نجحت القضية الحالية فسوف يصبح بونتكورفو مستحقا قانونا لنصيبه فى العشرة ملايين دولارا ٠

يبلغ علماء الطبيعة قوتهم فى سن الثلاثين ثم بعدها يذبلون ٠ ولكن فى يناير ١٩٤٩ عندما وصل (بونتكورفو) الى هارويل لاول مرة كان قد بلغ السادسة والثلاثين وكانت له تقارير عظيمة ٠

ولكن كان فى ماضى هذا الرجل اللامع المحبوب حادث واحد وهو بخصوص زوجته (مريان) فنادرا ـ بل لم يحدث ـ أن حضرت حفلة كوكتيل (شرب) أو تنس بل كانت تظل فى المنزل مع أطفالها الثلاثة (جيل وتيتو وانطونيو) وكانت هى تقوم بكل أمور المطبخ والسوق وشئون المنزل العائلية ، وليس لديها خدم ما أو مربية ولو أن (بونتكورفو) ينال فوق مرتبه وهو يبلغ ١٫٣٠٠ جنيها سنويا معونة أخرى من وقت لآخر ٠ ولم يحدث أنهما استضافا أحدا الا بعض أقاربهما فى بعض الاحيان ٠ وقد كانا فى حزبين صغيرين طوال مدة اقامتهما فى هارويل وقد تعجب الضيوف من هذا الجو السقيم فى هذا المنزل ٠ أغلب أرضية المنزل غير مفروشة بالسجاجيد وسريرهما سفرى وعندهما كرسى هزاز وكرسى هولندى فى غرفة الجلوس ولهما غرفة نوم واحدة مفروشة بفراش لا بأس به ، وفى المطبخ آلة غسيل الاوانى وكان ذلك أمرا عجيبا ذلك لغلو ثمنها فهى رمز التبذير فى هذا المنزل ٠

(لماريان بونتكورفو) أصدقاء قليلون جدا واذا حدث أن قابلت عائلات أخرى فى هارويل كانت تخجل جدا لدرجة جافية ، هذا مع جمال وجهها فلها شعر أشقر لامع ووجه مستدير كوجه أهل الشمال (اسكاندناوه) وعيون واسعة وفم دقيق وجسم صبى (أى مستقيم) ٠ وفى مظهرها كانت تبدو كأنها فتاة من أهل الريف فى بلاد الشمال ولا يشك الانسان فى أنها ترغب فى حضور اجتماعات الشرب والتنس ٠

ولا غرابة فى أن (ماريان) تخجل بشدة فهى تحب زوجها حب العبادة وتفضل أن تبقى معه ومع أطفالها عن أن تذهب الى أى جهة أخرى ٠ ولكن فى هارويل أناسا عرفوا (بونتكورفو) فى كندا فى أثناء الحرب وعندما

وصلت العائلة الى انجلترا فى ١٩٤٩ فوجئت بالتغيير الذى طرأ عليهم فقد ظهر على (بونتكورفو) كبر السن بسرعة غريبة وتطور خجل (ماريان) الى درجة جذابة ، فقد كانت دائما كأنها خائفة أما اليوم فهى شىء آخر ٠

ومع ذلك فكل هذا لم يكن له أهمية ما فى هارويل ، بل اعتبرت هذه العائلة كأنهـا أمرا مبهمـا بينهم ، وعرف أن (ماريان) ســويدية وأن (بونتكورفو) ايطالى وللاخير أخوة وشقيقات كثيرون ٠

كان (بونتكورفو) ضعيفا فى الامور السياسية ولا يجيد التحدث فيها فهو لا يعرف عنها شيئا ٠ وهو مثل (فوخس) الذى يعرفه معرفة بسيطة وهو نادرا ما تحدث اليه (فقـد كانت درجة (فوخس) أعلا جـدا من بونتكورفو كما كان هذا مكبا على عمله ٠ والنقطة الوحيدة الاخرى التى لاحظها زملاؤه فيها هى أنه بارع جدا فى عمله وقد حضر الى هارويل قبل أن يصل الى كراسى الجامعة فى ايطاليا وأمريكا وغيرها ٠ وفى ربيع ١٩٥٠ عندما حضر ليقابل (أرنولد) ليدلى اليه بالمعلومات عن أخيه الشيوعى كان يسعى الى وظيفة فى جامعة ليفربول حيث كان (البروفيسور سكينار) موجودا ٠

ولما كان فوخس ألمانى الاصل لم يعن ذلك أن كل عالم أجنبى المولد فى هارويل أصبح مشتبها فيه بل كان واجب (ارنولد) وجماعة الامن هـو دراسة كل حالة على حدتها ٠ وفى حالة (بونتكورفو) لم يكن هناك ما يثير الشك عنه فهو لم يشتغل بأمور سرية منذ مدة طويلة كما لم يشترك فى التجارب السرية فى هارويل ولو أنه أطلع على بعض الآوراق السرية ٠ وبما أن بونتكورفو له أخ شيوعى كان لابدمن الحذر ولكن لم يثبت شىء ٠ ليست معه بطاقة شخصية عسكرية ولذلك لم تتمكن ادارة الامن البريطانية من ارسال رجالها فى طول أوروبا للتحرى عن تواريخ العائلات لكل العملاء المســتخدمين فى الحكومة ومع ذلك فقـد أمكنهم أن يطلعوا على تقــارير (بونتكورفو) مرة ثانية فاتضحت لهم مصادر جديدة للمعلومات عنه وفى النهاية تبين لهم أن بلايا هتلر وموســولينى لا تزال موجودة فى ١٩٥٠ وما بعدها ٠

ولد (بونتكورفو) فى بيزا فى ٢٢ أغسطس ١٩١٣ وهو مثل (فوخس) شب فى أيام الحرب وعدم الاستقرار وفى مدينة ريفية ٠

ـ كانت عائلته بين أكثر الناس ذكاءا في المجتمع ، وهو كذلك مثل (فوخس) وجد أن عائلته نبذها المجتمع وحطمها بسبب القوانين انفاشستية • فالمثلان متشابهان الا أننا نتوقع بالطبع أن تجرى الامور في ايطاليا بصورة أخف عما تجرى في ألمانيا لذلك كانت قصة (بونتكورفو) أقل وبوسائل أكثر رحمة وانسانية عن مأساة (فوخس) •

والده (مسيمو بونتكورفو) ولد في الحقبة الثامنة من القرن الماضي وأمه (ماريا) وكلاهما يهوديان وكان (ماسيمو) يقوم بتجارة الاقمشة وازدهرت تجارته يوما ما ،وأمكنه أن يقوم بتعليم عائلته في مستوى العائلة الايطالية العادية • كان له ثماني أطفال و (برونو) هو الثالث منهم • ولابد من التحدث عن جميع هؤلاء الاطفال لان لكل منهم ناحية في قصة (برونو) • لقد بقوا جميعهم في منزل بيزا وهو منزل من دورين خلف سور الحديقة الموجودة حول برج بيزا المائل ، وقد استمروا في ملاحقة بعضهم البعض في المدارس والجامعة حتى ١٩٣٨ ثم قامت الحرب وقد تحالف (موسوليني مع هتلر) لذلك اضطر للقيام بحملته على اليهود • بدأ عمل (مسيمو) يتدهور وبذلك تشتتت الاسرة • ونرى الآن أنها أحسن فرصة لنتحدث عن الاولاد ، وسنقسمهم الى فريقين ــ الفريق الذى هاجر شمالا الى انجلترا والفريق الآخر الذى تشتت في بقاع أخرى من الأرض •

(جيدو Guido) وهو أكبر الاولاد وقاد أخوته الى انجلترا وكان عمره حينذاك اثنين وثلاثين عاما والمعروف أنه ممتاز في علم الاحياء ومتخصص في علم الانساب (الوراثة) • سكن في اسكتلندا وأصبح مواطنا بريطانيا بعد الحرب بمدة قصيرة وهو الآن عضو ممتاز في هيئة جامعة جلاسجو • وفي ١٩٣٩ عندما كانت الامور لا تزال معقدة في وجه عائلته في بيزا انضم اليه أصغر اخوته واثنتان من الاخوات البنات• والاخ الأصغر هو (جيوفاني دافيد) وكان سنه ثلاثة عشر عاما عندما وصل الى بريطانيا وقد انتهى من حياته المدرسية في وورسستر وتخصص في العلوم الزراعية وتزوج من فتاة انجليزية وأصبح مواطنا بريطانيا في ١٩٤٨ • وهو يعمل اليوم خبيرا زراعيا في انجلترا •

أما الأختان فالاولى (انا Anna) وكانت في الخامسة عشر عندما جاءت الى انجلترا وأدرجت في كشوف المهاجرين ولا تزال في انجلترا حتى اليوم ولكن لا تزال جنسيتها ايطالية • تعلمت في (تنبريدج ويلز) وغيرها في

جنوب انجلترا حتى بعد قيام الحرب مباشرة ثم ذهبت الى جلاسجو حيث نالت درجتها (أستاذفي الفنون) بدرجة الشرف الثانية و (أنا بونتكورفو) متمكنة من اللغات الاجنبية ولذلك أحبت مهنة التدريس وهي اليوم مدرسة في انجلترا ٠

والثانية (لورا Laura) وهي أكبر سنا من أختها أنا ومواطنة بريطانية وقد درست هي الاخرى في بريطانيا أولا في برمنجهام ثم في أدنبرة حيث عاشت مع أخيها (جيدو) فترة ٠ وفي أوائل الحرب عملت ممرضة تحت التمرين في مستشفى لندن ومستشفيات أخريات حتى عينت ممرضة أولى ٠ وفي فبراير ١٩٥٠ الحقت ضمن هيئة مستشفى (نيواند) في هامبستد وبعد سبعة أشهر أي بعد اختفاء (برونو) بشهر واحد غادرت انجلترا هي الاخرى ولم ترجع ثانية ٠ وكان عزمها عندما غادرت بريطانيا أن تعمل في ايطاليا في جمعية الرعاية والترفيه عن الاطفال فذهبت في أول الامر الى روما حيث زارت أختا أخرى لها ثم بقيت معها كما هو معروف لنا ٠

هؤلاء هم الاربعة الذين كانوا فريق بريطانيا : (جيدو) أستاذ في علم الحيوان ، (جيوفاني دافيد) الزراعي ، (أنا) المدرسة و (لورا) الممرضة ٠ وجميعهم في غاية من الذكاء وهم جميعا تقابلوا مع برونو عندما كان في انجلترا وكانوا جميعا عصبة في الالفة بينهم كما هو الحال في أي عائلة ايطالية الا أنا لم نجد ما يوجب أن نشك في ولائهم لبريطانيا بأي حال ولا يعرف أحدهم سر اختفاء أخيهم (برونو) ٠

بقي الآن أن نتحدث عن الاربعة أخوة الآخرين الذين لم يلجأوا الى انجلترا ٠ وهم : (برونو) وسنتحدث عنه فيما بعد ، و (بول) وقد ذهب الى الولايات المتحدة وهو مواطن أمريكي وموظف في بحوث الرادار وأقل الناس اهتماما بهذه القصة ثم (جلبرتو) وعمره اثنان وثلاثين عاما وأخيرا (جيليانا) وهي أكبر قليلا من (برونو) والاخيران (جلبرتو) و (جيليانا) لهما دور متوسط في هذه الاحداث ٠

عاش (جلبرتو بونتكورفو) طيلة حياته في ظروف شبه معقدة فقد كان عمره عشرين عاما عندما اندلعت نيران الحرب وكانت له نشوة خاصة ونشاط في حركاته منذ ذاك الوقت ٠ دخل فرنسا في ١٩٣٩ ، وبما أنه كان قد درس العلوم في بيزا فقد عمل في الحال في الصحافة اليسارية

المتطرفة . ويبدو أنه لم يرتدع بوصول النازيين الى باريس لانه استمر يعمل سرا مع المنظمات السرية المضادة للنازية . ولا شك أنه تمكن من التجوال بحرية لانه كان مواطنا ايطاليا أى حليفا لالمانيا . وفى ١٩٤١ عين عضوا فى منظمة سرية معروفة اسمها (مركز مقاومة الفاشستية) وكانت وظيفته هى الاتصال بين فرنسا وايطاليا . وفى نهاية ١٩٤٣ كان هو المتعهد بالصحافة السرية الايطالية .وعندما كانت ألمانيا رابضة فوق صدر فرنسا سافر الى ايطاليا مرارا وكانت رئاسته فى شقة فى سنت تروبى فى جنوب فرنسا . وعندما حررت فرنسا رجع الى ايطاليا وظهر على حقيقته وقد أصبح سكرتير جماعة الشبيبة الايطالية وانشأ صحيفة فى ميلانوهى (الحياة الافضل) وفى ١٩٤٦ رجع الى باريس ممثلا لمنظمة الشباب الشيوعى وأرسل الصحف الايطالية (امنيبوس ، ميلانوسيرا) وأخيرا كان فى ايطاليا حيث كان يسيح كثيرا مع زوجته الفرنسية وكان يعمل مع شركة أفلام ايطالية .

كانت ميول (جلبرتو) الشيوعية معروفة فى دائرة محدودة عدة سنوات ماضية . وعندما تحدث (برونو بونتكورفو) عن ميول أخيه الشيوعية الى (هنرى أرنولد) لم يفش سرا مجهولا ولكن الملاحظ أنه لم يظن أن فى هذا الخبر أهمية للامن حتى جاء وقت محاكمة (فوخس) .

أما (جيليانا) الاخت الكبرى فهى تعيش فى روما ومتزوجة من (دوشيوثابت) وهو شيوعى معروف ولهما ثلاثة أطفال و (ثابت) عالم فى الهيئة الزراعية فى الحزب الشيوعى الايطالى وأما (جيليانا) فهى مشتركة فى الحزب اليسارى (نانى) وتمثله فى لجنة الموالين للحزب فى روما .

هذا هو الفريق الثانى ـ (بول) العالم فى الولايات المتحدة ، (جلبرتو) فى الجماعات السرية فى فرنسا ، (جيليانا) زوجة ثابت الشيوعى فى روما ثم (برونو) . أما والداهم (مسيمو وماريا) فقد بقيا فى ايطاليا بعد تشتيت العائلة من منزلهم فى بيزا والآن هما فى ميلانو .

وهناك شخصية أخرى يجب أن نتحدث عنها قبل أن ننتهى من هذا الفصل وهو (اميليو سيرانى) أكبر أبناء عمومتهم وهو عضو بارز فى الحزب الشيوعى الايطالى وعمل فى نهاية الحرب فى وزارة الداخلية وفى عام

١٩٤٦ كان وزير مساعدات ما بعد الحرب • وفى العام التالى أصبح وزير الأشغال العمومية وهو يمثل احدى الدوائر الانتخابية فى مجلس النواب الايطالى وهو أيضا عضو اللجنة المركزية في الحزب الشيوعى الايطالى •وقد حضر (ستيينى) الى انجلترا فى ١٩٥٠ كأحد المفاوضين فى مؤتمر السلام بشيفيلد •

كان (برونو بونتكورفو) أبرز عضو فى هذه العائلة الفذة • قضى دراسته الابتدائية فى بيزا ثم جيناسيو وليكاو ، وكان يمر فى الامتحانات بكل سهولة ، وفى سن السادسة عشر دخل جامعة بيزا حيث نال الشهادة بعد دراسة عامين فى جامعة بيزا فى العلوم الطبيعية والرياضة ثم دخل جامعة روما ونال الدكتوراه فى الطبيعة بدرجة الشرف فى ١٩٣٤ واستمر فى دراسته فى جامعة روما كباحث ومدرس • وكان أستاذه فيها هو البروفيسور (انريكو فيرنى) وهو أحد المؤلفين للمؤلف الشهير عن القنبلة النووية وهو الآن أحد البارزين فى العلوم الذرية فى الولايات المتحدة • ويتذكر الآن البروفيسور (فيرنى) تلميذه (بونتكورفو) ويقول أنه ممتاز وله مستقبل عظيم • وبالطبع كان لهذا البروفيسور (فيرنى) والعلماء الآخرين فى هذه الجماعة البارزة فى روما اليد الطولى فى أن ينال (بونتكورفو) ــ الزمالة ــ فى ١٩٣٦ وبهذه الدرجة ذهب (بونتكورفو) الى باريس فى فبراير ١٩٣٦ وأدرج اسمه بين طلبة كلية فرنسا •

سكن فى غرفة فى فندق البانثيون حيث تقابل مع (ماريان) وكانت الاخرى قد جاءت الى باريس للدراسةوكان اسمها (هيلين ماريان نوردبلوم) وهى أصغر من (بونتكورفو) بأربع سنوات وعاشا معا وخلفا أول أولادهما فى ٣٠ يوليه ١٩٣٨ •

كان (بونتكورفو) فى ذاك الوقت يعمل مساعدا للبروفيسور (فردريك جوليوت ــ كورى) فى مؤسسة الراديوم بباريس وعندما قامت الحرب اشترك فى البحوث فى معمل الكيميا النووية فى كلية فرنسا •

وكانت هناك حركة يسارية قوية بين الطلبة فى باريس فى ذاك الوقت ولكن المعروف أن (بونتكورفو) لم يشترك معهم الا بدرجة خفيفة جدا وقال أنه أتى الى فرنسا للدراسة لان من الصعب جدا للعلماء أن يتقدموا فى بحوثهم تحت سيطرة (موسولينى) والظاهر أنه كان كارها للفاشستية أكثر من ميله الى الشيوعية •

سافر فى أوروبا كثيرا وقضى فى انجلترا أجازة مدتها أسبوع فى ١٩٣٥ · وفى صيف ١٩٣٩ قام برحلة مع المعمل الفيزيقى (للعلوم الطبيعية) الى اسكندناوا والاراضى الواطئة وسويسرا ·

وعند قيام الحرب لم يحاول (بونتكورفو) الرجوع الى ايطاليا بل استمر فى عمله فى باريس طول مدة الحرب الباردة ، وفى ٩ يناير ١٩٤٠ تزوج من زوجته ماريان · اشتد ضغط الالمان ففوجئا بدخولهم فى الصيف التالى ، ولم يكن من المألوف فى هذه الظروف وجود ايطالى ولو كان تحت حماية القوات النازية القادمة ، وعلى ذلك هرب (بونتكورفو) مع زوجته من باريس الى الجنوب وفى ٢٩ يوليه عندما طلب (بيتان) شروط الهدنة طلب (بونتكورفو) التصريح له بالخروج ليسافر الى الولايات المتحدة وعلى ذلك قام الجميع ــ (ماريان) وطلفها بالسكة الحديدية و (بونتكورفو) على عجلة الى طولوز ، وفى طولوز انضما الى (دوشيو وجليانا تابت) الذى أتى من ايطاليا ، واستمر الجميع فى سفرهم جنوبا حتى أسبانيا فدخلوها· وفى ٢٤ يوليه وهم راجعون من مدريد انتقلوا الى البرتغال · وفى ٩ أغسطس ركبوا السفينة (أورانزا) المتجهة الى الولايات المتحدة · ولسبب عجيب حدث وهم فى البرتغال أن أعلن (دوشيو) وزوجته للمسئولين أنهما طبيبان بشريان ولكنهما اشتغلا أخيرا بالتجارة ·

والسفينة (أورانزا) سفينة محايدة وظلت فى البحر أحد عشر يوما، ثم نزل الجميع فى نيويورك فى ٢٠ أغسطس وكان ذلك اليوم هو قبل عيد الميلاد السابع والعشرين (لبونتكورفو) بيومين اثنين كان هم (بونتكورفو) الأول هو البحث عن عمل له ، وقد زكته درجاته الجامعية فى دخول مؤسسة مساحة الآبار فى طلسا باو كلاهوما واستخدموه فيها كمستشار فى الرسوم الاشعاعية فى تعيين (تسجيل) آبار البترول · وبينما كان (بونتكورفو) يعمل فى أوكلاهوما أحدث تطورات وتحسينات على نظم تسجيل الآبار ثم طالب ترخيصا باختراعه · وفى نفس الوقت كان مشروع البحوث الذرية فى سبيله فى الولايات المتحدة وكندا وكان البروفيسور (فيرمى) وغيره ممن عرفوا (بونتكورفو) وكفاءته موجودين فى الولايات المتحدة فى ذلك الوقت · قدموا اسم (بونتكورفو) الى السلطات البريطانية وفى أوائل ١٩٤٣ ــ أى فى نفس الوقت الذى عبر فيه (نان ماى) الاطلنطى قادما من انجلترا دعى (بونتكورفو) للانضمام الى فريق البحوث الانجليزى الامريكى فى مونتريال بكندا ، وفى هذا الوقت كان لا يزال معه جواز السفر الايطالى

ثم قدم طلبه للتجنس بالجنسية الامريكية فى ١٩٤١ • ومن ذلك الحين حتى يوم أن اختفى كان مترددا فى اختياره الجنسية التى يرتضيها • ويظهر أنه كان متأثرا بالوظائف المختلفة التى أوكلت اليه ففى كل لحظة كان مستعدا لتغيير جنسيته اذا كان العمل يستدعى هذا •

عندما كانت هذه العائلة فى طريقها شمالا قضوا فترة قصيرة فى نيويورك ومونتريال ثم عندما بدأ مشروع المياه الثقيلة انتقلوا الى منطقة قريبة من نهر ديب وبقوا فيها ست سنوات • وكانت التقارير عن (بونتكورفو) عن هذه السنوات الست مرضية جدا وأحبه العلماء الآخرون فقد كان مجدا فى عمله فى موضوع المياه الثقيلة وعندما انتهت الحرب طلب منه أن يبقى ضمن هيئة وزارة التموين للمساعدة فى التجارب الجديدة فى كندا • وقبل أن يحضر الى كندا فحصه رجال الامن ولم يجدوا غبارا عليه وفحص مرة ثالثةفى أوائل ١٩٤٨ عندما طلب التجنس بالجنسية البريطانية فأعطيها • وفى هذه المدة قام بعدة زيارات الى الولايات المتحدة وكلها خاصة بالعمل • وفى مرة قام برحلة الى ايطاليا مارا بانجلترا وحتى ذاك الوقت كانت سمعته قوية حتى أنه عين فى منصب كبير فى هارويل• وقبل المنصب وعلى ذلك رجع من كندا الى انجلترا فى أوائل عام ١٩٤٩ ولم يوجد ما يثير رجال الامن عنه وقتئذ فقد عرف عنه أنه رجل لم يتحدث فى السياسة اطلاقا ولا عن السياسة الذرية وكان كل معارفه هم من المخلصين جدا فى الامور العلمية فى شمال أمريكا • هذه هى حياة (بونتكورفو) الرسمية ، أما حياته الخاصة فكانت أعقد كثيرا • ولد له ولد ثان فى كندا فى ٢٠ مارس ١٩٤٤ وسمى باسم عجيب هو (تيتو نيلز) ثم الولد الثالث (أنطونيو) وقد ولد فى يوليو من العام التالى •

أما مرتب (بونتكورفو) وعلاواته فقد مكن العائلة من أن تعيش فى سعة دون تبذير ولكنها حياة متوسطة فى مكان مثل (نهر ديب) فكان لهم منزل خاص وكان (بونتكورفو) عضوا فى نادى السيارات وكان يسوق عربته يوميا الى محل عمله فى المعامل فى (نهر تشوك) • وكان يقضى وقت فراغه فى لعب التنس وكثيرا ما نال البطولة الفردية المحلية •

أما (ماريان) فقد كان من الصعب ادماجها فى مجتمع هذه المدينة ومع ذلك كانت سعيدة ، ولكن حدثت فى مرة أزمة كادت تفصم عرى الزوجية لولا أن ظهر للجميع أن ماريان تحب زوجها حبا شديدا •

كان ذلك فى يونية ١٩٤٧ عندما قام (بونتكورفو) مع أحد زملائه فى احدى الزيارات العملية الى مونتريال ، وقد سمحا لفتاتين جميلتين بأن تركبا السيارة معهما وعندما انتهى عملهما فى مونتريال أخذا الفتاتين معهما فى السيارة حتى بوسطون ، وقد تضايقت (ماريان) جدا عندما بلغها هذا الخبر فذهبت الى البنك وصرفت من حسابها ١٫٨٠٠ دولارا وربما كان هذا هو كل رصيدها حملت الاطفال معها • وعندما رجع (بونتكورفو) من هذا هو كل رصيدها ثم أخذت قطار الساعة الرابعة صباحا حتى بانف وقد حملت الأطفال معها • وعندما رجع (بونتكورفو) من بوسطن وجد المنزل خاويا ولم تترك (ماريا) عنوانها له • تضايق هو الآخر وازداد ضيقه كلما مرت الأيام ولم تأت اليه كلمة من زوجته وأخيرا تحدث أصدقاؤه الى (ماريا) فى بانف ورجوها أن ترجع اليه فرجعت •

كان (بونتكورفو) يكتب رسائل غير رسمية الى الجامعات المختلفة فى أمريكا وفى الخارج ، ولم يكن من السهل متابعة جميع الافكار والترددات التى انتابته بعد انتهاء الحرب عندما كان لا يزال يفكر هل يصبح مواطنا بريطانيا ويظل موظفا حكوميا أم لا •وقد عرضت عليه مجموعة من المناصب مما يثبت الثقة التى منحها فطلبته هذه الجهات •

ففى ١٩٤٥ طلب ليكون أستاذا فى معامل الراديو فى ماساتشوستس بمرتب ٦٫٠٠٠ دولارا فى العام ، ودعته كل من شركة جنرال اليكتريك فى شنكتاوى ومعامل الراديو فى بيركلى بكاليفورنيا لزيارتها للنظر فى أمر استخدامه فيها كما أن جامعة متشيجان فى آن أربور منحته الاستاذية بمرتب ٥٫٠٠٠ دولارا فى العام •

وفى ١٩٤٧ عرض عليه منصبان آخران أحدهما ـ كرسى فى الطبيعة العملية بالجامعة العبرية فى القدس والآخر أستاذ فى جامعة كورنل بمرتب ٧٫٠٠٠ دولارا فى العام • وطيلة هذه المدة كان (بونتكورفو) يقوم بسفرياته عبر الحدود الى الولايات المتحدة مرة فى كل ستة أشهر حتى يمكنه أن يثبت اقامته المستمرة فى حالة ما اذا قرر أن يصبح مواطنا أمريكيا •

وفى ديسمبر ١٩٤٧ سافر الى أوروبا ويبدو أنه صمم على رأيه النهائى أخيرا ففى طيلة أيام وجود عائلة (بونتكورفو) فى شمال أمريكا كانا يحنان الى العودة الى أوروبا وخاصة باريس • ولا شك أن هذه الزيارة أحيت ذاك الشعور من جديد ولو أنها كلفتهما خسارة مالية كبيرة لرفضهما العروض التى قدمت الى (بونتكورفو) •

رجع (بونتكورفو) وحده الى انجلترا فى ٨ ديسمبر ١٩٤٧ وسكن فى أبنجدون بالقرب من هارويل مع بعض أصدقائه القدامى منذ آيام الحرب عندما كانوا فى جهة نهر تشوك وهما (الدكتور والمسز هنرى سيلينجمان). أخبروه فى هارويل أنه سيعين فى أحد المناصب وبذلك جدد العقد مع وزارة التموين البريطانية ، ثم طار الى ميلانوليرى والديه عازما على الرجوع الى انجلترا ثم السفر بحرا على السفينة أكويتانيا الى نيويورك فى ٤ ينـاير ١٩٤٨ . رجع من ايطاليا بالقطار وتخلف فى باريس ليقضى ليلـة رأس السنة مع بعض أصدقائه وبذلك تأخر عن السفينة فطار الى أمريكا فى ٦ يناير . وعند رجوعه الى كندا تذكر أن منتصف ابريل هـو ميعـاد آخر فرصة له لملء استمارات طلب الجنسية الامريكية . ولكنه كان قد قر رأيه الأخير فسوف يرجع الى أوروبا حيث فضل أن يعمل فى البحوث الحكومية. وفى فبراير ١٩٤٨ وقد كان فى كندا ، أصبح مواطنا بريطانيا ، وفى يناير من العام التالى سافرت العائلة بأكملها الى هارويل .

سكنوا فى أول الأمر مع عائلة (سيلينجمان) حتى عثرا على منزل قريب من لتكوم أفينـو فى أبنجـدون . وهكـذا عـادا الى مقربة من اخوة (بونتكورفو) فى انجلترا ، كمـا أمكن (لماريا) أن تزور والديهـا فى السويد ، ثم ألحقا الاطفـال فى المدرسـة ، وقد بدأ لاصدقائهما أن الامر استقر بهذه العائلة أخيرا ، ولكن فى الحقيقة أن (بونتكورفو) لم يسـتقر بعد . ففى مايو ١٩٤٩ ألقى محاضرة فى باريس بدعوة من (جولييت كورى) ثم زار بروكسل ، ثم تفـاوض فى عمل اضـافى يقوم به من أجل شركة بترول ايران الانجليزية وفى سبتمبر سـافر مع بعض علماء هارويل الى مؤتمر الطبيعة النووية فى بحيرة كومو بايطاليـا (وقد مدوا أجازتهم فى هذه المنطقة الجميلة) ثم رجع الى عمله فى نشاط . كان هناك كرسـيان فى الطبيعة العملية فى ايطاليا أحدهما فى روما والآخر فى بيزا وقد صمم على أحدهما فاسـتخرج شهادة طبية بصلاحيته من ميلان وشـهادة حسن سلوك من بيزا تقر بأنه ليس له سوابق جنائية ثم استخرج صـورة من شـهادة الميلاد ، وكل هذه الشـهادات مطلوبة من المرشـحين لهـذين الكرسيين .

ذكر كل هذا (لارنولد) عندما تحـدث معه قائلا أنه اذا نجح طلبـه فسيرجع الى جنسيته الايطالية ، فذكره (أرنولد) أنه قد تجنس بالجنسية البريطانية منـذ وقت قريب جـدا وربمـا كان من العيب أن يغير الرجل جنسيته بين وقت وآخر ، وأخيرا لم يحصـل (بونتكورفو) على أى من

الكرسيين فقد وصل طلبه الى بيزا بعد الموعد المحدد ثم أنه أهمل الاهتمام بطلبه المرسل الى روما عندما عاد البروفيسور (سكينار) بعرض جديد معه من ليفربول ·

الآن في أوائل ربيع ١٩٥٠ وكانت محاكمة (فوخس) قد أحدثت اضطرابا بين العلماء في كل مكان ، فحضر (بونتكورفو) الى (أرنولد) ليعترف بأن أخاه (جلبرتو) شيوعى · تقابل الرجلان مرة ثانية بعد ذلك بأيام فسأله (أرنولد) عما اذا كان حقيقة فى أثناء سفريته الى بحيرة كومو تقابل مع أخيه (جلبرتو) ، فأخذ (بونتكورفو) عند هذا السؤال واضطر أن يصرح بأن ذاك حدث بالفعل ثم قال أن هناك شيوعيون آخرون فى عائلته أو على الاقل يميلون الى الشيوعية · عند ذلك بدأت العلاقة بين (أرنولد) وبين (بونتكورفو) تختلف فى هارويل · ومع عدم ظهور أى ظواهر اعتبر (بونتكورفو) نفسه أنه أصبح موضع شبهة وتبدلت أحواله فلم يصبح ذاك الرجل الخفيف الروح كما كان ·وقد وصل فى مارس تقرير عنه من السويد يؤكد أن (بونتكورفو) بل وزوجته (ماريان) أيضا شيوعيان · ولم يمكن اثبات هذا سواء فى انجلترا أو كندا ولكن بالطبع بدأت من تلك اللحظة مراقبته مراقبة شديدة · أصبح الوقت مناسبا كى يفكر (بونتكورفو) تفكيرا جديا فى الانضمام الى (سكينار) فى ليفربول فسافر اليها مع زوجته وأطفاله وعرضت عليهما شقة فى حرم الجامعة وبدأت المفاوضات مع السلطات ولكن (بونتكورفو) ظل مترددا ، كما أن (ماريان) لم تعجبها شدة البردفىهذه المنطقة الشمالية· أخذ (بونتكورفو) بعظمة المعامل فى ليفربول ومحطم الذرة الخاص بالابحاث ـ فقد كانت هيكلا عمليا عجيبا مقاما على أرض كانت مخصصة لكاتدرائية كاتوليكية تتبع روما ولا تبعد أكثر من نصف ميل من الكاتدرائية الانجيلية وبالقرب منها نجد جبلا ثلجيا كبيرا على الجانب الآخر من التل · لم يكن (بونتكورفو) متأكدا أنه فعلا أحب أن يعمل فى ليفربول ، وأخيرا كتب اليه (سكينار) قائلا أن جميع الاجراءات قد تمت وليس هناك غير نعم أولا · عند ذلك قبل (بونتكورفو) ورتب الامر على أن يتسلم العمل فى يناير ١٩٥١ ·

قام (بونتكورفو) بسفرية قصيرة الى كورنوول ومعه (جيدو بونتكورفو) وزوجته وصديق آخر · ثم قام وعائلته لقضاء الاجازة الصيفية فى ايطاليا واضطروا لان يقوموا بالعربة فى ٢٥ يوليه ١٩٥١ ومعهم أخته (انا) المدرسة · عبروا المانش ومعهم العربة ثم ركبوها جنوبا حتى وصلوا الى شمال ايطاليا حيث سينضمون الى والديهم (ماسيمو وماريا) ضاقت

العربة الغانجارد بالثلاثة شبان والثلاثة أطفال ومعهم العفش الكثير لذلك اتفقوا على الا يأخذوا معهم الا أقل ما يمكن من العفش الضرورى وعزموا على اقامة شبه معسكر فى أثناء الرحلة فأخذ (بونتكورفو) لذلك مهمات المعسكر الضرورية • قد عجب أصدقاؤه من هذا التصرف وعرضوا عليه كل الخيام والسرائر السفرية التى احتاج اليها ولكنه رفضها كلها واكتفى بما عنده منها وقد حدث فى هذا الظرف حادث احرى أن نذكره •

كان عند أحد أصدقاء العائلة فى فرنسا بعض الفرنكات أراد أن يسلمهم اياها ليصرفونها وتم الاتفاق على أن يتسلمها منه (بونتكورفو) عندما يمر عليه • وكان المبلغ صغيرا ولذلك لم يهتم الصديق بمعرفة كميته بالضبط اقترح الصديق بأن تسوى مسألة الحساب بينهما عند رجوع (بونتكورفو) ولكن هذا صمم على أن يدفع له شيكا على بياض ومقدما كى يضع عليه الصديق قيمة المبلغ •

كانت ادارة الامن تعلم بمسألة سفر (بونتكورفو) ولكن ليس تحت أيديهم السبب الكافى أو القوة القانونية لمنعهمن السفر فالمتجنس بالجنسية البريطانية يتمتع بجميع الامتيازات تماما كالمولود فى بريطانيا ومن أهم هذه الامتيازات أن له حق التنقل كيفما شاء فى زمن السلم •

لم يحدث شيء طيلة يونيه وكان المفهوم أن (بونتكورفو) يجب أن يرجع الى انجلترا ليحضر المؤتمر المزمع عقده فى أوائل سبتمبر وبعد ذلك يسافر الى ليفربول • وقبل سفر عائلة (بونتكورفو) مباشرة لعبت (المسز سيليجمان) مباراة نهائية فى التنس مع (بونتكورفو) ، وعندما غادرا الملعب أعرب لها عن تمنياته بأن يلعبا مرة أخرى وهى أمنية لم تتوقعها منه •

أقيمت أيضا حفلة توديع بسيطة فى منزل (سيليجمان) وهو قريب جدا من منزل (بونتكورفو) ، وفى أثناء الحفل ذهبت ماريان الى أحد الاركان بعيدة عن الناس وأخذت مجلة (فوج) وتظاهرت بأنها تقرأ فيها وبعد مدة ذهبت اليها (المسز سيليجمان) ولاحظت أنها لا تقرأ بل تتظاهر فقط وقد الصقت وجهها فى صحائف المجلة وأخذت تبكى فتظاهر (بونتكورفو) بأنه تضايق وأخذ زوجته وغادرا المنزل وانتهى الحادث عند هذا •

وفى اليوم التالى سافرت العائلة الى أوروبا تاركين كل ملابسهم الثقيلة وكل عفشهم تحت القفل فى منزلهم فى ابنجدون •

الباب الثالث عشر

أن معظم البريطانيين الذين يسيحون الى منـاطق البحر الابيض فى الصيف يتبعون طريقا خاصا بهذه الرحلات وتكاد تكون تحركاتهم فى نفس النظام تماما كما نعرف عن عوائد الطيور ورحلاتهـا المنتظمة سـنويا الى الجنوب • فمنذ وصولهم الى فرنسا يتجهون جنوبا صوب قرص الشمس على الطريق الدولى رقم (٦) عادة وهو يقودهم وسط مزارع الكروم فى برضدى ثم وادى الرون حتى ـ كوت دازور ـ وهم يقطعونه عادة فى يومين أو ثلاثة أيام ويعد الناس عدتهم على هذا الاعتبار فيحجزون لانفسهم محلاتهم قبل الموعد بمدة طويلة •

ولكن رحلة عائلة (بونتكورفو) الى أوروبا فى ذاك الصيف (١٩٥٠) لم تتبع هذه القاعـدة ، وقد تكون المسـألة صـدفة ليس الا ولكن ليس (بونتكورفو) من الذين اعتادوا حجز محلات فى الفنادق أو غيرها مقدما فهو يكره كتابة الخطابات والارتباط بمواعيـد أو نظم ما ويحب دائما أن يذهب الى المكان الذى يبغيه حسب ظروفه الخاصة ـ وهو وحظه ـ لقـد كان متعجلا على الوصول الى الدفء ورغما عن أنه حدد بضعة مواعيد غير دقيقة لمقابلة أصدقائه وأهله فى ايطاليا فقد سافر ارتجالا حسب الطرق وحسب الجو •

وفق فى الحصول على محل فى المعدية عبر المانش لاخذ عربته وعائلته وذلك بعد ظهر ٢٥ يوليه ونزلوا فى دنكرك ثم مروا على أراس وديجون فى فرنسا ودخلوا سويسرا عند نيوشاتل بعد رحلة قصيرة لمدة ثلاثة أيام ، وقضوا ثلاثة أيام أخرى ليقطعوا سويسرا حتى وصلوا الى مناجيو على بحيرة كومو فى ٣١ يوليه ثم عسـكروا فى تلك المنطقـة حتى ٤ أغسطس حيث تركتهم (أنا بونتكورفو) وركبت السفينة لترى والديها فى ميلانو وفى ميناء جيو زارت عائلة (بونتكورفو) البروفيسور (كالديرولا) وزوجته وهو أحد علماء جامعة بادوا وقدتوطدت الصداقة بسرعة ودعا (بونتكورفو) البروفيسـور (كالديرولا) لحضـور المؤتمر الخـاص فى انجلترا فى ٧ سبتمبر ووافق البروفيسور على قبول الدعوة •

وفى ٦ أغسـطس قرر (برونو وماريان) زيارة عائلة (دولوميت) فدخلا النمسا وقضيا فيها يومين وهكذا كانت الاجازة موفقة وتمتعوا بها جميعا وقد أرسـلت (ماريان) بطـاقة بريدية من لانديك وفورار لبرج الى احدى صديقاتها فى كندا تذكر لها أنهم يقضون أجازة سعيدة ولا يزال هناك أكثر من أسبوعين قبل أن يعودوا ـ الى انجلترا ·

بعد ذلك سافروا جنوبا وعرجوا على والدى بونتكورفو فى ميلان وكان ذلك فى ١٢ أغسطس ثم واصلوا السـفر الى لاديسـبولى وهى بلدة على شاطىء بحر تيرنتين بالقرب من روما وذلك فى ١٧ أغسطس وفى هـذه البلدة كان عندهم موعد مع (جيليانا تابت) التى تقيم مع أطفالها الصغار الذين عادوا من الولايات المتحدة منذ فترة قصيرة وقد استأجرت (جيليانا) منزلها فى لاديسبولى لتقضى فيه الصيف ·

بقيت العائلتان معا فى ذاك المنزل بضعة أيام حتى عزم (بونتكورفو) و (ماريان) أن يواصلا السفر جنوبا بحثا عن مكان على الشاطىء يمكنه منه أن يشبع هوايته فى صيد الاسـماك فى قاع البحر ببندقيته وخوزته وهى هواية تعلق بها فى الصيف السابق· تركا أصغر أطفالهما (أنطونيو) مع (جيليانا تابت) فى لاديسبولى وواصلا السفر معهما الطفلان الآخران لمسافة سبعة أميال الى الشاطىء حتى وصلوا سركيو ثم نصبا معسكرهم · وسركيو مكان لطيف على لسان فى البحر فى جنوب أنزيو مباشرة حيث نزل الحلفاء للقيام بهجومهم الاخير على روما فى الحرب العالمية الثانية · وفى القصص الخيالية أن (عروس البحر) عاشت على جبل سركيو وفى أعماق البحر ، وتوجد فى سفح الجبل خرائب رومانية ومعبـد للشمس ، وهذه المنطقة صالحة جدا لايواء الغواصات ·

لم يكن معهم أى عفش تقريبا خلاف معدات المعسكر وهى خيمتان من القماش الواقى من الماء ـ طراز عسكرى ـ وجربندية بداخلها ملابسـهم وأخرى صغيرة كان (بونتكورفو) يتحفظ عليها دائما تحت يده · وكان يضعها دائما فى جيب بألب العربة فى أثناء السواقة حتى لا يعبث بهـا أطفاله ، وبهذه الشنطة بعض الادوات وصابون الحلاقة وماكينة الحلاقة ·

وقد عزم (برونو) وهو لا يزل فى انجلترا على أن يبقى بضعة أيام فى شامونيكس فى أثناء رجوعه ما دام والده سيقضيان الأجازة فيهـا · وأكد هذا العزم باتفاقه مع والديه عنـدما كان فى ميلان ، والآن بينمـا كانت (ماريان) لا تزال فى سركيو جد رأى آخر فغير سير الرحلة ·

يوجد معمل عملي دولي في شامونيكس متصل مع هارويل وهو خاص بالاشعة الكونية • ولما علم الدكتور (برتشار) ــ وهو رئيس (بونتكورفو) في هارويل ــ بأنه عازم على التوجه الى شامونيكس أرسل اليه برقية يطلب اليه فيها أن يزور هذا المعمل • وأرسلت صورتان من هذه البرقية أحداهما لوالدى (برونو) في ميلان والاخرى للبروفيسور (أمالدى) فى روما وذلك فى ٢٠ أغسطس ، وقد تسلمها (برونو) فى سركيو بعد ذلك بأيام •

وفى ٢٢ أغسطس كان عيد ميلاد (برونو) السابع والثلاثين فحضر (جلبرتو بونتكورفو) وزوجته الفرنسية (هنريت) الى سركيو وكانت معهما (أنا بونتكورفو) التى رجعت من ميلان • وقضى الجميع الليلة فى سركيو ورجعوا الى روما فى اليوم التالى تاركين (بونتكورفو وماريان) والطفلين فى معسكرهم •

والظاهر أن هذا الوقت كان بدء الازمات التى أنتابت (برونو) وأعماله ، فالى هذا الحد كان جو الاجازة سعيدا مرحا بين أفراد العائلة مثلهم مثل مئات الآلاف من الناس الذين يقضون أجازاتهم فى ايطاليا فى شهر أغسطس بين الكسل والبحر الدافىء ، الا اذا كان هناك أى اجهاد أو قلق أو خوف يثير أذهانهم ولكن لم يكن عند (بونتكورفو) أى مظهر من هذه المؤثرات سواء فى المراسلات التى تصل اليه أو من أى شخص تقابل معه فى هذه الفترة • ولكن بعد زيارة (جلبرتو) لهم فى ٢٢ أغسطس تبدلت الأمور فجأة فبدأت الأجازة فى غير سيرها الطبيعى وأصبحت تحركات (برونو) شاذة • فقد اصطدم بعربته فى اليوم التالى مع راكب دراجة ولم يكن فى الحادث أى خطورة ، فمثل هذا الحادث فى ايطاليا وفى مثل هذا الموسم مع مافيه من الزحام الشديد على الطريق أمر عادى • لم يجرج أحد ولكن (برونو) صمم على أخذ عربته الى روما للتصليح وهى رحلة قصيرة لا تتعدى الساعتين وترك العربة فى روما ثم رجع الى سركيو فوجد طفليه وقد أصابتهما ضربة الشمس ــ وهذا أمر طبيعى بالنسبة لاطفال قضوا كل حياتهما فى كندا وانجلترا تحت حرارة الشمس الضعيفة فهما لم يتعودا حرارة الشمس فى مثل هذه المناطق الحارة • أرسل (برونو) برقية الى والديه فى ميلان يأسف فيها لعدم امكانه اللحاق بهما فى فرنسا بالنسبة لحادث العربة ومرض الطفلين • وبعد ارساله البرقية مباشرة تسلم بطاقة بريد من والديه بأنهما الآن فى شامونيكس فكتب اليهما رسالة تفسر

البرقية التي ارسلها وبها (أنه حالما يشفي الطفلان سنعود الى انجلترا ولن يمكننا أن نمر عليكم في شامونيكس حتى لا يجهد الطفلان) ٠ وقد أرسل هذا الخطاب من روما في ٢٥ أغسطس لانهم كانوا قد أخلوا المعسكر على الشاطىء ٠ اجتمع الجميع ثانية في لاديسبولي في ٢٧ أغسطس ثم رجع بهم (برونو) الى روما ٠

تكدس الضيوف في منزل (جليليانا) الصغير في ٤٠ فياجابي بالقرب من كنيسة سانت جون في روما ، فزيادة عن عائلة (جيليانا) نفسهـا اجتمع معهم خمسة أفراد هم عائلة (بونتكورفو وجيليانا وزوجته وأنا)٠ ولم يكن لبرونو فراش في داخل المنزل فاضطر لان يقضي الليلة في المقعد الخلفي لعربته ـ وكانت قد اصلحت بعـد الحادث ـ ولكن المنـامة لم تكن بالطبع مريحة فتيقظ في الصباح وقد تقلصت عضلاته وشـعر بالضيق الشديد ، وحتى الآخرون لم يستريحوا في النوم في تلك الليلة لان الجو في روما في أواخر أغسطس يصبح غير محتمل وخاصة في مثل هـذا المنزل الصغير وقد احتوى على ست أطفال ، وأصيب (أنطونيو) أصغر الاطفال بالحمى واضطر (برونو) أمام هذا الجو من الجلبة والضوضـاء والمضايقة والحمى الى أن يصمم على أمر لم يفهم سببه حتى اليوم ٠

ففي يوم الثلاثاء : ٢٩ أغسطس ظهر ومعـه (ماريانا) أمام شـباك الحجز بشركة الطيران الاسكندناوية وسـأل عن أجور وأوقات الطيران الى استوكهولم ثم حجز خمسة تذاكر له ولزوجته وأطفاله والجميع تحت اسم عائلة (نورديلوم بونتكورفو) ٠ وفيمـا هـو في اجراءات الحجز كانت (مريان) في غاية من الضيق فجـذبته بعيـدا عن العامل أمام النافذة ثم همست في أذنه بكلام ما فرجع وطلب أن تكون تذكرته ـ ذهاب واياب ـ واما التذاكر الاخرى فكلها ذهاب فقط وتحت اسم (ماريان ـ السويدية)٠ قال العامل (لبرونو) أن الدفع يكون دائمـا في نفس يوم الحجز فطلب التأجيل لليوم التالي ـ ٣٠ أغسطس دون أن يبدو على (برونو) أي اهتمام في أثناء هذه المناقشة ٠

رجع الى شباك الحجز في اليوم التـالي لدفع الثمن بالعملة الايطالية فأخبروه أن مثله من الاجانب الذين لم يقضوا سـتة أشهر على الاقل في ايطاليا يجب أن يدفعوا الثمن بالدولارات الامريكية ٠

عند ذلك فوجىء وتضايق (برونو) وغادر الادارة ثم رجع بعد ثلاثة ساعات ومعه الدولارات الامريكية وقد بلغت قيمة التذاكر ٦٠٢ دولارا دفعها أوراقا مالية فئة ال ١٠٠ دولارا وهذا أمر نادر حدوثه في روما الا من السياح الاغنياء الامريكيين ٠ وكان فى هذه المرة وحده دون زوجته ٠

وفى اليوم التالى وهو ٣١ أغسطس أرسل بطاقة الى هارويل وصلتها فى ٤ سبتمبر وكان مضمونها (تمتعت كثيرا فى الصيد الغاطس ولكنى وجدت متاعب كثيرة وانى مضطر لتأجيل يوم وصولى اليكم حتى اليوم الاول من المؤتمر (٧ سبتمبر) ٠ أرجو افادة (٠٠ برشار) بهذا ٠ أرجو أن يكون كل واحد منكم قد جهز كلمته وأن يكون قد أحسن عمله فى شامونيكس ٠ آسف لانى لم أتواجد فى شامونيكس ولكى كنت مضطرا لهذا ٠ والسلام ٠ برونو) ٠ والثابت أن هذه البطاقة قد كتبها بخط يده ولابد أنه كتبها بعد أن عزم على عدم الرجوع ٠

وهكذا سافرت هذه العائلة فى الصباح الباكر من اليوم التالى على طائرة الخطوط السكندنافية الى ميونيخ فى المنطقة الامريكية وبقوا فى الطائرة حتى قامت بهم ثانية الى الدانمرك ٠ ومن كوبنهاجن واصلوا الطيران الى استوكهولم حيث وصلوها في الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة مساء نفس اليوم ٠ واستعلم (برونو) فى المطار عن مكان يبيتون فيه ولكنهم لم يعثروا على أى غرف فى الفندقين اللذين وعداهما بالحجز ٠ لم تحاول (ماريان) الاتصال بوالديها اللذين يعيشان على مقربة من المطار ولا يدرى أحد كيف قضت هذه العائلة ليلتها ٠

وقد علم ـ دون التأكد من صحة هذا العلم لاننا من الآن بدأنا نتحدث من مضمون التقارير التى وصلتنا عن هذه العائلة بعد أن كنا نذكر الحقائق التى نعرفها لانهما بدأا يدخلان فى الامور الغامضة ـ علم لنا أن هذه العائلة قضت الليلة فى منزل تملكه السفارة السوفيتية فى استوكهولم ٠
وفى اليوم التالى ـ ٢ سبتمبر ـ ظهروا ثانية فى المطار وأخذوا الطائرة الى هلسنكي فى فنلندا ، وفي مطار هلسنكي ملأ برونو نماذجا ذكر فيه أن سبب زيارته هو (السياحة) وأن مدة الاقامة هى نحو أسبوع واحد وأنه يسكن فى فندق وقد قال أحد رجال الجمرك فى هلسنكي أن رجلا وامرأة وصلا الى المطار قبيل وصول عائلة (بونتكورفو) وقالا أنهما ينتظران هذه العائلة وطلبا الا يوضع عفش (بونتكورفو) فى عربات النقل الخاصة بالمطار ولكن فى عربتهما ٠

وعندما وصل (بونتكورفو) وعائلته ركبوا تلك العربة • وهذا هو آخر ما سمع عنهم فى هذا الجانب من الستار الحديدى •

ولدينا أخباريات تتبع تحركات هذه العائلة بعد ذلك ، ولكن من المستحيل علينا أن نخمن هل هى مؤكدة أو غير صحيحة ومن هذه الاخباريات أن السفينة السوفيتية (بيلوستوف) التى كان مزمعا قيامها من هلسنكى فى الساعة العاشرة والدقيقة الاربعين صباح ٢ سبتمبر تأخر موعد قيامها حتى الخامسة مساء انتظارا لعائلة (بونتكورفو) حتى لحقتها ، وكان المزمع وصول هذه السفينة الى ليننجراد فى ٥ سبتمبر • وبالطبع ليس لدى المسئولين الفنلنديين أى علم بمغادرة هذه العائلة لفنلندا من عدمه ولو أن المفروض أنهم يعلمون حتما بهذا الا لو كانوا يحملون جوازات دبلوماسية • والمعروف أن الأسهل جدا لهذه العائلة أن تصل القطاع الروسى لو أنهم ركبوا السيارةمباشرة من المطار الى الحدود فعبروها ويمكنهم أن يعبروا هذه الحدود فى سيارة دبلوماسية روسية •

لم يهتم الناس فى هارويل كثيرا عندما لم يصل (بونتكورفو) اليهم فى ٧ سبتمبر وهو يوم افتتاح المؤتمر ، وقد تذكروا أنه رجل عرف عنه كثرة التأخر عن المواعيد وخاصة عندما يكون فى أجازته• ففى مرة لم يلحق السفينة (أكويتانيا) فسافرت بدونه عندما كان راجعا الى كندا • وفى الصيف الماضى أجبر (بونتكورفو) جميع هيئة هارويل على أن يؤجلوا أجازاتهم وذلك فى مؤتمر بحيرة كومو • فقد كان لديهم أسبوع واحد هو الاجازة الرسمية بعد المؤتمر ولكن بونتكورفو (وكان يسوق عربته بنفسه) ألح عليهم فى مواصلته السفر جنوبا حتى وصلوا الى روما ، بل أنه حاول بعد ذلك أن يأخذها الى نابولى • فهم اليوم ـ بالنسبة لهذه السابقات ـ توقعوا أن عربته لابد أنها تعطلت به فتأخر حضوره •

وصل البروفيسور (كالديرولا) الى المؤتمر كوعده وعبثا حاول أن يعثر على (بونتكورفو) فترك له مذكرة ورجع من حيث أتى ، وتكدست الخطابات المرسلة اليه فى صندوق بريده بالمنزل فى شارع لتكومب وقد بقيت كما هى •• وهكذا حتى بدأت التحركات فى ٢١ سبتمبر •

قالت (جيليانا تابت) أنها تتذكر أن (بونتكورفو) وعائلته بقوا معها حتى ٦ سبتمبر ثم تركوها فى الصباح الباكر قائلين أنهما قررا الرجوع الى انجلترا عندما تتحسن صحتهم ، وقالت أنه قد وصلها خطاب

من (برونو) في منتصف سبتمبر فهمت منه أنه لا يزال في روما وطلب منها في الخطاب أن تدفع مصاريف الجراج عن العربة ثم ترسل العربة ثانية الى انجلترا ، ولكن العربة وجدها رجال الشرطة في جراج شركة (اسو) في حدائق بيزا بروما ولم يجدوا فيها الرخصة أو الاوراق الرسمية الاخرى .

لم تتمكن (جيليانا) ولا أى فرد من العائلة من تفسير سر اختفاء هذه العائلة فقد كان مظهر (بونتكورفو) عاديا ولم يذكر لاى أحد أن له نية ما الا الرجوع الى انجلترا .

لم تدل (أنا بونتكورفو) بأي حديث أوضح مما قالته أختها فقد قالت أن آخر مرة رأت فيها هذه العائلة كانت فى منزل أختها فى روما فى ٢٨ أغسطس وكان كل شيء يبدو عاديا . وأنها غادرت روما الى انجلترا فى قطار السابعة والنصف صباح ٢٩ أغسطس .

أما والدا (ماريان) فى استكهولم فقد دهشا عندما سمعا أن العائلة وصلت الى استكهولم دون الاتصال بهما وقد أرسلا رسائل الى انجلترا يهنؤنهما بعيد ميلاد (جيل) ودهشا لعدم وصول أى رد لهما .

أما والدا برونو (ماسيمو وماريا بونتكورفو) فقد كتبا أيضا الى انجلترا يظهران قلقهما من عدم وصول أخبار عنهم ويطلبان الافادة .

عندما فتح المنزل فى امنجدون للتفتيش لم يجد المفتشون أى شيء يلقى الضوء على هذا السر وقد بقى المنزل كما تركه (بونتكورفو) ماعدا أن الاتربة قد كسته وأن الخطابات التى وصلت بعد سفرهم ظلت دون فضها . ولم تكن هذه الخطابات سوى بعض الفواتير والتهانيء بعيد ميلاد (جيل) وبوليصة تأمين ورسائل عادية أخرى .

ومن هذه الرسائل خطاب مؤرخ فى ١١ سبتمبر من (لورا بونتكورفو) فى روما تقول فيها أنها كانت تتفاوض فى أمر وظيفة فى ايطاليا وفى نفس الخطاب كتبت (جيليانا) رسالة سألت فيها عما يتبع فى العفش الذى تركه (بونتكورفو) فهل ترسله الى انجلترا ؟ أو تحتفظ به حتى يرجعوا الى ايطاليا فى مرة أخرى ؟ أما الملابس الثقيلة والمتاع ~~الثمين الآخر~~

والمفروض أنه هام لاى شخص يقصد السفر الى روسيا فكان لا يزال فى الدواليب فى المنزل وهكذا لم يعرف أى أحـد فى هارويل تفسـيرا لهذا الامر الغامض ٠

وعندما علمت الصحافة بالأمر فى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٠ قام مخبروها فى ايطاليا وأمريكا وانجلترا والسويد وفنلندا بالتحرى ، وأبلغهم أحد الناس أنه كان مسافرا على نفس الطائرة التى سافرت عليها عائلة (بونتكورفو) قاصدا هلسنكى وعلم من الطفل (أنطونيو) وهـو أصغر أولادهم أنهم قاصدين الى روسيا فقد ظل الطفل يطل من النافذة ويسأل (هل هذه هى روسيا ؟) ٠ وقال آخر أنه تحدث مع (برونو) فى مناجيو وقد قال له الاخير أنه لن يجرؤ على الرجوع الى انجلترا ٠ واشتد ضغط أعضاء مجلس العموم على (ستراوست) وزير التموين ليشرح لهم تفاصيل الامر وسألوه متى بدأت التحريات ؟ ولم لم يعرف أحد أن (برونو) كان شيوعيا ؟ وما هى الاجراءات التى أتخذت لمنعه من مغادرة البلاد ؟ وما هى الاوراق الاميرية التى أخذها معه فى المحفظة ذى السوستة ؟ ولكن الوزير لم يتمكن من أن يقطع بأن (بونتكورفو) وصل الى روسـيا كما لم يتمكن أى أحـد من استنتاج قرائن ايجابية عن وجوده فى روسيا حتى الآن ٠

ثم توالت الاخباريات عن المكان الذى قصدته تلك العائلة وظن أنهـا صادرة من روسيا ولكن ثبت أخيرا أنها تخمينات أو معلومات غير موثوق بها فأهملت ٠ وجاءت الاخبار مرارا أن (بونتكورفو) يعمل فى مشروع البحوث الذرية الروسى فى الاورال فى سينكيانج فى موسكو ، وقيل مرة أنه سافر الى الدول الشرقية للبحث عن علماء ليعاونوه ، وفى أواخر ١٩٥١ أشيع أن الروس قبضوا عليه باعتباره جاسوسا بريطانيـا ٠ أما الحكومة السوفيتية فلم تصدر أى بيان رسمى عنه ٠

أما ابن عمه (أميلو سترينى)، و (نوجلياتى) رئيس الحزب الشيوعى الايطالى ، والبروفيسور (جوليوت كورى) وغيرهم ممن يعرفون أن عائلة بونتكورفو سافرت الى موسكو منذ يوم اختفائهم فلم يدلوا بأى معلومات جديدة ، وجاء والداه (مسيمو وماريا) الى انجلترا فى ١٩٥١ بأمل الحصول على أى معلومات عن ابنهما ، أو على الاقل بما تفيد أنه لا يزال على قيد الحياة ولكن لم يمكنهما أن يعرفا عنه شيئا ٠ أجر منزل ابنجدون الى علماء اخر ووزعت المفروشات الخاصة (ببونتكورفو) على أفراد عائلته وهكذا انتهت

ذكرى عائلة (بونتكورفو) من هارويل كأنها لم تكن يوما من الايام ، ولو أنه بالفعل قد أحدث فراغا فيها وذكره الناس الذين عرفوه وأحبوه ، بالأسى لهذا الفراق ٠

هناك بعض أمور ظاهرة جدا ولكن لا يمكن تصديقها ، أولها أنه لن يمكن أن يكون (بونتكورفو) قد قرر سفره من روما الى حيث والدى (ماريان) في استوكهولم فجأة ثم خطفوه هو وأهله منها ، ثم أنه من المستحيل تصديق أنهم لم يذهبوا الى روسيا وأنهم مختبئين في مكان ما بغرب أوروبا ٠

فرغما عن دموع (ماريان) عند مغادرتها ابنجدون ورغما عن حزنها لم يمكن للانسان أن يصدق أنهم غادروا انجلترا بنية عدم العودة اليها كلية ، فقد تركوا كثيرا من أمتعتهم الهامةفي المنزل ـ كما ترك (بونتكورفو) مبلغ ١٦٥ جنيها في حساب جاري بأحد بنوك انجلترا وكما تركت (ماريان) مبلغ ٥٢ جنيها في دفتر توفير البريد ، كما كان لبونتكورفو حساب جاري رصيده ١٧١٤ر١ دولارا في بنك مونتريال باونتاريو ٠

كذلك لم يكن (برونو) جحودا نحو والديه فيعطيهما موعدا لملاقاته في شامينو في حين أنه لا ينوى أن يلقاهما فيها ، فالمعقول أنه لم يقرر عدم الذهاب الى شامينو الا بعد أن تقابل مع (جلبرتو) في ٢٢ أغسطس وبعد حدوث التصادم بسيارته وبعد مرض طفليه ٠

والأغلب أنه لابد أن حدث (لبونتكورفو) أمر ما في ايطاليا بين ٢٢ أغسطس ويوم اختفائه ، وهذا الامر قد أرغمه على تغيير رأيه فقرر الذهاب الى هلسنكى ٠ ولابد أن هناك أشخاص في روما عرفوا سر هذا الامر أكثر مما افصحوا عنه فان (بونتكورفو) تمكن في (لحظة) من الحصول على مبلغ كبير من الدولارات الامريكية ٠ فلو أننا فكرنا في هذه النقطة لوضحت لدينا نظريتان : الاولى أنه كان جاسوسا منذ زمن طويل وربما أنه سلم معلومات الى الروس عندما كانت الحرب لا تزال مستعرة وكانت روسيا حليفة لنا وكان كثيرون من الناس ينظرون الى روسيا نظرة غير نظرتهم اليها اليوم ، وربما أخذ أجرا بسيطا عن هذه المعلومات ووقع على ايصال بها ، ثم عندما وصل الى هارويل لاحظ أنه أصبح في موضع الاشتباه وقد كان يعمل في الامور السرية ولم يحجبوها عنه فابتدأت مخاوفه ولذلك حدث في حفلة التوديع أن أصيبت (ماريان) بالانهيار ، ثم عندما وصلوا

الى روما قابل رجال المخابرات الروسية مرة أخرى عن طريق الشيوعيين من أفراد عائلته ثم دعى للذهاب الى روسيا · وقد أدرك أنه أصبح غير ذى فائدة كعميل لهم فى انجلترا بعد أن قبل المنصب في ليفربول وهو منصب لا علاقة له بالامور السرية · وأنذره الروس بأنه اذا رفض الذهاب الى روسيافسيكشف أمره حتما عند البريطانيين وعلىذلك سحب الدولارات من الروس وركب هو وعائلته الطائرة الى الشمال ثم اختفى ·

ومما يدعم هذا الرأى أننا نعتقد تماما ان أحدا ما - بخلاف فوخس والجواسيس الآخرين الذين سبق القبض عليهم - كان يسلم معلوماتنا عن الذرة الى روسيا وربما كان هو (بونتكورفو) ولو أنه لم يضبط فى مرة واحدة وحتى اليوم لم تثبت عليه قرائن ضده ولم يذكر اسمه كلية فى قضية الجاسوسية الكندية الكبرى ولا يعرف (جوزنكو) عنه شيئا (جوزنكو هو السياسي الذى ارتد عن الشيوعية وأفشى أسرارها الى الغرب) ·

ثم هناك ملاحظة أخرى هى أنه لم يضطرب عندما حجز تذاكر السفر (كالعادة عند غيره من الجواسيس) · أما (ماريان) فكانت قلقة حقا وقد طال اضطرابها بعد هذا ولكن المعتقد أن هذا كان بسبب شراسة زوجها فقد كانا كثيرى المشاجرة معا ·

والنظرية الثانية هى أن (بونتكورفو) لم يكن جاسوسا كلية ولكنه شعر بأنه أصبح في موضع الشبهة والاتهام فى هارويل بسبب ماضى عائلته الشيوعي ولكن عقيدته كانت بخلافهم ، وعند وصوله الى روما اتصل به الشيوعيون ومنوه بمستقبل أزهى وأفضل لو أنه سافر الى روسيا وأنه سينال مالا أوفر ومجالا أحسن وسلطة أكبر فروسيا تحتاج الى أمثاله · و (بونتكورفو) لم يكن راغبا جدا فى ليفربول (والاغلب لان زوجته لم توافق عليها لبرودة جوها) فكان مستعدا للذهاب الى أى جهة أخرى ثم التجنس بأى جنسية فى سبيل تحسين حاله ومستقبله وكان كلام الشيوعيين له يغرى بفرصه عجيبه وكان (بونتكورفو) سليم النية سهل الانخداع فقبل ·

وبناء عن هذه النظرية الثانية ، المفروض أيضا أن الشيوعيين فى روسيا لم يبذلوا جهودهم الا فى حثه على الذهاب لمقابلة العلماء الروس

في هلسنكي أو روسيا لمناقشتهم ـ ربما ـ في بعض الاكتشافات الهامة في موضوع الاشعة الكونية ـ ومادامت قدماهوصلتنا الى روسيا فسيخطفونه حتما ، ولكن هذا الغرض بعيد الاحتمال ٠

لا يوجد تفسير واضح عن سبب حجز بونتكورفو تذكرة رجوع لنفسه الى روما ، اذن فكان عازما على الرجوع لا لايطاليا بل الى هارويل وربما كان عازما على مقابلة الروس فى هذا الاجتماع في الشمال ثم الرجوع الى روما فى الحال ليركب عربته ويـذهب بهـا الى انجلترا ، أما ماريان وأطفالهـا فسيذهبون الى استوكهولم لتلحقبوالديها أو يرجعون بالطائرة الى انجلترا مباشرة ٠

ولكن لم لم تتصل (ماريان) بأهلها ؟ ولم تحاشت زيارتهم وطارت الى هلسنكى ؟ أو ربما كانت تذكرة الرجوع الذى حجزها (بونتكورفو) لنفسه انما هى خدعة قصد بها تضليل شركة الطيران اذا ما سئلت يوما ما عنه ؟ ٠

يمكن للانسان أن يتخيل احتمالات كثيرة أخرى ولكن النظريتين اللتين تقولان أن (بونتكورفو) اما أجبر أو أقنع فى روما بالسفر الى روسيا هما أقرب الى الحقيقة ٠

وفي النهاية نجد أنفسنا أننا مضطرون الى ترك هذه العقدة دون حل ونركز آراءنا على المظهر العام لهذه القصة ٠ فما هى القيمة الحقيقية لوجود (بونتكورفو) مع الروس ؟ اما بالنسبة الى المعلومات الحديثة جـدا فلن يمكنه أن يمنحهم الكثير منها ٠ لقـد عرف حقيقة موضوع الميـاه الثقيلة الكندية فى نهر تشوك وعرف بعض الشيء عن المسـائل النووية المتعلقة بكميات البلوتونيوم فى الولايات المتحدة ، ولكن كل هذه المعلومات عن هذه الامور قديمة ومضت عليها سنوات ولابد أن الروس كانوا يعلمونها جيـدا ٠ ثم أن جميع البحوث الحديثـة لا تمت كثيرا الى القنبلـة الذرية ولا يمكنه أن يعمل أكثر من توكيد ما علمه الروس فعلا عن أعمال هارويل ٠

وتبدو أن قيمته الحقيقيـة للروس هى فقط فى كفـاءته فقـد علق البروفيسور (فيرس) بعد اختفائه بالآتى :

(انى أشعر بأنه اذا ذهب (بونتكورفو) الى روسـيا فلن يمكنه أن يشترك معهم فى الامور التى عرفهـا من عمليـاته فى التجـارب الكنـدية

والانجليزية ولكنه سيفيدهم بمهارته العلمية الشخصية) ، فان معرفته باستخدام وسائل الراديو فى بحوث اليورانيوم والزيت قد تفيد الروس كثيرا ٠

كان (بونتكورفو) عالما طبيعيا تجريبيا ـ وهذه الفئة أكثر عددا من الطبيعيين النظريين ، وهو معتبر من أبرز هؤلاء الطبيعيين التجريبيين ، والمعروف أن روسيا لديها من هذه الفئة عدد كبير ولكن (بونتكورفو) سيكون أبرز من الجميع كما نعتقد ٠

مضى اليوم عامان على اختفاء (بونتكورفو) ومن غير المعقول أنه لم يراسل والديه طيلة هذه المدة بأى وسيلة فقد كان عطوفا دائما عليهما ، ولكنا نستنتج أنه تحت حراسة شديدة وانقلبت حالة المرح و (المهيصة) الى ضبط وربط شديدين ٠ ورب قائل يقول أنه مات ، فلم يمكن لاصدقائه تفسير هذا السكوت الطويل ، وربما كانوا يطيقون هذا السكوت فى حالة (نان ماى) أو (فوخس) ولكنهم لا يطيقون هذا البعد عن (بونتكورفو)٠ الا أن هناك شيئا من آلناحية الانسانية فى قصة هذا الرجل فعلى حسب ما نعلم ـ كان أساس غيابه هو الاضطهاد الدينى ثم فقدان الروح المعنوية ـ مما يبعده عن الشبهات التى توصمه بالخيانة ٠ كما يشعر الانسان بالاسى من أجل (ماريان) فى سفريتها الطويلة بالجو نحو الشمال ومعها أطفالها الثلاثة الصغار ٠ فكم نالهم من الجهد والضيق عندما وصلوا الى استوكهولم ثم طاروا ثانية فى اليوم التالى مباشرة٠ وما أيأس منظر أهله فى شامونيكس وعربته المهجورة فى بيزا وادواته الخاصة بالصيد الغائص فى سركيو وبتهنئة عيد الميلاد من (جيل) التى لم تصله أبدا والحمى التى أصيب بها (أنطونيو) فى فياجابى بروما ومضارب التنس والغسالة الكهربائية فى المنزل الذى هجروه فى ابنجدون ٠٠ !

لا محل لكل هذه الامور فى هذه الدولة الباردة حيث تجرى بحوث الطبيعة النووية ٠ ولكنها كلها ترينا مقدار الوحشة التى تصيب الرجل عندما يقرر الارتداد عن عقيدته ٠

الباب الرابع عشر

هذه هى قصص الثلاث علماء الشبان الذين أصابوا بريطانيا بضرر لا يمكن تقديره وربما بلغ الضرر دولا أخرى فى الناحية الاخرى من الستار الحديدى . وهم (الان ماى) الانجليزى الذى لم يندم أبدا بل استمر يقول أنه انما عمل ما يراه ضروريا لســلامة البشرية ، و (كلاوس فوخس) الألمانى الذى ظن يوما أن الروس انما يبنون عالما جديدا وقد اراد أن يقوم بدوره فىهذا الانشاء والذى اعترف أخيرا أنه أخطأ التقدير، ثم (بونتكورفو) الايطالى الذى اختفى خلسة . والآن علينا أن نقدر كم من الضرر آذونا به وأن نتحقق من حركاتهم لنعرف مدى هذا الضرر ثم نرى ما هى الخطوات التى علينا أن نتبعهــا لمنع مثل هؤلاء الخونة من الحصول على أسرارنا مرة أخرى .

ففى ربيع ١٩٥١ قامت لجنة الكونجرس المشتركة للطاقة الذرية فى الولايات المتحدة بنشر كراسة عن جواسيس الذرة واسمه (الجاســوسية الذرية الســوفيتية) وطبع بالمطبعة الحكوميــة الامريكية فى وشــنطون ١٩٥١ .

Soviet Atomic Espionage (U. S. Government Printing Office, Washington, 1951)

ونشرت فى هذه الكراسة المعلومات التى سلمها هؤلاء الخونة الى الروس .

ولما كان شركاء الذرة وقت الحرب (أمريكا وبريطانيــا وكندا) قد تغلبوا على الموانع المنيعة لانشــاء مفاعل لانتاج المواد المتفتتة الثمينة فقد سلموا نصيبا كبيرا من تجاربهم الى الروس بسهولة ــ والفضل لجواسيسهم ــ للانتفاع بها دون بذل أى مجهود حتى المجهود الضرورى . أما فى دولتنا فقد بحثوا من جديد واضطروا أن يبنوا ثلاث مصانع منفصلة لانتاج U ٢٣٥ وجعل كل من هذه المصانع يسير على مشروع مختلف تماما .

وأحد هذه المشروعات ، وهو الخاص بنشر الغاز أفضلها وأرقاها وانتفع به فى زمن الحرب بصفة خاصة أكثر من غيره ، وهى نفس العملية التى عرفها (كلاوس فوخس) فى بحوثه أثناء الحرب ، ثم المرحلة الاعلا · كذلك استفاد الروس بعدم الوقوع فى أخطأ كبيرة فى تجاربهم الاولى كما تعرض الأمريكيون ·

ويمكن تطبيق نفس الامر بالنسبة لمفاعل المياه الثقيلة عند نهر تشوك فى كندا · وهذه لم يعلم بها (فوخس) ضمن ما علمه عن المشروعات الأمريكية لما بعد الحرب سواء عن الاسلحة الذرية أو القنبلة الهيدروجينية

على ذلك تبدو لنا الخاتمة أخيرا أن العمليات المشتركة التى قام بها (فوخس وبونتكورفو وجرينجلاس وماى) كانت السبب فى تقدم برامج الطاقة الذرية السوفيتية بمقدار ١٨ شهرا على الاقل ، أو بمعنى آخر اذا قامت الحرب ستزداد قدرة الروس فى عمل الهجوم الذرى ضد الغرب كثيرا بسبب هؤلاء الأربعة جواسيس · ولا نبالغ اذ نقول أن (فوخس) وحده سيكون السبب فى ضياع أكثر الناس واحداث أكبر ضرر عن أى جاسوس آخر ليس فقط فى تاريخ الولايات المتحدة بل فى تاريخ الامم كلها · ولا يعنى هذا أن روسيا لم يكن فى امكانها كشف أسرار الذرة الأمريكية بواسطة علمائها دون الجواسيس ، ولكن اذا كانت الولايات المتحدة قد عرفت فى أوائل الحرب الثانية مقدار ما حصلت عليه روسيا من هذه الاسرار فى نهاية ١٩٤٥ بواسطة جواسيسها فان تجاربنا الحالية لابد أن تكون متقدمة بمقدار ١٨ شهرا عن مستواها العادى اليوم ·

ويتوقف نجاح هذا الاعتبار بالطبع على : أولا هل ستقوم حرب أخرى تستخدم فيها القنابل الذرية ؟ ، ومتى تقوم هذه الحرب ؟ ويتضح لنا أنه اذا تأخر قيام الحرب عشرة أعوام أخرى أو عشرين عاما فستصبح مبادأة الروس فى الحرب أقل خطورة وأهمية كلما طال الزمن ، وواضح أيضا أن هناك احتمال عدم استخدام القنابل الذرية فى الحرب العالمية الثالثة كما لم تستخدم الغازات السامة فى الحرب العالمية الثانية ، ولو أن ذلك ليس قياسا · وعلى كل حال ربما يتوقف ذلك على كمية المخزون لدينا من القنابل هل هو أكثر وأفضل مما يملك الروس أم لا · والخواص الفنية للقنبلة الذرية ليس مجالها فى هذا الكتاب ولكن هناك ملاحظات يجب الالتفات اليها حيث هناك ميل لعدم ادراك أهمية جواسيس الذرة وطبيعة المعلومات التى يفشونها ·

أولا ـ لم يكن فى مقـدور (فوخس) أو أى شـخص آخر أن يعطى الروس القنبلة الذرية ، وعلى ذلك قد بولغ فى أهمية (فوخس) فى البيان الأمريكى ، فصناعة القنبلة الذرية تتوقف كلية على وجود المصادر الصناعية والفنية الضخمـة وعن عـدد من العلماء والفنيين المـدربين ٠ وكل هؤلاء موجودون فعلا فى روسيا بدون شك وكما هو مذكور فى البيان الامريكى يمكنهم انتاج القنبلة الذرية بدون مسـاعدة خارجيـة ٠ وأهم فصل فى المعلومات التى حصلوا عليهـا من أمريكا كانت عن امكان صنع القنبلـة وتفجيرها وهذه المعلومات عرفوها قبل أن يفيدهم بها الخونة ٠

وليس هذا على كل حال عذر (لفوخس) أو غيره من الخونة ، فهم اذا كانوا قد قدموا أى مساعدات أخرى للمجهود الروسى فهم مجرمون ما فى ذلك من شك فالمقصود هو البحث عن قيمة الضرر الذى حدث فعلا نتيجة لهذه الخيانات ٠

والنقطة الثانية التى يجب أن نواجهها هى أن هنـاك احتمالا بوجود خونة آخرين فى درجة (فوخس) ولا يزالون أحرارا طلقاء ٠ وقد كشف أمر شبكة الجاسوسية الكندية مصادفة بعد ارتداد (جوزنكو) عن الشيوعية ٠ كما أن (فوخس) لم يقع عليه الاشتباه الا بمصادفة فى الولايات المتحدة و (بونتكورفو) اختفى ولكن لم يثبت ضـــده أى شىء وزيادة على ذلك فنحن نعلم أن الروس قد قدموا لفوخس أسئلة معينة وخاصة عن العمل فى بركلى بكاليفورنيا وعن القنبلة الهيدروجينية ـ وهذه الاسئلة كانت بسبب المعلومات التى لم يمكن الحصـول عليهـا من الخونة الآخرين ٠ وعلى ذلك نوقن أن فوخس وزملاءه ما كانوا الا قسما من شـبكة كبرى ولا يعلم الا (الكرملين) مدى هذه الشبكة ٠

والنقطة الثالثة ـ وهى النقطـة الحيويه ـ تتعلق بادارة الأمن ، فهلا كان من الممكن ابعاد فوخس والخونة الآخرين عن بحوث التجارب الذرية ؟ وهلا كان من الممكن منعهم قبل أن يرتكبوا جناياتهم ؟ ٠

وقد ألقى المستر أتلى ـ رئيس الوزراء بعد ذلك ـ بيـانا على مجلس العموم بعد خمسة أيام من محاكمة (فوخس) وبما أنه كان هو البيـان

الرسمي الوحيد عن هذا الموضوع فى بريطانيـا فمن الصواب أن نقرأه ، فقد قال :

(أود أن أقول كلمة عن موضوع كان مدار كثير من الحديث فى الصحف وهو موضوع (فوخس) فهو حادث محزن ومؤسف جدا فهو لاجىء هارب من اضطهاد النازى فلاقى كرما واعزازا منا ثم عمل (سرا) ضد سـلامة أمتنا التى آوته • وأقول (سرا) لان الصحف ثرثرت عن عدم كفاءة ادارة الامن وانى أنكر هذا •

(لم يمض على وجود هذا الرجل بيننا طويلا ـ فهو أتى فى ١٩٣٣ ـ وقيل لنا أنه شيوعى ، والذين قالوا لنا هذا هم الجستابو وكان الجستابو فى ذلك الوقت يتهمون كل من كرهوه بأنه شيوعى ولكن لم تظهر لنـا الظروف صحة هذا الاتهام فمنذ ذلك الوقت لم نجد عليه أى شبهة فى هذا الاتجاه اطلاقا ومع ذلك فقد فرضت عليه رقابة شديدة بين وقت وآخر • ان (فوخس) رجل عالم فذ ، وقد ندب فى ١٩٤١ لعمل خاص فى وزارة انتاج الطائرات ثم نقل الى مصلحة البحوث العلمية • سافر الى أمريكا ثم رجع الى هارويل ، وفى كل هذه الجولات كانت تعمل عنه التحريات الدقيقة ولم يثبت عليه شىء كما لم يرتب فيه أحد أصدقائه المقربين ، وقد أخذت الجامعات التى عمل فيها أحسن فكرة عن عمله وعن خلقه •

وفى خريف العام الماضى جاءت افادات من الولايات المتحدة مؤداها أن هناك معلومات تسربت بينما كانت البعثة البريطانية موجودة فى الولايات المتحدة وهى البعثة التى كان (فوخس) أحد أفرادها ولم توجه الشبهة الى أى واحد بالذات فبدأت ادارة الامن تعمل بنشاط كبيروقد نجحت كما يعلم المجلس •

(انى اتحمل كل مسئولية اذ أوقن بكفاءة ادارة الامن وانى مقتنع أنه ما لم تكن لنا الشرطة السرية كما فى الدول الاتوقراطية وما لم نستخدم وسائلهم التى يستهجنها كل فرد فى هذه الدولة ، فلا توجد أى وسيلة يمكننا بها أن نكتشف ذاك الرجل •

وليس هناك أبسط من أن توصم ادارة الامن ، وانى أؤكد أنهم عملوا واجبهم بسرعة وكفاءة حالما أمسـكوا بالخيط الذى أوصلهم الى الحقيقة • ويجب أن أقول أنه من السهل جدا عند حدوث مثل هذه القضية أن نشعر

بالضيق والقلق لحدوثها ، ولكنني لا أرى أي وجه للوم حكومة السيد المحترم المستر (تشرشل) الذى كان رئيس الوزراء عندما استخدم (فوخس) لأول مرة فى البحوث الذرية ، كذلك لاوجه اللوم للحكومة الحالية أو أى موظفين آخرين لما حدث فنحن أمام حادثة غريبة للغاية ولم يكن من المنتظر حدوثها وانى ألقى هذا البيان بسبب الهجمات التى هوجمت به هذه الحكومة وهؤلاء الموظفون ولما يؤسف له أنه لم تذكر أى تفصيلات أخرى عن قصة (فوخس) فى ذاك الوقت لان بيان المستر (أتلى) لم يهدىء الشعور بأن رجال الامن عليهم لوم كبير وأن القلق ـ اذا كان هناك قلق ما ـ قد ازداد منذ ذاك الوقت • أما فى أمريكا الشمالية فالامر مختلف تماما فالجمهور علم بكل التفاصيل فتسعون فى المائة من المعلومات عن القنبلة الذرية وكذلك عن جواسيس الذرة التى وصلت الى علم الجمهور فى كندا والولايات المتحدة انما وصلت فى كراسات وزعتها الحكومة أو عن طريق المؤتمرات الصحفية أو محاضر الجلسات فى الكونجرس والتحقيقات والمحاكمات الطويلة التى تجرى مع الخونة الامريكيين • فالجمهور فى أمريكا لديه كل فرصة ليعلم بنشاط ادارة المباحث العامة وأفراد الامن ـ أما فى بريطانيا فقد جرت محاكمتان قصيرتان (لنان ماى) و (فوخس) وصدر البيان القصير المذكور من المستر أتلى وأما الباقون فلم يذكروا شيئا فليس من المفاجأة ادن أن توصم ادارة الامن البريطانية بالتقصير ، وان لم تبد أى دفاع عنها فستؤخذ ادارة الامن البريطانية على أنها مذنبة حتما وأنها غير كفء بالمرة• وفى أواخر صيف ١٩٥١ كانت لا تزال الهجمات ضدهم ، فقد قامت (المس ربيكا وست) بمهاجمة بيان المستر (أتلى) بشدة فى مقال نشر فى صحيفة (الايفننج ستاندرد) فى ٤ يولية • نذكر منه الآتى :

(ليس من الحكمة كلية اتهام السياسيين للصحفيين بأنهم يثرثرون ، فلو أن أحدا من هؤلاء السادة قد جهل هذه القصة لما صبر حتى يوم المحاكمة ، ولن يجد الشخص الفطين الذى يراهنه بأكثر من (نصف ريال) على النتيجة • كان حديث المستر (أتلى) عن هذه القضية مفككا كشعر جوديفا بل هو فضفاض كجلد فرس البحر) ـ وجوديفا امرأة من العصور الوسطى كانت تسير عارية وبدون تسريح شعرها (المترجم) •

والنقطة التى كانت محور مقال (المس وست) هى أن السلطات كان لابد أن تعرف من بدء أن (فوخس) كان شيوعيا ، واذ لم يعرفوا هذا فكان على الاقل يجب ابعاده عن الاطلاع على الطاقة الذرية • وهى ترى أن

(فوخس) لابد أنه كشف لهم عن نفسه بأنه شيوعي عندما وقف أمام محكمة رعايا الأعداء في أدنبرة عام ١٩٣٩ ولكن الحقيقة هي أن (فوخس) لم يقرر مثل هذا الكلام أمام المحكمة بتاتا ولم يعترف لاى موظف رسمى بأنه شيوعي سواء في بريطانيا أو أمريكا حتى تقابل مع (سكاردون) في هارويل في ٢١ ديسمبر ١٩٤٩ • فقد كان طوال العشر سنوات يحاول جهده أن يكتم هذا السر ،(وعشر سنوات عبارة عن (عمر طويل) من حياة أى رجل !) •

وكان التقرير الذى وصل من القنصل الالمانى فى بريستول عام ١٩٣٤ أمام جميع السلطات ، فلو أن سلطات الامن اهتمت في هذه المدة بالتحقيق من رجال الجستابو عن الحقيقة وتحرت بين أصدقاء (فوخس) فى عهد صباه لاكتشفوا الحقيقة وهى أنه كان في ألمانيا شيوعيا بالفعل •

ولم يحدث أى اعتراض طوال هذه المدة على قيامه بعمل سرى ولم تتمكن ادارة الامن من اتخاذ أى خطوة حتى دعى للعمل في مسابك الانابيب فى ١٩٤١ ثم ووجه بالمعلومات التى أتت من القنصل الالمانى فى بريستول ثم ماذا ؟ اقسم (فوخس) بولائه للتاج البريطانى ووقع وثيقة بأنه لن يبوح بالاسرار لاى شخص غير مسئول ، ثم روقب بعد ذلك في جميع حركاته كما روقبت آراؤه فكان مخلصا حقا بل لوحظ أن له عقلية أمن (أى حريصة من وجهة الامن) •

فماذا يعمل الانسان أمام هذا ؟ هل ترفض استخدام (فوخس) علما بأنك كنت مضطرا لخدماته ، وكانت الحالة فعلا في حاجة اليه من أول ١٩٤١ حتى الحق فى أول مرة بمسابك الانابيب ؟ •

كان في ذاك الوقت قد أقام سبع سنوات في انجلترا ولم تقم ضده أى شبهة فى ذاك الوقت • وقد يكون من الصحيح أنه بعد أن وصل الى انجلترا كانت لا تزال له ميول الى الشيوعية وأنه يتعاون بصفة خاصة مع المهاجرين والجماعات اليسارية ، ولكن هذا كان حال العلماء الآخرين فى الولايات المتحدة بل وفى بريطانيا أيضا ، ثم أن عددا منهم قد استخدموا فى مشروعات الطاقة الذرية كذلك • على كل حال قد يرى الانسان فى هذه القضية أن سياستنا فى أثناء الحرب كانت أكثر تساهلا مع الشيوعية عما هى الآن وكان لابد من هذا التساهل وقتذاك • ولكن بعد الحرب عندما

أصبح عداء روسيا سافرا وتغيرت سياستنا غير كثيرون من الشيوعيين وجهات نظرهم أيضا ، ولكن كان من سوء حظ بريطانيا أنها استخدمت أشخاصا مثل (فوخس) الذى ظل على عقيدته مع روسيا ولم يغيرها ٠

وهناك أناس يعترضون فيقولون أن الرجل الذى كان يوما ما شيوعيا فهو دائما شيوعى ، ولكن اذا طبقت هذه النظرية لكان لابد من أن يستقيل كثيرون من كبار موظفى دول الاطلنطى فى الحال ، لان الايام كفيلة بأن تغير المذاهب السياسية للرجال ، وكان عند السلطات دليل بأن (فوخس) كغيره من الكثيرين قد تبدل من مهاجر ألمانى الى مواطن بريطانى مخلص ، ومع ذلك لم يكن لهذه السلطات أى حق فى رفض استخدامه فى عام ١٩٤١ على اعتبار أنه كان شيوعيا منذ ثمانى سنوات ، هذا مع فرض أنهم كانوا يعلمون بهذا ٠ أما وأنهم لم يعرفوا هذا فقد كان لهم كل الحق فى أن يعلنوا صلاحيته للاعمال السرية للامريكيين فى ١٩٤٣ ثم فى السماح له بالعمل فى هارويل عام ١٩٤٦ ٠

ومع ذلك فهو لم يوثق به الثقة التامة فى أى مرحلة من هذه المراحل فقد استمرت الشرطة فى التحرى عنه فى بدء استخدامه فى عمليات الطاقة الذرية فى برمنجهام عام ١٩٤١ وكذلك عندما طلب التجنس بالجنسية البريطانية فى العام التالى ، ثم فى مرة ثالثة قبل أن يرسل الى الولايات المتحدة فى ١٩٤٣ عندما قضى ثلاث سنوات تحت رقابة رجال الامن البريطانيين على تحركاته ٠ وبعد ذلك مباشرة رجع فى ١٩٤٦ الى انجلترا ودخل هارويل وقد أجرى حينئذ تحرى رابع عنه واستمر هذا التحرى أشهرا ولم تكشف أى من هذه التحريات شيئا ضده كما لم يمكن لادارة الأمن فى أمريكا أن تقول عنه شيئا هى الاخرى ٠

فعلى ضوء هذه الحقائق كان حديث المستر (أتلى) أقل فكاكا من شعر (جوديفا) وأقل ترهلا من (جلد فرس البحر) بل كان متماسكا كرق انطبلة دقيقا كنقش الريشة (على ظهر القنفد) ٠

ومع كل هذا فقد كان هناك سؤال آخر عن رقابة رجال الامن على حركات (فوخس) ٠ فنحن نعرف أن فى طوال هذه المدة كان (فوخس) يتقابل بالفعل مع عملاء الروس فكيف فشل رجال الامن فى ضبطه ؟ ٠

أن (لفوخس) رأى في هذه النقطة ، فقد قال أنه على ما يذكر لم يخطىء ولا مرة بل كان يحتاط لنفسه حتى يبدو تغيبه دائما أنه مصادفة بل وطبيعيا • ولم يتحدث في السياسة في مرة واحدة ولم تبدر منه كلمة يشتم منها أصدقاؤه شيئا عن أسراره ثم أنه لم تكن له زوجة كما أنه لم يتخذ صديقا وفيا يفشي له سره •

على هذا نجد أنه قد تقابل مع العملاء اثنتى عشر مرة فى انجلترا قبل أن يذهب الى أمريكا ونحو خمس مرات مع (هارى جولد) فى نيويورك ومرة في بوسطون ومرتين فى سنتافي وثماني مرات أخريات بعد رجوعه الى انجلترا فى ١٩٤٦ وكل هذه تبلغ نحو ٣٠ مقابلة •

وهناك رد على هذه النقطة ، وهو أن هذه الثلاثين مقابلة حدثت في مدى سبع سنوات أى بمتوسط أكثر قليلا من أربع مرات في السنة الواحدة وكانت كلها فى بلدان مختلفة • ثم أنه فيما عدا مرة أو مرتين دام كل اجتماع منها برهة قصيرة ربما كانت ربع ساعة أو أقل ، فلا ينتظر من رجال الامن أن يظلوا فى وضع (تحت السلاح) فى رقابة حركات رجل فى ذهابه وجيئاته طوال العام من أجل أربع فترات كل منها ربع ساعة فقط • فما لم تكن لديهم الدواعى لاتهام الرجل فان هذه الرقابة على عالم الذرة ستكون أمرا سخيفا جدا ــ وستحتاج الى عدد كبير جدا من المخبرين • ولا يوافق أحد على هذا الاجراء من متابعة الرجل ورقابته حتى وأن مسته الشبهة •

واذا ما كان مسافرا بالعربة فى طريق ريفي فسيتنبه حتما وبسرعة الى العربة التى تراقبه وسيخلف موعده بالطبع فى ذاك اليوم •

واذا كان فى المدينة ــ وكانت أغلب مقابلاته فى المدينة فعلا ــ فسيغير وجهاته مثلا من بادنجتون الى مورننجتون كرست بالمترو (تحت الارض) ولن يذهب بالطبع الى مورننجتون مباشرة بل الى بيكاديلي سيركاس • ثم أننا اذا نجحنا فى تتبعه بين الزحام فى هذه المدينة فبلا شك سيركب القطار الى اتجاه مخالف للذى كان يقصده وسيسافر ثلاث أو أربع محطات وفى المحطة الاخيرة عند قفل أبواب المترو سيقفز فجأة وسيكرر هذه المناورة مرات عدة ، واذا كان يتتبعه رجل واحد فسيتنبه اليه حتما • فلابد اذن من تعيين عشرة أو عشرين رجلا وامرأة لمتابعته بأمل تضليله بهذا العدد الكبير وفى هذه الحالة سينقص عددهم تدريجيا فى هذه المتابعة ومع ذلك

فيكاد يكون من المستحيل دوام رقابة جاسوس متمرن ، ولم يكن فوخس جوسوسا متمرنا فقط ولكنه كذلك شديد الحرص فى هذه الامور ٠

هنـاك عشرات الآلاف من الموظفين الـذين كانوا يعملون فى مشروع القنبلة الذرية فى الولايات المتحـدة فى أثنـاء الحرب ، ويعلم مئات منهم ما يعلمه (فوخس) ، ومع ذلك قامت ادارة الامن الامريكية بالحاق حراسها على أقدم الموظفين فى المشروع فقط (ليس لرقابتهم أكثر مما هو لحراستهم) ولم يقم أحد بلوم هذه الادارة على عـدم مراقبة (فوخس) أيضـا ضمن هؤلاء العلماء لانه لم يكن من أقدمهم ٠

أعطى المستر (جوردون دين) الذى كان يوما ما رئيس لجنة الطاقة الذرية للولايات المتحدة وقت حادث (فوخس) حديثا فى صيغة سـؤال وجواب ، ويلقى هذا الحديث الضوء على الامن البريطانى الامريكى ، ولذلك من الضرورى درج هذا الحديث بنصه :

س : كم يلزم من الزمن لتقرير صلاحية الفرد للعمل السرى ؟ ٠

ج : متوسط هذا الزمن الآن هو ٥٣ يوما ٠

س : وماذا يتكلف هذا من مال ؟ ٠

ج : يتكلف ذلك مبلغا بين ١٠٠ و ٢٠٠ دولارا عن الشخص الواحد فاذا ما أردت التحرى لتقـرير صـلاحية آلاف من النـــاس للمشروعات السرية فلابد لك من مبلغ ضخم جدا ٠

س : ماهى نسـبة النـــاس الـذين تتحرى عنهم ثم يثبت عـدم صلاحيتهم ؟ ٠

ج : نسبة قليلة جدا وهى أقل من نصف فى المائة ٠

س : هل ترى أن الترتيبات التى تجريها الآن مع الحكومة الاخرى للحصول على المعلومات (بخصوص التحريات) كافية ؟ ٠

ج : هل تقصـد أن تســـألنى عن ثقتنـا فى المعلومات الحكومية الأخرى ؟ ٠

س : الى أى مدى حصل البريطانيون على معلوماتنا الذرية ؟ انى أعتقد أن المفروض أننا مشتركون معهم فى التطور الاصلى للطاقة الذرية ؟ ٠

ح : فى أثناء الحرب كانت الشركة تامة وقرر البريطانيون أن يوقفوا تجاربهم عن انتشار الغاز وأتوا الينا فى أمريكا فأشركناهم معنا اشراكا كليا ٠ وكان هناك ثلاثون عضوا فى البعثة العسكرية التى أتتمن بريطانيا وقصدت لوس الاموس ــ كما اعتقد ، وقد اطلعوا على كل شىء ، وقاموا بمعاونة صادقة فى تطوير الاسلحة ٠ ومنذ الحرب قمنا بالعمل مع البريطانيين بتفاهم تام وكذلك الكنديين فى عدة مناطق لم تكن مناطق أسلحة ، وتبادلنا الزيارات فى هذه المناطق ٠ هذا هو الحد الذى وصلنا اليه فى الاشتراك معهم ٠

س : فى نواحى الاسلحة أظن أنه ليس هناك تبادل صحيح ؟ ٠

ح : لا ٠

س : هل كان لمأساة (فوخس) أى تأثير على هؤلاء العلماء الذين كانوا يميلون منذ زمن طويل الى السخرية من حاجتنا الى التشدد فى أمور الامن ؟ ــ فالعلماء الامريكيون (كما تعلم) تضايقوا نوعا وسخطوا لرغبتنا فى التشدد فى أمور الامن لانهم ظنوا أنه من غير المعقول أن تتمكن روسيا من الاتيان بما أتت به فعلا ! ٠

ح : لا أقول أن العلماء هم الذين تأثروا فقط ، فقد كانت قصة فوخس ضربة على كل من له علاقة بهذه المشروعات ٠

س : اذن من رأيك أن المسألة جاءت نعمة لانذارهم ؟ ٠

ح : بالضبط ٠فقد كان هناك بعض الخير وهو بالطبع أقل من الضرر الذى حدث ٠

س : سألقى السؤال بطريقة أخرى · ظهرت حادثة (فوخس) دون علمنا ، فهل الاجراءات الحالية اذن كافية ؟ ·

ح : أظن أن الاجراءات الحالية أصبحت كافية ، فقد اجتمعنا فى مؤتمرات كما تعلم مع رجال الامن البريطانيين والكنديين بعد الحادث مباشرة وتباحثنا ثلاثة أيام بالاخص لتطوير مستويات الأمن عندنا جميعا وأظن أنها أصبحت الآن مضمونة ·

س : يبدو أنك لا تخشى أى ضرر من هذه الناحية ؟ ·

ح : أبدا ، ولو أنه قد يحدث أن ينزلق فرد ما مهما كانت الاجراءات غاية فى الدقة ·

س : نحن اليوم نقرر صلاحية الاجانب للاعمال السرية أليس كذلك ؟ وها نحن لم نقرر صلاحية (فوخس) نفسه واعتمدنا على البريطانيين ! ·

ح : لا يمكنك أن تتوقع أن تقوم ادارة المباحث الجنائية بالتحرى بنفسها فى داخل الدول الاجنبية جميعها ، فالذى يحدث هو أن نفوض جماعة أمن مشتركة (وهى تقابل جماعة الامن عندنا) وذلك للتأكد من أن التحريات تشمل على جميع النقط التى نتحرى عنها نحن عادة فى الولايات المتحدة · وبالطبع تقوم ادارة المباحث العامة الامريكية بدورها بنفس الشىء من أجل الحكومات الأخرى · واذا طلبت الحكومات الاجنبية التحرى عن شخص موجود بيننا ، تقوم ادارة المباحث الجنائية بهذا العمل لها ·

س : هل يمكنك تقييم الضرر الذى تسبب لدولتنا من (فوخس) ومساعديه عندما عاونوا الروس فى تقدمهم على حسابنا ؟ ·

ح : من الصعب تقييم هذا الضرر ولكنى لا أظن أنك تبالغ اذا قدرت هذا بأنهم تقدموا زمنا بين العام والعامين ·

س : هل لديك أى فكرة عمادها هؤلاء الاشخاص أو هل هناك عيب في نظمنا الديموقراطية حتى أن هؤلاء الاشخاص يخطئون كما أخطأ فوخس ؟ وهل العــالم أقل ميلا للولاء لامته عن غيره من الناس ؟ أيعتبر نفسه أنه مواطن عالمي ويريد أن يمنح الجميع كل شيء ؟ وما هــو الســبب في أن فوخس قد وقع في هذه الزلة ؟ ٠

ج : لا يمكن أن نقول أن العلماء عموما يختلفون عن الناس في هذا ٠ وهناك كثيرون من الخونة من غير العلماء ٠ و (فوخس) هو نوع خاص من الناس فقد كان يصح أن يتم القبض عليه لو أنه كانت هناك (تحريات أمن حقيقة) ضده ، وقد لا يقبض عليه كلية بناء عن أى تحريات لانه كما رأينا لا يخلص لشيء كما يخلص الناس ٠ فهو دائما يقوم بما يمليه عليه عقله دون اعتبار لاى قوانين يسير عليها ٠ فماذا تعمل مع رجل كهذا ؟ أنه رجل ذكي جدا وهو رجل مستقل فى رأيه وهو خيالى الى حد ما وقد يكون شيوعيا خياليــا ولكنه على العموم رجل له بعض خياليات من نوع خاص ٠ فمثل هذا لا يمكن ضبطه فى أى تحريات ٠

(هذا الحديث مأخوذ عن كتاب (الجاسوسية الذرية السوفيتية) الذى وزعته المطبعة الامريكية لحكومة الولايات المتحدة ، بواشنطون فى ١٩٥١)٠

ولو أن المقصود من قول (المستر دين) ـ (تحريات أمن حقيقية) فى آخر اجابة له غير واضح تماما فمن الصعب ايجاد بيان عام أنسب عن هذه القضية من هذا البيان ٠

ولو كان هذا الحديث نشر بصفة أعم من الكيفية التى نشر بها لامكن التحفظ على حسن العــلاقات الانجليزية الامريكية التى اهتزت بســبب (فوخس و نان ماى) ولا تجهت نحو دفع الاتهام الذى لا يزال سائدا فى كل مكان عن أن (فوخس) كان يجب أن يقبض عليه لو أن ادارة الامن الأمريكية رفضت قرار الصلاحية الذى قدمتــه بريطانيــا عنه بل طبقت طريقتها الخاصة بالنسبة اليه ، ولو أنه قد تفشل طرائق الامريكيين كما فشلت طرائق البريطانيين من قبل ٠ هناك شيوعيون آخرون متخفون غير (فوخس) فى داخل لوس الاموس وهم مواطنون أمريكيون وقد نجحوا فى التحريات عنهم فمنحوا الصلاحية للخدمات فى الاعمال السرية ، ويقول

المستر دين أن مثل هؤلاء الخونة هم جماعة خاصة لهم ذكاء متوقد ولن يتمكن أى تحرى عن ولائهم واخلاصهم من كشفهم كما لا يمكن لاى نظام أمن من (قفش) رجل يغير آراءه سرا بعد أن يتم التحرى عنه بأيام ·

فلا معنى اذن لان تسوء الظنون والاتهامات بخصوص أمثال (نان ماى و فوخس) فى بريطانيا أو أن نحصى على كل دولة عدد من قبضت عليهم من الخونة ·

ويجب أن نعرف أن الحدود الجغرافية أو محل الميلاد ليس لها الا تأثير قليل جدا فى هذه الامور فهى مسألة دولية تتعلق بنا جميعا فيجب أن نقرر كيف تطبق اجراءات الامن فى الولايات المتحدة وفى بريطانيا وفى أى دولة أخرى فى الغرب · وطبعا أن الامر أهم من وضع أسوار من الاسلاك الشائكة والاختبارات فى الولاء ووضع الخزائن الصلب وبطاقات المرور الخاصة ، ولنتجه مباشرة الى النقطة التى وضحها جيدا المستر الان بات فى كتابه الحديث ·

(الولاء عند الرجل الحر The loyalty of Free Man) وهى أن الامن لن يكون أبدا تاما · Security is never absolute

فالحكومة التى تتولى شعبا حرا يجب أن تتحين الفرص لضمان الحرية التى تاباها الحكومة المستبدة على شعبها لانها لا ترى قيمة لهذه الحرية ·

واذا كان أمثال (فوخس) هم ثمن ما يجب أن نضحى من أجل حريتنا فلا جدال فى أن الافضل الا نحتفظ بهذه الحرية ، ولنعمل كما يعملون فى روسيا فنحبس أنفسنا وأسرارنا خلف ستار حديدى ثم نعين الشرطة لرقابة العلماء ونراقب تليفوناتهم ونمنعهم من السفر الى الخارج، وقد تكون هذه طريقة مثلى فى الامن الا أنها لن تبقى طويلا ، فالروس عندهم خونة هم الآخرون رغم الوسائل البوليسية الشديدة التى تضغط على حياتهم اليومية والاسوأ من هذا أن النازيين أدركوا أخيرا أن تعسفهم وقسوة الشرطة عندهم كانت السبب فى هجرة علمائهم من الدولة ، وها نحن نرى أن القنبلة الذرية قد قام بعملها ــ الى حد كبير جدا ــ المهاجرون الذى هربوا من هذا الضغط الى انجلترا وأمريكا ·

ومن العبث أن ندعى أن (فوخس) قد لا يمكن أن يقبض عليه قبل الموعد الذى تم فيه القبض عليه بمدة طويلة ولكن اذا كانت اجراءات الامن أكثر دقة كأن لديهم أفراد أكثر وميزانية أكثر تحت أيديهم واذا كان هناك حظ أوفى فكانت السياسة العالمية مختلفة نوعا عما هى عليها لامكنهم حتما القبض عليه قبل ذاك الموعد • ثم أننا نعجب فيما هو جواب هذا السؤال : ما هو الجزاء الذى كان سيوقع عليه لو أنه كشف وقت أن كان الروس يقاتلون فى معركة ستالينجراد ، فبالطبع كان الحنق عليه فى ذاك الوقت أقل كثيرا ، فقد لا يؤخذ على أنه أكثر من أن أحد العلماء قد سلم فى عام ١٩٥٢ الاسرار الذرية بين الولايات المتحدة وبريطانيا • ومع ذلك فهذه النقطة لا يمكن التفكير فيها واثارتها وهى لا تقدم أى خطوة فى سبيل الدفاع عن نظم الامن فى الدولة • وأخيرا تنتهى مسألة الامن فى الآتى : أمثال (كلاوس فوخس) والخونة الآخرين هم صنف جديد من الخونة فى العالم ، وأنه قد يوجد مثلهم فى أى دولة أخرى وسيتواجدون مرة ومرة مالم يوجد تآلف بين الشيوعية والديموقراطية •

ولابد من حدوث نتيجة خطيرة من ركود هذه العقول الجبارة فى السجن دون انتاج ، هذا وقد شعر الخونة الآخرون بالخطر عليهم فاحتاطوا ، أما سكوت (بونتكورفو) فقد أعطاهم تحذيرا بأن العالم منهم أن دخل حدود روسيا فقد الحرية بأكملها •

(ويجب أن نذكر أن اختفاء (بونتكورفو) ليس له أى علاقة باختفاء الموظفين الدبلوماسيين البريطانيين (بيرجيس وماكلين) ــ اللذين لا يعرف عنهما أى شىء حتى الآن •

وقصة هذين السياسيين مختلفة تماما عن قصة جواسيس الذرة الا فى أن الجميع لعبوا أدوارهم فخانوا الثقة التى أولاهم اياها المسئولون فى الحكومة) •

ويذكر لنا المستر (دين) نقطة هامة أخرى فهو يرفض أن يقبل النظرية بأن العلماء هم طبقة تميل الى ضعف الولاء عن غيرهم من الناس ، واعتراضه على ذلك هو : يقوم العلماء فى معاملهم بالعمل على قوانين علمية ثابتة ومعلوماتهم عن العالم الخارجى محدودة ويظنون أن السياسة يجب أن تسير على نفس القوانين أيضا ، وقد خصهم (كارل ماركس) ببند خاص، وزيادة على ذلك فهم بطبيعة عملهم يعتمدون على المعلومات الحرة فى العالم فهم اذن دوليون •

ولنا ملاحظة فى هذا هو أنه لا توجـد أى قرينة بأنه قد ظهر من بين العلماء خونة أكثر من الطبقات المتعلمة الاخرى فى المجتمع ، فقد كان هناك دبلوماسيون خونة وعسكريون خونة وسياسيون خونة ولا حد لهم وكل هؤلاء لا علاقة لهم بالعلوم • فالعالم الخائن انما قد اشتهر فى العشر سنوات الأخيرة لان تحت يده معلومات حساسة يمكنه أن يتصرف فيها ،ثم ان هناك بعض الالتباس بالنسبة لما حـدث لسمعة العلماء ، فليس من المحتم لكى يصبح العالم دوليا أن يكون خائنـا • ولان علماء الذرة هم أول من أدرك القوة المدمرة التى تحت أيديهم لذلك كانوا بالطبيعـة بين أول من تقـدم لانذار العالم ، وفرضوا رقابتهم الدولية ثم تشـاوروا فى المعلومات التى كانت هى الوسيلة الممكنة الوحيدةلمنع أىحرب ذرية وتدمير البشرية تدميرا فوق ما يتصوره العقل •

فلابد أن يبرهن لهم على خطأ هذه النظرية ولكن اذا ما حدث أن أعربوا عن رأيهم هذا فى ظرف ما فلا يكفى ذلك لان يؤخذوا على أنهم خونة •

والاخلاص وسيلة عظيمة من وسائل التنكر وقد تنكر (فوخس) تماما فقام بأمور قد لا يحلم أى جاسوس محترف بأن يقوم بها ، كان دوليا فى حركاته ــ وعلى الاقل فيما يختص بروسيا السوفيتية ــ والتحف بلباس الأعجاب والغرور الشديد واختراق الاسلاك الشائكة مثل الرجل الخفى فى رواية هـ• ج•ج ويلز (لابس طاقية الاخفـا) وفى النهـاية (نفد) من رجال الأمن وكذلك من رجال ا• م• ج• فى أمريكا فلم يمكنهم أن يمسكوا به) ولكنه وقع نتيجة لامر مختلف بالكلية : وذلك عندما تعلق بقيم الحياة العادية البسيطة عندما استقر نهائيا فى هارويل ولكن من السذاجة الاعتماد على هذه النقطة اعتمادا كبيرا ، والأكثر سذاجة اذا قلنا أنه لن يعود الى ارتكاب خيانات جديدة ــ اذا ما تغيرت الظروف • كما أنه من العبث أن نجد مبررا لهذه العمليات فىعام ١٩٤٠ فقد قطع اتصالاته مع الروس وذهب للقاء ضابط الامن ليقول له (انى خطر على الامن ، فوالدى انتقل الى روسيا) وكذلك قال له (احضر الى ، فلدى اعتراف أريد أن أدلى به اليك ، وقبل كل شيء أريـد أن أبقى فى هارويل ولكن لابـد أولا أن أنتهى من هـذا الاعتراف) •

وقد كرر مرارا فى أثناء التحقيق خوفه من أن لا يفهمه أصدقاؤه ، فقد آذاهم كثيرا ، وأخذ يكرر نفس الشعور فى اعترافه الى (سكاردون) وختم حديثـه بالآتى (منـذ أن حضرت الى هارويل قابلت انجليزا من جميع

الاصناف ورأيت فى كثير منهم ثباتا قويا يمكنهم من أن يعيشوا عيشة شريفة ، ولا أدرى مصدر هذا ولا أظنهم هم كذلك يعرفونه ولكن الثبات موجود فعلا لا شك فى ذلك) وأخيرا عندما تم القبض عليه قال جملة واحدة هى (انتم تقدرون ما معنى هذا فى هارويل) ٠

وهذا يذكرنا بالقصة البسيطة فى كتب الاطفال وهى : أن الذئب عندما يقع فى الشرك أخيرا يتمدد على الارض ويضم مخاليه مستسلما ويبدأ فى الندم فقد تذكر أن أحدا من الناس قد أسدى له معروفا فى يوم ما ولم يرده له بعد ٠ ولكن من المعروف أن فى مثل هذه اللحظات العسيرة فى أثناء الاعتراف يمكن اقتناص الحقيقة بسهولة وبساطة ٠

ومما يثير الدهشة فى حياة (فوخس) أنه لم يكن له ماضى اجتماعى ليستعيض به عن احلامه واغتراره بالقوة والعظمة ٠

لقد كان (واعيا) كغيره من الكثيرين الاذكياء وممن هم فى كفاءته ومع ذلك اضطر اضطرارا لان يأخذ موضعه بين الطلبة اللاجئين فى انجلترا، وكانت الخيانة هى الوسيلة العجيبة التى اختارها ليشهر قوتة ، ولم تكن هناك أى عائلة أو أصدقاء من المقربين اليه ليرد عونه فهم موجودون بالفعل ولكنهم كانوا يعطفون عليه ٠

أما فى هارويل فكان رجلا قويا ورئيس ادارة ٠ وقوته معترف بها وكان محبوبا ومحترما ، فلا حاجة اذن لان يفكر فى موازنة خيانته٠ ولذلك كان عندما يرقد فى فراشه يفكر وهو متألم فى مشكلته وهى كيف يقتل الماضى بما فيه ويعيش حياته فى هارويل آمنا مطمئنا بين أصدقائه الذين أحبهم وأحبوه ٠ لقد أراد أن يبقى أخيرا محافظا ويشعر بالامن الذى لا يواتيه الا اذا انضم الى مجتمع يعيش فى استقرار فى مكان واحد ولمدة طويلة ٠

ربما كان هناك طريق واحد يوصلنا الى ادراك المسألة المعقدة عن الولاء التى تظهر فى هذه الدولة (انجلترا) : فان التقاليد التى يحافظون عليها هى ضمان كاف له وكذلك بالعادات التقليدية الثابتة عند الناس وبالزمن الطويل الذى تمتع فيه الناس بالتحرر من الخوف ثم بالمحبة ٠ ولابد أن تساند كل هذا فلسفة أو دين أو أى نوع من الايمان وهو أقوى مما أمكن للديموقراطيات أن تدعمه ٠ فلا يمكن أن يصل الخوف من روسيا الى زعزعة الايمان لديهم بل لابد من أمر ايجابى : أمر خيالى ٠ فالجريمة التى ارتكبها

(فوخس و نان ماى) هى أنهما ركزا ذهنيهما فى أمر اعتقدا بأنه أمر مثلى صحيح وبذلك فقدا محبتهما للناس الذين يعيشان معهم لقد فقدا وداعتهما وبعد ذلك فقدا صحة حكمهما على الامور • لقد تصورا أنهما يمكنهما أن يعيشا بدون محبة أصدقائهما ، ولكنهما فى النهاية وهما فى هذا الطريق أدركا الخطأ الذى وقعا فيه • كذلك ربما كانت (ماريان بونتكورفو) قد أدركت هذا الخطأ عندما حدث لها انهيار فصرخت وبكت عند قرب مغادرتها لانجلترا • كذلك ربما أدرك فوخس نفس الخطأ أخيرا عندما قال (أنتم تقدرون ما معنى هذا فى هارويل) •

وليس لهذا الكتاب حل عملى معد ليقدمه لمشكلة الأمن ولكن ربما كان هناك حل أوفق للمستقبل وهو ضرورة التحرى عن ماضى عائلة الرجل المستخدم فى مشروعات الذرة •وفى بريطانيا لا يحبون مسألة اختبارات الولاء لأن المعتقد أنها لا تكشف شيئاجديدا ثم لانهميرون أنها تهدمبعضا من تقاليد الحرية التى يعتمد عليها نفس هذا الولاء • ومع ذلك هناك طرائق أخرى تتبع فى أمريكا ـ أهمها (تقسيم) العلماء حتى لا يعرف أحدهم أكثر من ناحية واحدة فلا تتعرض كل العملية لخطر التجسس ، الا أن هذه الطريقة لم تنجح فى الولايات المتحدة فى حالة (فوخس) ، أما فى بريطانيا حيث تجرى المناقشات علنا وباستيفاء عن الخونة ومسألة الأمن فهذا أوقع وأفضل • ولكن لا يمكن لاحدى هذه الاقتراحات أن تمدنا بالجواب الشامل الكامل فهذا الجواب الشامل غير موجود وتبقى اذن المعادلة المزمنة وهى : كلما ازدادت الرفاهية نتيجة للديموقراطية كلما ضؤلت قوة الحزب الشيوعى ، وكلما ضؤل الخوف كلما قل عدد الخونة •

وفى الدولة المثلى التى تتمتع بالرفاهية والامن، نجد أن التهديد الوحيد لا يأتى الا من فوضوى وهو رجل يتباهى بالفوضى ويعمل لاثارتها ، فهل يمكننا أن نثبت أن أحد جواسيس الذرة كان فوضويا ؟ لايمكن أن تختلف خياناتهم عن القصة الخيالية (فاوست Faust) أو قصة (روبرت لويس ستيفنز ـ الدكتور جيكل) لان كلا من (فاوست وجيكل) لم يتعطشا للابتذاء الا بعد أن ملكا القوة والمعرفة •

وهكذا اعتقدا فى ضرورة حصول الرجل على حقه من المعرفة حتى انهما كانا معدين لمخالفة جميع قوانين الولاء وهدم المجتمع من أجل هذا فكانا اذن فوضويين فى ناحية ما • وكل علماء الطبيعة النووية فى القرن العشرين رجال أفذاذ (ومنهم هؤلاء الخونة) ومن رأيهم أن تتساوى جميع الدول فى

هذه العلوم وأننا يجب أن ننتهى من هذه البحوث عن الاسلحة الذرية من اليوم ولا نتمادى فى هذا الاتجاه بل نكرس أنفسنا كلية الى البحوث فى الطاقة الذرية المفيدة غير الضارة ٠

ومهما كان اخلاص (فوخس) قويا فقد حدث وهو رجل مسئول أنه ارتكب جرما كبيرا وذلك بأن قام بعمل ربما لم ينازعه أى أحد فى أهميته وهو أحد المسائل الخطيرة التى حدثت فى منتصف القرن العشرين ومن أسوأ ما فى الامر أنه عالم يوالى بحثه فى عالم الطبيعة (الفيزيقية) ويحصل على اكتشاف تلو آخر حتى يصبح أخيرا من حقه أن يبقى على الدنيا أو يدمرها ، ثم أنه وهو فى هذا المدار يفقد ايمانه فيرجع الى ماضيه وتاريخ حياته ويبحث عن بعض مأثرة خلقية أو نظام أو قانون سارت عليه حياته ليهديه الى كيفية التصرف فى هذه الاكتشافات فلا يجد شيئا ٠ وها هى القوة الذرية بما فيها من المعنويات التى تتحكم فى تصرفاته ؟ يجب أن تكون هناك ما يتحكم فى هذا وبسرعة قبل أن لا يكون هناك وقت للبت فى هذا الامر ٠

لم يسبق لفوخس أن اشتغل فى هذا من قبل علما بأن أغلب كبار العلماء كانوا يهتمون بهذا الامر كما لاحظنا ، بينما أن قليلا منهم فقط هم الذين اختاروا الفلسفة الماركسية كقاعدة صحيحة لاستخدام الطاقة الذرية ولا تزال نسبة أقل من هؤلاء قد وطدوا أنفسهم على أن يكونوا عمليين فى تنفيذ هذه المبادىء الماركسية ، واعتقد جميعهم تقريبا فى وقت ما أن الامل الوحيد للعالم هو أن يعلم كل الناس بهذا السر وما دام الجميع قد اشتركوا فيه فسوف يتحاشونه كما يتحاشى الناس الطاعون ٠

والتهمة الحقيقية ضد (فوخس) هى عدم التبصر ٠ فقد تعجل وحمل المسئولية بأكملها على عاتقه وحده ، فهو أقل علما من معظم الناس بالطبيعة البشرية ، ثم هو لم يذهب الى روسيا كلية ، ولم تسبق له أية تجارب فى الامور الدبلوماسية أو الادارية بل كان ملحدا وبعد كل هذا أعطى لنفسه الحق فى أن يصلح الكون ٠

وقد وصف المستر (الان بارث) أمثال (فوخس) فى هذا العالم عندما وصف خائنا أمريكيا فى كتابه فقال (أن عنده نوعا من المثالية وهى مثالية خاطئة لا موقع لها ، فقد فكر بأنه (لابد من القيام بعمل فعال) على أن يقوم هو بتنفيذه ، وهى حاسة تخلق الأنبياء كما تخلق الاشرار وكذلك تصنع الزعماء الوطنيين الافذاذ كما تصنع الخونة) ٠

وربما كما يقول المستر (بارث) عندما يلخص الخطابات التى أرسلها (بلينى الصغير) الى الامبراطور (تراجان) فى عام ١١٢ م سنجد أننا رجعنا الى عهد المسيحيين الاوائل فنرى خونة من نوع جواسيس الذرة ، فقد قال (بلينى) يصف وسائله فى معاملته للمسيحيين ٠

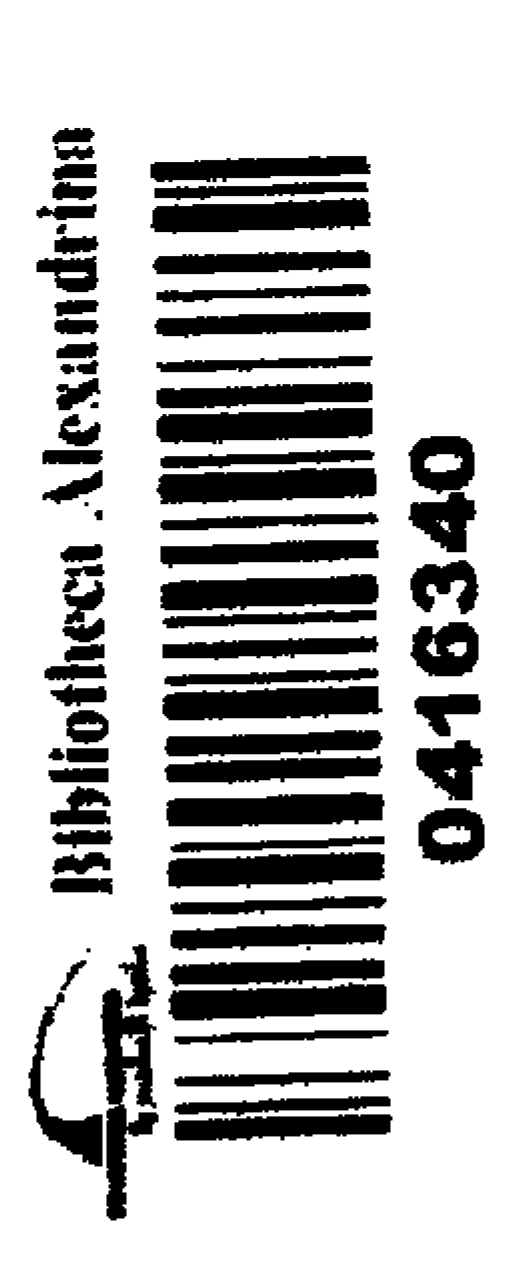
(سألتهم هل هم مسيحيون ، فاذا اعترفوا بذلك سألتهم مرة ثانية وثالثة مهددا أياهم بالموت ٠ فاذا مازالوا يقرون بمسيحيتهم أصدرت أوامرى بقتلهم ٠٠٠٠ وفى الحال وبالطريقة العادية ينتقل التحقيق الى الصاق تهم عدة بهم ٠وقد وصلتنى شكوى بدون توقيع ضد أناس مختلفين وعديدين ، وبعض هؤلاء أنكروا أنهم مسيحيون أو أنهم كانوا مسيحيين يوما ما ٠ وعندما ذهبوا معى الى المعبد للتعبد للآلهة تضرعوا اليها مع عبير البخور والنبيذ بالدعاء لجلالتكم ، وكنت قد جهزت هذه الصلاة المقدسة لهذا الغرض ، وأخيرا سبوا المسيح ، فرأيت تبرئتهم حيث من المعروف أن المسيحيين الحقيقيين لا يمكن اجبارهم على مثل هذا كلية ٠ أما الآخرون الذين ذكرهم المخبر فى بلاغه فقد أقروا بأنهم مسيحيون ولكنهم فى الحال سحبوا اعترافهم وأنكروه ،والحقيقة أنهم كانوا يوما مسيحيين ولكنهم ارتدوا أخيرا ٠ كان بعضنهم مسيحيين منذ ثلاث سنوات والبعض منذ مدة أطول من الثلاث سنوات بل أن قليلا منهم كان مسيحيا منذ ٢٥ عاما ٠ وكل هؤلاء رجعوا الى عبادة جلالتكم واصنام الالهة وسبوا المسيح) ٠

وافق (تراجان) على هذه الاجراءات ولكنه أنذر (بلينى) وأمره بألا يلق بالا الى أى شكوى بدون توقيع ٠ لقد كانوا قساة ولا يحفظون روح العهد ٠

والنتيجة أن اختفت الالهة الرومانية وعاشت المسيحية بل وتضاعفت ولا يمكن أن يقال عن (تراجان أو بلينى) أنه كان رجلا يسب المسيح علنا أمام الجمهور بينما هو فى الحقيقة يعبده سرا ٠لقد اختصت الشيوعية اليوم بمثل هذا الرياء والظهور بمظهرين مختلفين٠ كذلك لم يكن لدى المسيحيين (فى قصة تراجان) هذا السر عن القوة الهائلة الذى هو تحت أيدى جواسيس الذرة ، ومع ذلك فوضع الخيانة واحد فى الحالتين ـ وهو العقيدة الباطنية عند المتهم بأنه انما يقوم بالامر السليم ٠ وقد تصرف هؤلاء المسيحيون بما تمليه عليهم ثقتهم فى الله بينما أن (فوخس) عمل بما تمليه عليه ثقته الكبرى فى مخه وحده ، فكلا الفريقين مقتنع بصحة عمله حتى أنهم كانوا مستعدين لتدمير الدولة فى سبيل تنفيذ آرائهم ٠

ربما كان (فوخس) يقول الحقيقة عندما قال بعد القبض عليه أن ولاءه لانجلترا أصبح متينا وصحيحا وأن سببه علنا للماركسية الروســية كان (من قلبه) ولكنه رجل كان يتحدث عن عقيدته هو أولا ثم عن المجتمع بعد ذلك ، ولا محل لمثل هذا الرجل فى مجتمع منتظم سليم ، بل أن مثل هؤلاء مأواهم حيث نجـد (فوخس) فى ســجن ستافورد يخيط شـنط البريد ٠

الا أن هناك مسألة لم نصل الى جوابهــا ـ ماذا نعمل بالطاقة الذرية قبل أن تهلكنا جميعاوكيف نضمن ولاء عقول من هى فى أيديهم اليوم فى حسن استخدام هذه القوة ـ ٠


Bibliotheca Alexandrina
04416340